The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Religion basics
Master of Faith and Contemporary



الجامعـــــــة الإسلاميـــــــة بغـــــزة
عمـادة البحـث العلمــي والدراســات العليـا
كليــــــــــة أصـــــول الـــــــدين
مــاجستير العقيـدة والمـذاهب المعاصـرة

دور الجهاد في تقرير العقيدة والدفاع عنها

The Role of Jihad in Determining the Islamic Doctrine and Defending it

إعداد الباحثة

نور الهدى بسام حسين أبو شرار

إشراف

الأستاذ الدكتور/

محمود يوسف محمد الشوبكي

قدمت هذه الخطة استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة

شعبان /١٤٤٠هـ – أبريل/ ٢٠١٩م

إقـرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

دور الجهاد في تقرير العقيدة والدفاع عنـها

The Role of Jihad in Determining the Islamic Doctrine and Defending it

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	نور الهدى بسام أبو شرار	اسم الطالبة:
Signature:	نور الهدى بسام أبو شرار	التوقيع:
Date:	٢٤ أبريل ٢٠١٩م	التاريخ:





الجامعة الإسلامية بغزة

The Islamic University of Gaza

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

هاتف داخلي: 1150

الرقم: ج س غ/35/ Ref ....

التاريخ: 25/05/2019م Date ....

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناء على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **نورالهدى بسام حسين ابوشرار** لنيل درجة الماجستير في كلية **أصول الدين**/ برنامج **العقيدة الإسلامية** وموضوعها:

دور الجهاد في تقرير العقيدة والدفاع عنها

The Role of Gehad in Al-AQeeda Proving and Defending it

وبعد المناقشة التي تمت اليوم **السبت 20 رمضان 1440**هـ الموافق **2019/05/25**م الساعة **الحادية عشرة صباحا**، في **قاعة مؤتمرات مبنى اللحيدان** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ. د. محمود يوسف الشوبكي	**مشرفا ورئيسا**	....
د. نسيم شحده ياسين	**مناقشا داخليا**	....
د. عبد الله علي الملاحي	**مناقشا خارجيا**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/برنامج العقيدة الإسلامية**.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. مازن إسماعيل هنية

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine Tel: +970 (8) 264 4400 هاتف Fax: +970 (8) 264 4800 فاكس ص.ب. 108 الرمال. غزة. فلسطين

public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

التاريخ: ٢٦ / ٦ / 2019م

الرقم العام للنسخة	317603	اللغة	عربي	ماجستير ☑	دكتوراه ☐

الموضوع/ استلام النسخة الإلكترونية لرسالة علمية

قامت إدارة المكتبات بالجامعة الإسلامية باستلام **النسخة الإلكترونية** من رسالة

للطالب/ نور الهدى بسام حسين أبو شرار

رقم جامعي: 220152847 قسم: العقيدة كلية: أصول الدين

وتم الاطلاع عليها، ومطابقتها بالنسخة الورقية للرسالة نفسها، ضمن المحددات المبينة أدناه:

- تم إجراء جميع التعديلات التي طلبتها لجنة المناقشة.
- تم توقيع المشرف/المشرفين على النسخة الورقية لاعتمادها كنسخة معدلة ونهائية.
- تم وضع ختم "عمادة الدراسات العليا" على النسخة الورقية لاعتماد توقيع المشرف/المشرفين.
- وجود جميع فصول الرسالة مجمّعة في ملف (WORD) وآخر (PDF).
- وجود فهرس الرسالة، والملخصين باللغتين العربية والإنجليزية بملفات منفصلة (PDF +WORD)
- تطابق النص في كل صفحة ورقية مع النص في كل صفحة تقابلها في الصفحات الإلكترونية.
- تطابق التنسيق في جميع الصفحات (نوع وحجم الخط) بين النسخة الورقية والإلكترونية.

ملاحظة: ستقوم إدارة المكتبات بنشر هذه الرسالة كاملة بصيغة (PDF) على موقع المكتبة الإلكتروني.

والله ولي التوفيق،

توقيع الطالب

نور الهدى

إدارة المكتبة المركزية

379

ملخص الرسالة

تتحدث هذه الرسالة عن دور الجهاد في تقرير العقيدة الإسلامية والدفاع عنها وحماية أهلها، وتبين أن الجهاد لم يشرع لإجبار الناس على اعتناق الإسلام؛ بل لإعطائهم حرية التفكير والاختيار وإبعاد الإكراه عنهم، وتتحدث أن الجهاد في الإسلام وسيلة وليس غاية؛ فالجهاد لم يشرع لذاته؛ بل شرع لغيره، ويدفع عن الإسلام ما أثير حوله من شبهات فلم ينتشر الإسلام بالسيف وليس الجهاد إرهابًا، كما تبين الرسالة أن الجهاد له دوافع وأهداف وأسباب شرعية عقدية، وأن الجهاد شرع لغايات عظيمة وأهداف نبيلة منها ذات صلة مباشرة بالعقيدة وحمايتها والدفاع عنها، كما تبين أن الجهاد مدرسة ربانية وميدان للتربية الإيمانية يتعلم فيها المسلم، وأن الجهاد في الإسلام له أنواع كثيرة؛ فهو يقع باللسان والمال والنفس واليد، ومنه القتالي ومنه غير القتالي، كما وتتحدث أن الجهاد منه دفع ومنه طلب، وتبين أن الصحابة رضي الله عنهم لم ينشغلوا بالجهاد عن فهم قضايا العقيدة؛ بل اكتملت معرفتهم بعقيدتهم ولذلك كانوا دعاة لها ومعلمين لغيرهم، وكذلك أوضحت هذه الرسالة أن الجهاد كان له الدور الحقيقي والبارز في نشر الدعوة الإسلامية؛ حيث به تزال العراقيل من وجه دعوة الإسلام، وكذلك أبانت أن الجهاد في سبيل الله لا يقصر العمر، وأن القعود عن الجهاد لا يطيل العمر، وكشفت هذه الرسالة أن المجاهدين خصوصًا يتعرضون للابتلاء والفتن، وأن كل ما يتعرض له المجاهد من نقص في الأموال والثمرات والأنفس هو ابتلاء وفتن من الله تعالى ليميز الخبيث من الطيب في الصف المؤمن، ولذلك كان درب الجهاد مليء بالأشواك والتضحيات حتى أضحى مع الابتلاء والفتن وجهان لعملة واحدة، وأوصت هذه الرسالة بضرورة كتابة رسائل علمية على شاكلتها؛ لبيان براءة الإسلام مما ينسب إليه زورًا وبهتانًا من الشبهات والطعون، وأبانت أن إفراد المتخصصين لمسائل وقضايا أثيرت حولها التهم والشبه بالكتابة والتأليف أمر مهم جدًا، ولابد من إعلان النتائج المتوصل إليها بأدلتها وبراهينها؛ فالمتخصص في علم أعلم بمسائل علمه غالبًا من غيره، وكذلك أوصت هذه الرسالة بأنه لابد من الكتابة في موضوع الجهاد من كل جوانبه المتعلقة به، والأخذ بعين الاعتبار ما يستجد عليه من قضايا؛ بل ومطالعة ما يكتبه الغربيون والمستشرقون؛ بل وما يكتبه أبناء جلدتنا من المتطرفين والمتشددين، والرد على هؤلاء جميعًا بعلم وبصيرة، والمتوقع حينها الوصول لنتائج قيمة، تثري موضوع الجهاد أكثر، وتبين حقيقته المشرقة في الإسلام، وهذه فائدة البحث العلمي وما عهدناه منه.

Abstract

This study illustrates the role of jihad in determining the Islamic doctrine, defending it and protecting its people. The study shows that Jihad was not legislated to force people to convert to Islam, but to give them the freedom to think and choose, and to eliminate coercion actions. The study also shows Jihad in Islam is a means and not an end; it was not legislated for its own sake but for the sake of other purposes. Jihad is motivated by legitimate motives and goals and it is initiated for great purposes and noble goals, which are directly related to Islamic doctrine, and its protection and defense. Jihad in Islam has many types; it is achieved in speech, money, self and deeds. It has the combat and non-combat forms. The study shows that jihad has two types; the first is to defend the Muslims in Muslim countries, and the second is to fight the disbelievers in their own countries. The study also shows that the companions, May Allah be pleased with them, did not engage in jihad totally to the extent of neglecting to understand the issues faith, but their knowledge became complete by their faith; therefore, they advocated and taught it to other people.

This study shows that Jihad had a real and prominent role in spreading the Islamic Dawah, where it removed the obstacles from the path of Islamic Dawah. It also shows that jihad for the sake of Allah does not shorten life, and that the retreat from jihad does not prolong life. The study also reveals that Mujahidin are subjects to tests from Allah to distinguish the malignant from the good. Therefore, the path of jihad is full of thorns and sacrifices until it is associated to calamities as if two sides of one coin. The study recommended writing academic studies in the like of this study to show purity of Islam, and refute the accusations falsely attributed to it. The study also recommends writing studies on the subject of jihad in all its aspects, and taking into account the new issues relevant to it; and reading what is written about it by westerners and orientalists, and even what is written by Arab extremists, and responding to all of them with knowledge and insight. Such studies will enrich the subject of more on jihad, and show the bright side of Islam, and the usefulness of scientific research.

اقتباس



قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

[التحريم: ٩].

إهداء

- ❖ إلى أحق الناس بصحبتي أمي العزيزة وروح أبي الطاهرة...
- ❖ إلى روح زوجي الشهيد أحسبه كذلك ولا أزكي على الله تعالى أحدًا...
- ❖ إلى أبنائي الأحبة ثم إلى والدي زوجي العزيزين، وعائلتي الكريمة وجامعتي الغراء...
- ❖ إلى أعلام الهدى ومصابيح الدجى من العلماء الربانين والدعاة الصادقين...
- ❖ إلى شيوخي وأساتذتي من كان منهم حيًا ومن كان تحت الثرى...
- ❖ إلى كل من تعلمت منه ولو حرفًا...
- ❖ إلى أرواح الشهداء الطاهرة وأجساد الأسرى الصابرة...
- ❖ وإلى جميع المسلمين والمسلمات في كل زمان ومكان...

إليهم جميعاً .. أهدي هذا الجهد المتواضع

راجيةً من الله تعالى التوفيق والرشاد، والقبول والسداد.

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين وخاتم النبيين محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن أول من يثنى عليه ويشكر هو الله تعالى، الذي أنعم وتفضل عليَّ، ووفقني وبارك لي في وقتي؛ فله الحمد والشكر أولًا وآخرًا.

وبعد فضل الله تعالى، ومنه عليَّ، وتوفيقه إيايَّ بإتمام رسالتي، أتقدم بجزيل الشكر والثناء لكل من ساعدني في إتمام هذا الجهد المتواضع، فإني في هذا المقام أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى مشرفي على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور: محمود يوسف الشوبكي، والذي بذل جهدًا كبيرًا في ترشيدي وتسديدي، وكان له الفضل في إتمام هذا البحث بعد الله عز وجل؛ فله مني كل الشكر والتقدير، على ما أحاطني به من عناية ورعاية وتوجيه وتسديد، التي ازدان بها البحث؛ فجزاه الله عني خيرًا.

كما وأتقدم بالشكر والثناء للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة وهم كل من:

الدكتور الفاضل/ نسيم شحدة ياسين حفظه الله

الدكتور الفاضل/ عبد الله علي الملاحي حفظه الله

اللذان منحاني شرف الموافقة على مناقشة هذا البحث، وإبداء الملاحظات والتوجيهات التي تثري البحث وتكسبه متانة ورصانة، وذلك لإثرائه والوقوف على ما به من محاسن، وتدارك ما به من عيوب وهفوات، ليخرج في أبهى صورة وأجمل منظر، وذلك بما أنعم الله عليهما من خبرة في مجال البحث العلمي.

كما وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان لجامعتي الغراء، رئاسة وعمداء وأكاديميين وإداريين، وأخص بالذكر عمادة الدراسات العليا، وقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة.

كما وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان لكل من ساهم معي في إتمام هذا البحث المتواضع، وكل من وقف إلى جانبي وساعدني وأخص بالذكر الأستاذ الفاضل: فادي أبو هندي.

الباحثة/ نور أبو شرار

قائمة المحتويات

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، **أما بعد:**

فإن الجهاد في سبيل الله تعالى باب عظيم من أبواب الدين؛ فلقد أطلق عليه بعض العلماء مصطلح الفريضة السادسة في الإسلام، وبغض النظر عن صحة إطلاق هذا المصطلح وعدمه؛ فإن القرآن الكريم أفرد للجهاد في سبيل الله تعالى مساحة كبيرة بين آياته المتلوة؛ فلقد جاءت في الجهاد في سبيل الله تعالى آيات كثيرة ونصوص عديدة؛ بل إن هناك سورًا في كتاب الله تعالى هي سور جهادية تتحدث عن الجهاد بأكملها من أولها إلى آخرها، وما سورتا الأنفال التوبة عنا ببعيد؛ بل وسورة محمد ﷺ والتي تعرف بسورة القتال، وغير ذلك؛ فمنزلة الجهاد في الإسلام منزلة عظيمة، وله مرتبة جليلة، علمها من علمها وجهلها من جهلها، ومما يؤكد على صحة ذلك أن الجهاد في سبيل الله تعالى هو ذروة سنام الإسلام، وهو شعيرة باقية إلي يوم الدين، على يد طائفة لا تزال قائمة على الحق بالحق، ولما كان للجهاد مكانته في الإسلام لزم على أهل العلم أن يهتموا به تعليمًا وتعريفًا، ومن هنا جاءت رسالتنا والتي نسأل الله تعالى فيها العون؛ فلقد تعلقت بالجهاد علوم شرعية ومنها علم العقيدة؛ بل وتعلقت به مسائل شتى من علوم مختلفة، ومنها بلا شك أو ريب مسائل وقضايا تتعلق بالعقيدة الإسلامية؛ فحري بنا أن نبحثها وأن نسلط أضواء التحقيق عليها؛ لتكون أوضح وأجلى، ومن هنا كان إفرادها بالدراسة التحليلية المستفيضة، زيادة في بيانها وإيضاحها لعموم المطالعين للجهاد وقضاياه.

أهمية الموضوع :

تكمن أهمية البحث في النقاط الآتية:

١. مكانة الجهاد في سبيل الله في الإسلام، وكثرة ورود النصوص الشرعية المتعلقة بالجهاد في سبيل الله تعالى وربط الشرع بين الإيمان بالله تعالى والعقيدة الإسلامية.

٢. شهادة أهل العلم المعتبرين بأهمية الجهاد في سبيل الله تعالى وضرورة تنقيح مسائلة وموضوعاته والرد على شبهات المضلين بطريقة علمية بحثية محكمة.

٣. وقوع نفر من أبناء أمتنا في الزلل في فهم الجهاد في الإسلام وتطبيقه؛ فلزم البيان والتوضيح من أهل العلم الراسخين.

٤. الجهاد هو السياج الحامي للعقيدة والشريعة والدعوة، والمدافع عنها، وهو ذروة سنام الإسلام.

أسباب اختيار الموضوع:

إن أسباب اختيار هذا الموضوع كثيرة؛ منها:

١. حاجة الواقع المعاصر لنظرة عقائدية صحيحة في مسائل الجهاد ذات الصلة بالعقيدة الإسلامية.

٢. ندرة وجود دراسات علمية مستقلة في هذا الموضوع في حدود ما اطلعتُ عليه.

٣. ما لحق بالجهاد في سبيل الله تعالى من شبهات تريد تعكير صفوه وتشويه صورته، وكثير من هذه الشبهات ذات صلة بالعقيدة الإسلامية؛ فكان لابد من الكتابة في هذا الموضوع للحفاظ على نصاعة العقيدة الإسلامية وطهارة الجهاد في سبيل الله تعالى.

أهداف الموضوع:

إن الأهداف التي نحاول تحقيقها من وراء دراستنا كثيرة جدًا؛ منها:

١. توضيح المسائل العقدية والقضايا الشرعية التي تعلقت بالجهاد لتكون في مسارها الصحيح وطريقها السوي.

٢. تدعيم الصورة الصحيحة للجهاد في سبيل الله في الإسلام وعقيدته والتي جاء بها علماء الإسلام الكبار المبنية على الكتاب والسنة.

٣. زيادة البيان والشرح حول هذه المباحث المشتركة التي تحتاج إلى تحليل وتفصيل كما سيتبين ذلك إن شاء الله تعالى.

منهج البحث وطبيعة العمل فيه:

إن المنهج الذي ستتبعه الباحثة إن شاء الله تعالى في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث ستقوم الباحثة بجمع المسائل والقضايا ذات الصلة بالعقيدة الإسلامية في باب الجهاد في سبيل الله، ثم ستقوم بدراستها دراسة تحليلية، والله الموفق وهو المستعان.

طريقة البحث:

١. تخريج الآيات وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية، وتمييز الآيات بوضعها بين هلالين بهذا الشكل﴿ ﴾، و ذلك في المتن.

٢. الاستدلال بالأحاديث النبوية والآثار التي تخدم البحث وعزوها إلى مظانها الحديثية، وذلك بذكر أهم مصادر السنة النبوية التي أخرجت الحديث وروته، ونقل حكم العلماء عليها عدا ما ورد في الصحيحين فهما لا يحتاجان لذلك كما هو معلوم.

٣. ترجمة بعض شخصيات البحث من رجال زمن السلف الصالح الذين قل ذكرهم على ألسنة الناس.

٤. توثيق النصوص المنقولة لأول مرة في الهامش، مبتدئًا بذكر اسم الكتاب، فاسم المؤلف مع بيانات التوثيق كافة، وعند تكرار ذكر المرجع أكتب اسم الكتاب واسم العالم المشهور به مختصرًا مثل لابن تيمية أو لابن حجر أو لابن القيم، وأذكر الجزء والصفحة وفي حالة عدم وجود رقم طبعة أو سنة طبع، أكتب بدون دار طبع ولا تاريخ طبعة.

٥. إذا كان للكتاب أكثر من محقق فإني أثبت ذكرهم جميعًا عند ذكرهم لأول مرة، ثم يكون الاختصار لهم في ذكرهم بعد ذلك.

٦. في حال التصرف في النص الأصلي، أو اختصاره يكون بكتابة بتصرف.

٧. عند تلخيص فكرة، أشير إلى ذلك بقول انظر.

٨. في حال الاقتباس من نفس الكتاب بعده مباشرة فإني أكتب المرجع السابق، ذاكرًا رقم الجزء إن وجد، ورقم الصفحة.

٩. إعداد الفهارس اللازمة، وترتيبها على النحو التالي، الآيات القرآنية، ثم الأحاديث الشريفة، ثم الأعلام المترجم لهم، وأخيرًا المصادر والمراجع.

١٠. قمت بذكر الآيات القرآنية في الفهرس الخاص بها حسب ترتيب ذكرها في المصحف، وأما الأحاديث النبوية، وأعلام الرواة المترجم لهم فحسب الترتيب الأبجدي للحروف.

الدراسات السابقة:

لم تكتب رسائل علمية لها نوع علاقة مع الموضوع الذي اخترته إلا رسالة واحدة، وهي تحت عنوان: أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه/ لكاتبها الدكتور علي بن نفيع العلياني، وهي رسالة دكتوراه في العقيدة الإسلامية، وإن نظرة سريعة في فهرس هذه الرسالة مع النظر في خطة رسالتنا تجعل الناظر يقطع بأن كل واحدة لها موضوعها الخاص بها، ومباحثها المستقلة والمختلفة عن الأخرى؛ فالرسالة سابقة الذكر تتحدث عن الترغيب في الجهاد وبيان فضائله، والترهيب من تركه وبيان عواقب ذلك، وصور جهادية من

الرعيل الأول، وتتحدث عن منهج الدعوة إلى الله تعالى قبل وبعد تشريع الجهاد في سبيل الله تعالى، وتتحدث عن أحكام الجهاد عند الفرق القديمة والحديثة، وهذه الرسالة تختلف تمامًا عن رسالتنا موضوعًا ومضمونًا؛ فلا تتقاطع معها في جوهرها ولبها، ولا في فصولها ومباحثها؛ فإن بحثنا في رسالتنا يسير في منحى مختلف وجانب آخر، يتغاير تمامًا عن جوانب الرسالة السابقة، حيث سيكون البحث في رسالتنا في جانب العقيدة المتعلق بدوافع وأهداف الجهاد المتعلقة بالعقيدة، إضافة إلى دور الجهاد في التربية الإيمانية، متعرضًا لشبهات أعداء الإسلام حول الجهاد والرد عليها، وكذلك تتحدث عن دور جهاد البيان في رد الغزو الفكري، ودور جهاد النفس في الثبات على الدين، ودور الجهاد القتالي في الدفاع عن العقيدة، وكذلك تتحدث رسالتنا عن علاقة الجهاد ببعض القضايا العقدية.

حدود الدراسة:

تتناول هذه الدراسة بحول الله تعالى وقوته أهم وأشهر المسائل والقضايا ذات الصلة بالعقيدة الإسلامية من موضوع الجهاد في سبيل الله تعالى، وستقوم الباحثة ببحث ومناقشة المسائل والمباحث المعروضة في خطة البحث من الجانب العقدي لها، وأما ما يتعلق بها من جوانب أخرى فقهية أو تربوية أو غير ذلك فلن تتعرض الباحثة لها، كما وستلتزم الباحثة بخطة البحث وما ذكرت فيها من فصول ومباحث، والله الموفق وهو المستعان، وعليه التكلان.

خطة البحث:

وضعت الباحثة خطة لهذا البحث؛ فجعلته في تمهيد، ثم خمسة فصول، وخاتمة، وذلك كما يلي:

تمهيد

التعريف بالعقيدة والجهاد

أولًا: تعريف العقيدة.

ثانيًا: تعريف الجهاد.

الفصل الأول

أهداف الجهاد وغاياته في الإسلام

المبحث الأول: دوافع العقيدة في الجهاد.

المبحث الثاني: أهداف الجهاد المتعلقة بالعقيدة.

المبحث الثالث: دور الجهاد في التربية الإيمانية.

الفصل الثاني

شبهات أعداء الإسلام حول الجهاد والرد عليها

المبحث الأول: شبهة اتهام انتشار الإسلام بالسيف والرد عليها.

المبحث الثاني: شبهة اتهام الجهاد بالإرهاب والرد عليها.

المبحث الثالث: شبهة انشغال السلف بالجهاد عن فهم آيات الصفات والرد عليها.

المبحث الرابع: شبهة لا جهاد إلا خلف الإمام والرد عليها.

المبحث الخامس: شبهة أن الجهاد للدفع فقط والرد عليها.

الفصل الثالث

الجهاد والقتال ضد المعتدين

المبحث الأول: الجهاد ضد الكفار والمنافقين.

المبحث الثاني: الجهاد ضد الخوارج والمرتدين.

المبحث الثالث: القتال ضد البغاة وقطاع الطرق.

الفصل الرابع

الجهاد في الدفاع عن العقيدة الإسلامية ونشرها

المبحث الأول: جهاد البيان في رد الغزو الفكري.

المبحث الثاني: جهاد النفس في الثبات على الدين.

المبحث الثالث: الجهاد القتالي في الدفاع عن العقيدة.

المبحث الرابع: الجهاد في نشر عقيدة التوحيد.

الفصل الخامس

الجهاد وعلاقته ببعض القضايا العقدية

المبحث الأول: الجهاد والدعوة إلى الله تعالى.

المبحث الثاني: الجهاد وعقيدة الأجل.

المبحث الثالث: الجهاد وعلاقته بالابتلاء والفتن.

المبحث الرابع: الجهاد مع البر والفاجر.

الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس

وهي على النحو التالي:

أولًا: فهرس الآيات القرآنية.

ثانيًا: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثًا: فهرس أعلام الرواة المترجم لهم.

رابعًا: فهرس المصادر والمراجع.

تمهيد
التعريف بالعقيدة والجهاد

تمهيد

التعريف بالعقيدة والجهاد

أولًا: تعريف العقيدة.

العقيدة لغة:

" عقد، العين والقاف والدال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على شَدٍّ وشِدّةٍ وُثوق"[١]، و" العقيدة: المعتقد"[٢]، والعقيدة مفرد عقائد، وهي من العقد وهو الربط، والإبرام، والإحكام، والتوثيق، والشد بقوة، والتماسك والمُراصَّة، والإثبات، ومنه اليقين والجزم، " واعتقدَ الشيءُ: صَلُبَ وَاشْتَدَّ، وتَعَقَّد الإخاءُ: اسْتَحْكَمَ مِثْلُ تَذَلَّلَ"[٣]، و"العُقدةُ بالضم: موضع العَقْدِ، وهو ما عُقِدَ عليه"[٤]، و"العقد نقيض الحل، يقال: عقده يعقده عَقْدًا، ومنه عُقْدَة اليمين والنكاح، وعُقْدَة النكاحِ والبيعِ: وُجُوبُهُمَا؛ وعُقْدَةُ كلِّ شيءٍ: إبرامه"[٥]، و"عَقْدُ اليمينِ: أن يَحْلِف يمينا لا لغو فيها ولا استثناء فيجب عليه الوفاء بها"[٦]، كما قال تعالى: ﴿**لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَـكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ ...** ﴾**[المائدة: ٨٩]**.

و"العقيدة الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده"[٧]، "وَاعْتَقَدْتُ كَذَا: عَقَدْتُ عَلَيْهِ الْقَلْبَ وَالضَّمِيرَ، حَتَّى قِيلَ: الْعَقِيدَةُ: مَا يَدِينُ الْإِنْسَانُ بِهِ، وَلَهُ عَقِيدَةٌ حَسَنَةٌ: سَالِمَةٌ مِنْ الشَّكِّ، وَاعْتَقَدْتُ مَالًا: جَمَعْتُهُ"[٨].

و"العقود أوثق العهود، وعاقَدته مثل عاهدته"[٩]، و"العَقْدُ مَثل العَهْدِ، عاقَدْتُهُ عَقْداً مِثلُ عاهَدْتُهُ عَهْداً"[١٠]، "وعاقده: عاهده، وتعاقد الْقَوْم: تَعَاهَدُوا"[١١]، ومنه قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ ...** ﴾**[المائدة١]**؛ أي: أوفوا بالعهود التي أكدتموها.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ج٨٦/٤.

(٢) المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج٦١٤/٢.

(٣) لسان العرب، لابن منظور، ج٢٩٩/٣.

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، ج٥١٠/٢.

(٥) لسان العرب، لابن منظور، ج٢٩٨/٣.

(٦) العين، للفراهيدي، ج١٤٠/١.

(٧) المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج٦١٤/٢.

(٨) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي، ج٤٢١/٢.

(٩) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ج٨٦/٤.

(١٠) العين، للفراهيدي، ج١٤١/١.

(١١) المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج٦١٤/٢.

و"العَقْد: الْعَهْدُ، وَالْجَمْعُ عُقود، وَهِيَ أَوكد العُهود، وَيُقَالُ: عَهِدْتُ إِلى فلانٍ فِي كَذَا وَكَذَا، وتأْويله أَلزمته ذَلِكَ، فإِذا قُلْتَ: عَاقَدْتُهُ أَو عَقَدْتُ عَلَيْهِ؛ فتأْويله أَنك أَلزمته ذَلِكَ بِاسْتِيثَاقٍ، وَالْمُعَاقَدَةُ: الْمُعَاهَدَةُ، وَعَاقَدَهُ: عهده"[(١)].

وخلاصة تعريف العقيدة لغة أن العقيدة مشتقة من مادة عقد وهو الربط والشد بقوة، والعهد، والتأكيد، والملازمة.

العقيدة اصطلاحًا:

لقد وردت على لسان العلماء قديمًا وحديثًا تعريفات كثيرة لمصطلح العقيدة، ولعل الاختلاف الأكثر بينها من باب اختلاف الألفاظ لا اختلاف التضاد، وأفضل ما يمكن أن نقوله ونسطره أن العقيدة في تعريفها الاصطلاحي لها تعريفان عام وخاص.

١- العقيدة في الاصطلاح العام.

إننا نقصد بالعقيدة في الاصطلاح العام أن نعرف العقيدة بشكل عام دون نظر فيها أو حكم عليها سواء كانت صحيحة أو خاطئة، إسلامية أو كفرية، فلا نفرق بين عقيدة وأخرى في التعريف، وعليه فتعريفنا لها في هذا السياق أقرب للتعريف اللغوي منه للاصطلاحي.

وفي هذا السياق نجد تعريف العقيدة في الاصطلاح العام تشمل كل عقيدة حق أو باطلة، وهي تعني اصطلاحًا:" الإيمان واليقين الجازم لدى المعتقد أي الذي لا يتطرق إليه شك"[(٢)].

وعرفها آخر بأن العقيدة هي:" الأمور التي يجب أن يصدق بها قلبك، وتطمئن إليها نفسك، وتكون يقينًا عندك، لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك"[(٣)].

ومن المعلوم أن المسلم يصدق قلبه بالعقيدة الإسلامية، وتطمئن إليها نفسه، وتكون يقينًا عنده لا يمازجه ريب فيها ولا شك، ومن أصحاب العقائد الفاسدة من يصدق قلبه المريض بعقيدته الفاسدة، وتطمئن إليها نفسه الخبيثة، وتكون يقينًا عنده لا ريب ولا شك فيها.

وعرفها آخر فقال:" هي التصديق بالشيء والجزم به دون شك أو ريبة"[(٤)].

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، ج٣/٢٩٧.

(٢) مجمل أصول السنة والجماعة (المعاصر)، د. ناصر عبد الكريم العقل، ص٤.

(٣) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، ص٣٩٥.

(٤) العقائد الإسلامية، السيد سابق، ص٨٠.

وعرفها مجمع اللغة العربية بالقاهرة بقوله:" العقيدة الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده"[١].

وعرفها آخر بقوله:" العقيدة هي ما يعتقده الشخص في قرارة نفسه ويعقد العزم عليه ويراه صحيحًا سواء أكان صحيحًا في حقيقة الأمر أم باطلًا"[٢].

وقال آخر العقيدة في الاصطلاح العام:" هي الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه الشك لدى معتقده، هذا على جهة العموم"[٣].

٢- العقيدة في الاصطلاح الخاص.

إننا نقصد بالعقيدة في الاصطلاح الخاص أن نعرف العقيدة الإسلامية على وجه الخصوص دون غيرها من العقائد، وعند علماء المسلمين دون غيرهم من أهل العلم.

فالعقيدة في الاصطلاح الخاص:" تعني اليقين والتسليم والإيمان الجازم بالله عز وجل وما يجب له من التوحيد والعبادة والطاعة"[٤].

وعرفها بعضهم بقوله:" الاعْتِقَادُ هُوَ حُكْمُ الذِّهْنِ الْجَازِمِ، فَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِلْوَاقِعِ فَهُوَ صَحِيحٌ، وَإِلَّا فَهُوَ فَاسِدٌ"[٥].

وفي هذا التعريف يظهر وبوضوح وجلاء تعريف العقيدة الإسلامية وهي العقيدة الوحيدة الصحيحة، وكذلك الإشارة لتعريف العقيدة الفاسدة الذي يشمل كل عقيدة غير صحيحة في حكم الإسلام.

وعرفها آخر فقال:" معرفة ما ورد في الكتاب والسنة فيما يتعلق بالإلهيات والنبوات والسمعيات معرفة مبنية على الجزم واليقين والتصديق"[٦].

وقال بعضهم إن العقيدة هي:" معرفة مراد الله تعالى من الديانة، ومن بعث الرسل، وإنزال الكتب، وخلق الجن والإنس، ثم الاستقامة على ذلك والعمل بمقتضاه"[٧].

---

(١) المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج٢/٦١٤.

(٢) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، لعواجي، ج١/١٣٠.

(٣) الخلاصة في خصائص العقيدة الإسلامية، للشحود، ص٤.

(٤) انظر بتصرف مجمل أصول السنة والجماعة (المعاصر)، د. ناصر عبد الكريم العقل، ص٤.

(٥) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، للسفاريني، ج١/٦٠.

(٦) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية مبادئ وآثار، للشريدة، ص ص٤٥ -٤٧.

(٧) مجمل اعتقاد أئمة السلف، لعبد الله التركي، ص١١٠.

وعرفت العقيدة الإسلامية في الاصطلاح الخاص:" فهي الاعتقاد الجازم بأركان الإيمان وأصول الدين وثوابته وكل ما ثبت عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ من الأمور القلبية والعلمية، والقولية"[١].

والرابط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي سواء العام أو الخاص ظاهر جلي؛ لأن الذي جزم بالشيء، وصمم عليه، قد ألزمه قلبه، وربطه عليه، وشده بقوة، بحيث لا يتفلت منه.

ثانيًا: تعريف الجهاد.

تعريف الجهاد لغة:

إن "الْجِهَادَ مَصْدَرُ جَاهَدْت جِهَادًا أَيْ بَلَغْت الْمَشَقَّةَ"[٢]، والجِهاد مصدر الفعل الرباعي: جاهد، وهو من جاهد يجاهد جهادًا، وجِهاد على وزن " فِعال " بمعنى " المفاعلة " من طرفين، مثل الخصام بمعنى المخاصمة مصدر " خاصم " والجدال بمعنى المجادلة، مصدر " جادل " والفعل الثلاثي للكلمة " جهد " فالجهاد لغة مشتق من الفعل الثلاثي جهد؛ فهو الفعل الثلاثي للكلمة، " جهد، الجيم والهاء والدال أصلُهُ المشقَّة، ثم يُحمَل عليه ما يقاربُه، يقال جَهَدْتُ نفسي وأجْهَدت والجُهْد الطَّاقَة، قال الله تعالى:﴿... **وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ** ... ﴾ **[التوبة: ٧٩]**. "[٣]، " يُقَالُ جَهَدَ الرجُل فِي الشَّيء: أَيْ جَدَّ فِيهِ وبالَغ، وجَاهَد فِي الحَرْب مُجَاهَدَة وجِهَادا"[٤]، و" جاهَدَ العدوَّ مُجاهَدة وجِهاداً: قَاتَلَهُ وجاهَد فِي سَبِيلِ اللَّهِ"[٥]، ومثله " يُقَالُ جَهَدَ الرجُل فِي الْأَمْرِ: إِذَا جَدَّ فِيهِ وَبَالَغَ"[٦]، و"الجهاد بكسر الجيم أصله لغة المشقة، يقال: جهدت جهادا بلغت المشقة"[٧]، "وَهُوَ افْتِعَال مِنَ الجُهْد: الطَّاقة"[٨]، و"الجُهْد وَهُوَ بِالضَّمِّ: الوُسْع والطَّاقة، وبالفَتْح: المَشَقَّة"[٩]، والجهاد مصدر جاهد جهاداً ومجاهدة، و" جَاهَدَ: فَاعَلَ، من جهد: إذا بالغ في قتال

---

(١) الخلاصة في خصائص العقيدة الإسلامية، للشحود، ص٤.

(٢) سبل السلام، للأمير الصنعاني، ج٢/٤٥٩.

(٣) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ج١/٤٨٦- ٤٨٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ج١/٣١٩.

(٥) لسان العرب، لابن منظور، ج٣/١٣٥.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ج١/٣٢٠.

(٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، ج٦/٣.

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ج١/٣٢٠.

(٩) المرجع السابق، ج١/٣٢٠.

عدوه وغيره، ويقال: جهده المرض وأجهده: بلغ به المشقة، وجهدت الفرس وأجهدته، استخرجت جهده، والجَهد بالفتح: المشقة، وبالضم: الطاقة، وقيل: يقال بالضم والفتح في كل واحد منها؛ فمادة "ج هـ د" حيث وجدت، ففيه معنى المبالغة"[1].

وقيل الجَهْد بالفتح: المشقة، والجُهْد: الوسع، وقال تعالى:﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ...**﴾[**النور: ٥٣**]. أي حلفوا واجتهدوا في الحلف أن يأتوا به على أبلغ ما في وسعهم[2]، وقال الفيروزآبادي: ﴿**جَهْدَ أَيْمانِهِمْ**﴾ أي: بالَغُوا في اليمينِ، واجْتَهَدوا[3].

وَمِنَ الْمَفْتُوحِ حَدِيثُ الدُّعَاءِ " أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهْد البَلاء" أَي الْحَالَة الشَّاقَّة[4].

وهذا الحديث قد جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ، وَمِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ، وَمِنْ شَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ، وَمِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ"[5].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ البَلاَءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ"[6].

ومعنى (جَهْد البلاء) المشقة من كل ما يصيب الإنسان فيما لا طاقة له بحمله، ولا يقدر على دفعه عن نفسه[7].

وَمِنَ الْمَضْمُومِ حَدِيثُ الصَّدَقَةِ كما قد جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:" جُهْدُ الْمُقِلِّ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ"[8].

---

(١) المطلع على ألفاظ المقنع، لأبي الفضل البعلي، ص ٢٤٧.

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص٢٠٨.

(٣) القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ص٢٧٥.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ج١/٣٢٠.

(٥) صحيح البخاري، البخاري، الدعوات/التعوذ من جهد البلاء، ج٥/٢٣٣٦، حديث رقم: ٥٩٨٧، وصحيح مسلم، الإمام مسلم، الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ/ فِي التَّعَوُّذِ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَغَيْرِهِ، ج٤/٢٠٨٠، حديث رقم: ٢٧٠٧، واللفظ لمسلم.

(٦) صحيح البخاري، البخاري، القدر/ باب من تعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء، ج٦/٢٤٤٠، حديث رقم: ٦٢٤٢.

(٧) صحيح البخاري، البخاري، ج٥/ ٢٣٣٦.

(٨) سنن أبي داود، أبو داود الزكاة/ الرخصة في ذلك، ج٣/١٠٧، حديث رقم: ١٦٧٧، وصححه الألباني رحمه الله تعالى في كتابه صحيح أبي داود، للألباني، ج٥/ ٣٦٥.

أَيْ أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ قَدْرُ مَا يَحْتَمِلُهُ حَالُ الْقَلِيلِ الْمَالِ"[١].

و"الجهاد بكسر الجيم مصدر جاهدت العدوّ مجاهدة وجهادًا، وأصله جيهاد كقيتال؛ فخفف بحذف الياء، وهو مشتق من الجَهد بفتح الجيم وهو التعب والمشقّة لما فيه من ارتكابها، أو من الجُهد بالضم وهو الطاقة؛ لأن كل واحد منهما بذل طاقته في دفع صاحبه"[٢]؛ فالجهاد "هُوَ الْمُبَالَغَةُ وَاسْتِفْرَاغُ مَا فِي الْوُسْعِ وَالطَّاقَةِ مِنْ قَوْلٍ أَو فِعْلٍ"[٣]، "وَأَمَّا الْجِهَادُ فِي اللُّغَةِ فَعِبَارَةٌ عَنْ بَذْلِ الْجُهْدِ بِالضَّمِّ وَهُوَ الْوُسْعُ وَالطَّاقَةُ، أَوْ عَنْ الْمُبَالَغَةِ فِي الْعَمَلِ مِنْ الْجَهْدِ بِالْفَتْحِ"[٤].

وإن تقارب الألفاظ يعني تقارب المعنى حينما يكون الأصل والمنشأ واحدًا؛ فالجهاد والمجاهدة والاجتهاد معناهم اللغوي واحد؛ لأن الأصل التفعيلي لهن جميعًا واحد، وهو الفعل الثلاثي جهد، ولذلك قال ابن الأثير رحمه الله تعالى:" أَجْتَهِد رَأيي، الاجْتِهَاد: بَذْل الوُسْع فِي طَلَب الْأَمْر[٥]، وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى:" الْجِهَاد والمجاهدة وَالِاجْتِهَاد والتجاهد بذل الوسع"[٦].

إذن " الجهاد هو استفراغ الوسع في المدافعة بين طرفين ولو تقديرًا، ونعني بالتقدير جهادَ الإنسان لنفسه، بتقدير أن الإنسان يشتمل على طرفين في نفسه حين تتصارع فيها رغبتان متناقضتان، كلٌ تجاهد في سبيل الغلبة على الأخرى"[٧].

وخلاصة الجهاد لغة إما مشتق من الجُهد والذي هو البذل والوسع والطاقة؛ لأن المجاهد يبذل طاقته وما في وسعه، أو من الجَهد والذي هو النصب والتعب والمشقة؛ وعلى كلٍ الجهاد في اللغة مشتق من الجهد بفتح الجيم وضمها وكلاهما يحمل معنى المشقة وهي أصل لفظة جهد وإن اختلف ضبطها بالفتح أو الضم؛ فالجهاد لغة هو: المبالغة في بذل الجهد واستفراغ ما في الوسع وتقديم الطاقة وتحمل النصب والتعب والمشقة من قول أو فعل.

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، للعظيم آبادي، ج٤/٢٢٧.

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، ج٥/٣١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ج١/٣١٩، ولسان العرب، لابن منظور، ج٣/١٣٥.

(٤) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للكاساني، ج٧/٩٧.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ج١/٣١٩.

(٦) تحرير ألفاظ التنبيه، للنووي، ص٣١٣.

(٧) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، لهيكل، ج١/٣٩.

تعريف الجهاد اصطلاحًا.

لقد تعددت وتنوعت عبارات العلماء والفقهاء وغيرهم في تعريف الجهاد اصطلاحًا، وغالبها من باب اختلاف الألفاظ لا التضاد، وبعضها أشمل من بعض وأعم، وبعضها تختصر وتقتصر على معنى معين وتجمل وأخرى تفصل؛ وذلك لأسباب سنتعرض لها تعقيبًا على ما سنذكر من التعريفات.

فالجِهاد هو:" استفراغ الوسع في مدافعة العدو"[١].

وعرفه بعضهم بأن الجهاد هو:" مُحارَبة الكُفار"[٢].

وعرفه آخر" قتال الكفار لنصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله"[٣].

وقال بعضهم:" الْجِهَادُ مُحَارَبَةُ الأَعداء"[٤].

وقال آخر:" بَذْلُ الْوُسْعِ وَالطَّاقَةِ بِالْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ وَاللِّسَانِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، أَوْ الْمُبَالَغَةِ فِي ذَلِكَ، وَاَللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ[٥]. وعرفه آخر بقوله:" قِتَالُ مُسْلِمٍ كَافِرًا غَيْرَ ذِي عَهْدٍ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ تَعَالَى"[٦]. وعرفه الجرجاني بأن الجهاد:" هو الدعاء إلى الدين الحق"[٧].

وعرفه بعضهم فقال:" والصحيح أن الجهاد بذل المجهود في حصول المقصود"[٨].

وعرفه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فقال:" الجهاد هو بذل الوسع وهو القدرة في حصول محبوب الحق ودفع ما يكرهه الحق"[٩].

---

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص٢٠٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ج١/٣١٩، وانظر المطلع على ألفاظ المقنع، لأبي الفضل البعلي، ص٢٤٧، وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، ج٦/٣، وانظر منتهى الإرادات، لابن النجار، ج٢/٢٠٣.

(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، ج٥/٣١.

(٤) نفس المرجع السابق.

(٥) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للكاساني، ج٧/٩٧.

(٦) منح الجليل شرح مختصر خليل، لعليش، ج٣/١٣٥، وانظر مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، للحطاب الرُّعيني، ج٣/٣٤٧.

(٧) التعريفات، للجرجاني، ص٨٠.

(٨) تفسير النيسابوري وهو غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، ج٣/٥٠٣.

(٩) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ج١٠/١٩٢-١٩٣.

وعرفه آخر بقوله:" بَذْلُ الْجَهْدِ فِي قِتَالِ الْكُفَّارِ أَوْ الْبُغَاةِ"(١).

وعرف بعضهم الجهاد فقال:" بَذْلُ الْجُهْدِ فِي قِتَالِ الْكُفَّارِ"(٢) وهو اعتماد منهم لتعريف ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى فقد نقله مقرًا له ومستدلًا به ومستشهدًا.

وعرف بعض المعاصرين الجهاد بقوله:" هو بذل الجهد في قمع أعداء الإسلام بالقتال وغيره؛ لتكون كلمة الله هي العليا"(٣). ومن المعاصرين من عرفه بقوله:" الجهاد هو بذل الجهد في سبيل إعلاء كلمة الله وإقامة المجتمع الإسلامي"(٤).

وعرفه آخرون بقولهم:" قتال من ليس لهم ذمة من الكفار"(٥).

وللتعليق على ما سبق من تعريفات العلماء للجهاد نرى أن كثيرًا منها درج وانصب على تخصيص مفهوم الجهاد شرعًا ببذل الجهد واستفراغ الوسع في قتال الكفار؛ فحصروه في نوع من أنواعه، ولعل الذي حملهم على ذلك أن الجهاد القتالي هو المراد من الجهاد حال الإطلاق، وأنه أرفع أنواع الجهاد شأنًا وأعلاها قدرًا.

ولكن الحق والحقيقة والأصل أن التعريف لابد أن يكون جامعًا مانعًا وشاملًا كاملًا ومقتصرًا ومختصرًا دون أن يقع فيه خلل أو يشتمل على زلل كما هو معلوم.

ويمكن أن نعرف الجهاد اصطلاحًا بعد ما ذكرنا من أمور مهمة وتنبيهات ضرورية بالقول: **الجهاد اصطلاحًا هو: بذل الجهد واستفراغ الوسع في إعلاء كلمة الله ونصرة دينه سواء كان ذلك بالقول أو الفعل أو المال.**

ومما يحسب لهذا التعريف ومن سار في فلكه من التعريفات أنه اشتمل على كل أنواع الجهاد المختلفة، القتالي منها وغير القتالي؛ فقد اتسع مثلًا ليشمل جهاد اللسان والمال والنفس والشيطان والمنافقين والكفار المحاربين المعتدين وغير ذلك.

فقد قال تعالى: **﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُـلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾[النساء: ٩٥].**

---

(١) سبل السلام، للأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، ج٢/٤٥٩.

(٢) نيل الأوطار، للشوكاني، ج٧/ ٢٤٦.

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع، لابن عثيمين ج٨/٥.

(٤) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، للبوطي، ص١٢٦.

(٥) المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج١/١٤٢.

وقد جاء عن النبي ﷺ ما يشير إلى عموم الجهاد، وأنه يقع باللسان والمال والنفس واليد؛ فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَلْسِنَتِكُمْ"[(١)].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أيضًا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَلْسِنَتِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَمْوَالِكُمْ، وَأَيْدِيكُمْ"[(٢)].

فالجهاد له أنواع كثيرة؛ فلقد أكدت النصوص الشرعية على أن الجهاد يقع باللسان والمال والنفس واليد، وينبغي على تعريف الجهاد الاصطلاحي أن يشمل كل أنواع الجهاد المختلفة، القتالي منها وغير القتالي؛ فيشمل جهاد اللسان والمال والنفس والشيطان والمنافقين والكفار المحاربين المعتدين وغير ذلك، ولذلك كان التعريف الاصطلاحي المرتضى للجهاد هو ما ذكرناه سابقًا ألا وهو بذل الجهد واستفراغ الوسع في إعلاء كلمة الله ونصرة دينه ومبادئ إسلامه سواء كان ذلك بالقول أو العمل أو المال.

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود، الجهاد/ كراهيةِ تركِ الغزو، ج٤/١٥٩، حديث رقم: ٢٥٠٤، وصححه الألباني رحمه الله تعالى في كتابه صحيح أبي داود، للألباني، ج٧/٢٦٥، حديث رقم: ٢٢٦٢.

(٢) مسند أحمد، ابن حنبل، ٢٠/٢٦، وصححه الألباني رحمه الله تعالى في كتابه صحيح أبي داود، للألباني، ج٧/٢٦٥، حديث رقم: ٢٢٦٢.

الفصل الأول
أهداف الجهاد وغاياته في الإسلام

المبحث الأول

دوافع العقيدة في الجهاد

لا يختلف اثنان عاقلان عالمان من المسلمين نوَّر الله تعالى بصيرتهما، وعمَّر قلوبهما بالإيمان، أن للإيمان دورًا بارزًا في صناعة الفرسان، وأن الاعتقاد من دوافع الجهاد والاستشهاد.

المطلب الأول

ربط القرآن بين الإيمان والجهاد وأموره

لقد ربط القرآن الكريم كثيرًا بين الإيمان والجهاد وأموره، وذلك في كثير من نصوصه وآياته؛ لبيان وثيق العلاقة بينهما، ولفت الأنظار لدور الإيمان في الجهاد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ**﴾[الممتحنة: ١].

وقال تعالى: ﴿**لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُـلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً**﴾[النساء: ٩٥].

وقال تعالى: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [التوبة: ١٩].

قال ابن رجب رحمه الله تعالى:" الآيةَ تدلُّ على أنَّ أفضلَ ذلكَ الجهادُ مع الإيمانِ؛ فدل على أنَّ التطوعُ بالجهادِ أفضلُ من التطوعُ بعمارةِ المسجد الحرامِ وسقاية الحاجِّ"[١].

وقال تعالى: ﴿**لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ**﴾ [التوبة: ٤٤].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:" أخبر تعالى أنه لا يستأذنه في القعود عن الغزو أحد يؤمن بالله ورسوله؛ فقال: لا يستأذنك؛ أي في القعود عن الغزو الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم؛ لأنهم يرون الجهاد قربة ولما ندبهم إليه بادروا وامتثلوا والله

---

(١) روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)لابن رجب الحنبلي، ج١/٤٩٥.

عليم بالمتقين إنما يستأذنك أي في القعود ممن لا عذر له الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر أي لا يرجون ثواب الله في الدار الآخرة على أعمالهم وارتابت قلوبهم أي شكت في صحة ما جئتهم به فهم في ريبهم يترددون أي يتحيرون يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى وليست لهم قدم ثابتة في شيء فهم قوم حيارى هلكى لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلًا"(١).

وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ**﴾ **[التوبة: ٨٦]**.

وقال تعالى: ﴿**لَـكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾**[التوبة: ٨٨]**.

وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾**[الحجرات:١٥]**.

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى:" المقصود من إدماج ذكر الجهاد التنويه بفضل المؤمنين المجاهدين وتحريض الذين دخلوا في الإيمان على الاستعداد إلى الجهاد"(٢).

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ **[الصف ١٠- ١١]**.

وأحيانًا تجد في نفس الآية ذكر للإيمان وللجهاد في سبيل الله تعالى وإن كان أحيانًا بينهما كلام إلا أن النص الواحد يجمعهما، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾**[البقرة: ٢١٨]**.

فلقد جاء ذكر الهجرة بين ذكر الإيمان والجهاد في الآية إلا أن الهجرة من الجهاد؛ بل هي جهاد؛ فذكر الجهاد بعدها ذكر للعموم بعد الخصوص، وتقديم الهجرة على الجهاد وإفرادها بالذكر، هو من باب الأهمية؛ فإن إفراد الخاص عن العام يفيد الاهتمام.

وكذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم**

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٤/١٤٠.

(٢) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، ج٢٦/ ٢٢٣.

مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[الأنفال: ٧٢].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٤].

وكذلك قوله تعالى بعد هذه الآية التي ذكرناها: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥].

وكذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾[التوبة: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[المائدة: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤].

وإن القرآن ربط بين الإيمان والشهادة في سبيل الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[آل عمران: ١٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[الزمر: ٦٩].

فذكر الله تعالى الشهداء في ثنايا حديثه عن مشاهد يوم القيامة من إشراق الأرض بنور ربها، ووضع الكتاب، وقضاء الحق بالحق، وبلا شك إن شهداء الجهاد في سبيل الله تعالى داخلون في لفظ " والشهداء " الوارد في الآية، إن قيل بعموم لامها وبأنها استغراقية وليست عهدية تريدهم على وجه الخصوص والتنصيص والتحديد والتعيين.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾[الحديد: ١٩].

بل إنك تجد في كتاب الله تعالى مقاطع قرآنية تتكون من جملة من الآيات تتحدث مثلًا عن الاستشهاد في سبيل وفضلها وتربط ذلك بقضايا إيمانية من مشاهد الغيب، وتعدد ذكر الإيمان كلما دعت الحاجة إليه، كما في قوله تعالى: **﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ* الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ* الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ* فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ* إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٥].**

فذكر الله تعالى في هذا المقطع حياة الشهداء عنده وأنهم يرزقون في نفس الآية التي يتحدث فيها عن الشهداء في سبيله، ثم ذكر مباشرة في الآية التي تليها فرح هؤلاء الشهداء بما أوتوا من الفضل الإلهي، وهذا من مشاهد الآخرة المتعلقة بالشهداء، ثم ذكر في الآية التي بعدها استبشارهم بنعم من الله وفضل ذكر الله تعالى الإيمان تأكيدًا منه سبحانه وتعالى أن للإيمان فضلًا في المبتدى وأجرًا في المنتهى؛ بل وبعد ذلك وفي المقطع ذاته لما جاء على تهديدات تريد زعزعة النفس ذكر المثبت بفضله تعالى ألا وهو الإيمان؛ فقال ﷻ: **﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[آل عمران: ١٧٣].**

ومن علاقة الجهاد بالإيمان بالله تعالى أنه لا يكون مقبولًا إلا إذا كان في سبيله؛ فالجهاد المقبول عند الله تعالى ما كان في سبيله، أو لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى؛ فعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ"(١).

وصدق الله تعالى القائل: **﴿الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾[النساء: ٧٦].**

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، العلم/من سأل وهو قائم عالما جالسًا، ج١/٥٨، حديث رقم: ١٢٣، وصحيح مسلم، مسلم، الْإِمَارَةِ/ مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، ج٣/١٥١٢، حديث رقم: ١٩٠٤.

ومن العلاقة بين الجهاد والإيمان أن الجهاد في الإسلام لا يكون إلا على أساس الإيمان كي يكون مقبولًا عند الله تعالى؛ فعَنْ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالْحَدِيدِ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُقَاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ؟ قَالَ:" أَسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِلْ؛ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَاتَلَ؛ فَقُتِلَ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا"[(١)].

فأول خطوة على طريق قبول الجهاد عند الله تعالى ليثاب العبد عليه في الدار الآخرة أن يكون صاحبه مؤمنًا، وصدق الله تعالى القائل: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ* يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف: ١٠-١٣].**

فناداهم بالإيمان (يا أيها الذين آمنوا) ثم ذكر الإيمان بالله تعالى والرسول ﷺ فقال: (تؤمنون بالله ورسوله) ثم ذكر بعدها الجهاد في سبيل الله تعالى فقال:(وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) فكان ذكر الله تعالى للإيمان سابق على ذكره للجهاد؛ لأن الإيمان أولًا في الإسلام ثم الطاعات من مثل الجهاد وغيره، وذكر الله تعالى الجهاد بعد ذكره للإيمان لأنه لا يكون إلا على أساسه.

والخلاصة أن الجهاد له دوافع شرعية عقدية، ومن ذلك أن القرآن ربط في نصوص كثيرة من آياته المتلوة بين الجهاد والإيمان، وكذلك ربط القرآن بين الهجرة والإيمان والجهاد، وكذلك ربط القرآن بين الإيمان والشهادة، وكذلك ربط القرآن بين مشاهد غيبية والشهادة في سبيل الله.

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ عمل صالح قبل القتال، حديث رقم: ٢٦٥٣، ج٣/ ١٠٣٤، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، الإمارة/ثبوت الجنة للشهيد، ج٣/ ١٥٠٩، حديث رقم: ١٩٠٠،

المطلب الثاني

دور الإيمان في تحقيق الجهاد الحق

إن الله تعالى يبعث روح الجهاد في نفوس من لحقها التثاقل والإخلاد للأرض؛ بتذكيرهم بالإيمان ومناداتهم به، وبيان عظيم ما أعد الله تعالى لهم في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ** ﴾**التوبة٣٨.**

وكذلك فإن الله تعالى كان يحفز على الجهاد والاستشهاد بما أعده لأهل الإيمان من الفرسان المجاهدين من المسلمين من جنات ونعيم، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾**التوبة١١١.**

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ{١٠} تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ{١١} يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ{١٢} وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ **[الصف: ١٠– ١٣].**

وعين الزمان شاهدة على أن نفوس المجاهدين المخلصين من المسلمين كان يحركها ويشحنها الإيمان، وإن الشواهد على ذلك كثيرة؛ بل وعديدة؛ فهذا عمير بن الحمام ﷺ من أصحاب النبي ﷺ تدفعه الجنة للاستشهاد في سبيل الله تعالى للتحصل عليها والفوز بها؛ فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: أَيْنَ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ قُتِلْتُ؟ قَالَ:" فِي الْجَنَّةِ"؛ فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ"(١).

فأنت تقرأ الحديث وتفهم منه أنه ألقى التمرات من يده رغبًا فيما عند الله تعالى من نعيم في الدار الآخرة من جنة عرضها السموات والأرض؛ فباعث الجهاد الأقوى هو الإيمان بالله تعالى والثواب المعد والمهيأ من الكريم سبحانه وتعالى، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: انْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، المغازي/ غزوة أحد، حديث رقم: ٣٨٢٠، ج١٤٨٧/٤، صحيح مسلم، مسلم، الْإِمَارَةِ، بَابُ ثُبُوتِ الْجَنَّةِ لِلشَّهِيدِ، ج١٥٠٩/٣، حديث رقم: ١٩٠١.

رَسُولُ اللهِ ﷺ:" لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ"، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ"، قَالَ: فَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: "نَعَمْ"، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟ قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ:" فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا"، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ"(١).

وهذا عمرو بن الجموح ﷺ من أصحاب النبي ﷺ كان أعرج؛ بل وشديد العرج، تدفعه الجنة للاستشهاد في سبيل الله تعالى ويرجو أن يطأها بعرجته المعروفة، وأن تكون رجله صحيحة في الجنة بعد ذلك بلا عرج ولا مرض؛ فإنه لم يشهد بدرًا، فلما كان يوم معركة أحد، أراد الخروج مع رسول الله ﷺ مجاهدًا في سبيل الله تعالى، وكان له أربعة من البنين شباب، يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا؛ فَقَالَ لِبَنِيهِ: أَخْرِجُونِي؛ فمنعه بنوه، وقالوا: قد عذرك الله، وقَدْ رَخَّصَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَذِنَ لك فِي الْمُقَامِ، قَالَ: هَيْهَاتَ مَنَعْتُمُونِي الْجَنَّةَ بِبَدْرٍ وَتَمْنَعُونِيهَا بِأُحُدٍ؛ فأتى رسول الله ﷺ، وَقَالَ: إن بني يريدون أن يحبسوني عن الخروج، والله إني أرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال له رسول الله ﷺ:" أما أنت فقد عذرك الله تعالى، فلا جهاد عليك" يشير لقول الله تعالى: **﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ... ﴾ [النور: ٦١] [الفتح: ١٧]**. وقال لبنيه: لا عليكم أن تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة"، فتركوه، قالت امرأته: كأني أنظر إليه موليًا قد أخذ رقبته، فخرج وهو يقول مستقبل القبلة: اللهم لا تردّني إلى أهلي خائبا؛ فَخَرَجَ، فَلَمَّا الْتَقَى النَّاسُ، قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ الْيَوْمَ أَطَأُ بِعَرَجَتِي هَذِهِ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَطَأَنَّ بِهَا الْجَنَّةَ الْيَوْمَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛ فَخَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا؛ فعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه(٢) قَالَ: أَتَى عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلْتُ فِي

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، الْإِمَارَةِ، بَابُ ثُبُوتِ الْجَنَّةِ لِلشَّهِيدِ، ج٣/١٥١٠، حديث رقم: ١٩٠١.

(٢) هو: تميم بن نذير، أبو قتادة، عدوي، بصري، ونذير بضم النون وفتح الذال المعجمة العدوى، ويقال: تميم بن الزبير، ويقال: بن يزيد، مختلف فِي صحبته، وكان من فصحاء الصحابة بالبصرة، وفي سنة أَربع وَأَرْبَعين فتح كابل فِيهَا، افْتتح ابْن عَامر كابل، وَقتل بكابل أَبُو قَتَادَة الْعَدوي. انظر تاريخ خليفة بن خياط، لخليفة بن خياط بن خليفة، تحقيق: العمري، ص ٢٠٦، والجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، ج٢/٤٤١، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، ج٢/٧، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، ج٣٤/١٩٧، وتهذيب التهذيب، لابن حجر، ج١٢/٩٦.

سَبِيلِ اللهِ حَتَّى أُقْتَلَ أَمْشِي بِرِجْلِي هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ؟، وَكَانَتْ رِجْلُهُ عرجَاءَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" نَعَمْ "؛ فَقَتَلُوهُ يَوْمَ أُحُدٍ هُوَ وَابْنُ عَمِّهِ وَمَوْلًى لَهُمْ، فَمَرَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ:" كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ تَمْشِي بِرِجْلِكَ هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ"[1].

وهذا أنس بن النضر ﷺ من أصحاب النبي ﷺ كان محبًا للجنة وأن يكون من أهلها حتى إنه من شدة شوقه لها شم ريحها ووجده دون جبل أحد، وذلك قبل بدء معركة أحد؛ فكان ذلك مزيد مشجع له في الجهاد والاستشهاد رغبة دخولها وأن يكون من أهلها؛ فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ؛ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وَانْكَشَفَ المُسْلِمُونَ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ، يَعْنِي أَصْحَابَهُ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ، يَعْنِي المُشْرِكِينَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ؛ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا سَعْد بْنَ مُعَاذٍ، الجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ، قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ، قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ، وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ المُشْرِكُونَ؛ فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ، قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وفي أشباهه **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ... ﴾[الأحزاب: ٢٣]**. إلى آخر الآية[2].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: نُرَى هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ: **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ... ﴾[الأحزاب٢٣]**. [3].

ولقد كان للإيمان دورًا في تسلية المسلم عند المصائب بل وتحليه بالصبر والرضا؛ فهذه أم تأتي لرسول الله ﷺ تبكي ابنها الذي استشهد في المعركة ولا يوقف بكائها إلا إيمانها بالله

---

(١) مسند الإمام أحمد، ابن حنبل، ج٣٧/٢٤٧، حديث رقم: ٢٢٥٥٤، وانظر حكم ابن حجر رحمه الله تعالى على الحديث في كتابه فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، ج٥/١٧٨، وانظر حكم الشيخ الألباني رحمه الله تعالى على الحديث في كتاب فقه السيرة، لمحمد الغزالي، تخريج، الألباني، ص٢٦٧.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ قول الله تعالى:﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ الأحزاب٢٣، ج٣/١٠٣٢، حديث رقم: ٢٦٥١، وصحيح مسلم، مسلم، الإِمَارَةِ/ ثُبُوتِ الْجَنَّةِ لِلشَّهِيدِ، ج٣/١٥١٢، حديث رقم: ١٩٠٣.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، التفسير/ ﴿... فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ الأحزاب٢٣، ج٤/١٧٩٥، حديث رقم: ٤٥٠٥،.

تعالى وصدق إخبار رسول الله ﷺ بأن ابنها في الجنة وقد أصاب منها الفردوس الأعلى؛ فتسكن نفسها وترجع إلى بيتها صابرة محتسبة وراضية بقضاء الله تعالى وقدره؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ البَرَاءِ، وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ، أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ؛ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلاَ تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ، وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ، أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ؛ فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ، اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي البُكَاءِ؟ قَالَ:" يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى"(١).

ومما يؤكد أن للإيمان دورًا رئيسًا وأساسًا في تثبيت المؤمن عند المصائب قول النبي ﷺ؛ فعَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ"(٢).

ولقد بوب الإمام النووي رحمه الله تعالى بابًا في صحيح مسلم تحت عنوان:" بابُ: الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ "(٣).

ومما جعل دورًا للإيمان في مقاتلة صناديد الكفران، عند أسود الميدان من أهل الإسلام والقرآن، أن الله تعالى جعل تحقيقه من أسباب النصر والتمكين، كما قال تعالى: **﴿... وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الروم: ٤٧].**

وقال تعالى: **﴿... وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾[المنافقون: ٨].**

وقال تعالى: **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[النور: ٥٥].**

ولقد كان من أهل الإسلام من يخرجه للجهاد في سبيل الله تعالى إيمانه وقوته وهؤلاء تكفل الله تعالى لهم بالجنة؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي، وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ من أتاه سهم غرب فقتله، ج٣/١٠٣٤، حديث رقم: ٢٦٥٤.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ/ الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، ج٤/٢٢٩٥، حديث رقم: ٢٩٩٩.

(٣) انظر صحيح مسلم وهو المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، للإمام مسلم، تحقيق: عبد الباقي، ج٤/٢٢٩٥.

غَنِيمَةٍ، أَوْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَلَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ"(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ"(٢).

فالإيمان يخرج الفرسان من أهل الإسلام للدفاع عن دين الرحمن ثم للدفاع عن الأوطان، وأما أهل النفاق فيمنعهم نفاقهم من الخروج للقتال في سبيل الله تعالى؛ بل ويفرحون بهذا المعصية من القعود والتخلف عن أداء هذا الواجب العظيم، كما قال تعالى: ﴿**فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ** ﴾ **[التوبة: ٨١].**

وقال تعالى عن بعض المنافقين المتخلفين عن الجهاد إذا دعوا إليه: ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴾**[التوبة: ٤٩].**

وأهل النفاق عندهم مشكلة في إيمانهم بالله تعالى والصدق معه، ولذلك لا عجب أن تجد ذكر الجهاد مذكورًا في كتاب الله تعالى بين الإيمان والصدق؛ فهذا مداره، يدور بين هذين الأصلين العظيمين، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾**[الحجرات: ١٥].**

فالإيمان داعٍ للجهاد والصدق وأما النفاق فداعٍ للخذلان والتخلف عن الجهاد والكذب؛ ففي كل موطن من مواطن الجهاد ومشاهد الإيمان يصدق المؤمن أخبار ربه سبحانه وتعالى

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، الإيمان/ الجهاد من الإيمان، ج١/٢٢، حديث رقم: ٣٦، صحيح مسلم، مسلم، الْإِمَارَةِ/ فَضْلِ الْجِهَادِ وَالْخُرُوجِ فِي سَبِيلِ اللهِ، ج٣/١٤٩٥، حديث رقم: ١٨٧٦.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، الإيمان/ الجهاد من الإيمان، ج١/٢٢، حديث رقم: ٣٦، صحيح مسلم، مسلم، الْإِمَارَةِ/ فَضْلِ الْجِهَادِ وَالْخُرُوجِ فِي سَبِيلِ اللهِ، ج٣/١٤٩٥، حديث رقم: ١٨٧٦.

ورسوله ﷺ بخلاف المنافق فتراه في كل موطن يكذب ويطعن في الإيمان وأهله الصادقين، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [الأحزاب: ٢٢-٢٤].**

ولذلك بوب الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان بابًا بعنوان:" باب الجهاد من الإيمان"[١].

وذلك من أجل الدلالة على الجهاد الحقيقي لا يقوم به إلا المؤمنون، وكذلك لبيان أن القعود عن واجب الجهاد في حق المؤمن القادر الخالي من الأعذار الشرعية المعتبرة لا يكون ديدنًا له ولا يصدر منه ذلك، وكذلك لبيان أن الفاقد للإيمان المضيع له هو من يضيع الجهاد في سبيل الله تعالى، وأن هؤلاء هم أهل القعود عن أداء واجب الجهاد وفرضه، وهؤلاء هم أهل النفاق، وكذلك لبيان أن الجهاد من شعائر الإسلام وأن الإيمان يزيد به وينقص بمعارضته ومخالفته والقعود عنه والتخلف، وهذا التبويب من الإمام البخاري رحمه الله تعالى رد على المرجئة الذين أخرجوا الأعمال من مسمى الإيمان.

والذي نخلص إليه أنه كان للإيمان دورًا في تسلية المسلم عند المصائب؛ بل وتحليه بالصبر والرضا، وأن الله تعالى جعل تحقيق الإيمان من أسباب النصر والتمكين على الكفران، ولقد كان من أهل الإسلام من يخرجه للجهاد في سبيل الله تعالى إيمانه وقوته، وهؤلاء تكفل الله تعالى لهم بالجنة.

---

(١) انظر صحيح البخاري وهو الجامع الصحيح المختصر، للإمام البخاري، ج١/٢١.

المبحث الثاني

أهداف الجهاد المتعلقة بالعقيدة

إن الجهاد في سبيل الله تعالى مشروع، وما شرعه الله تعالى إلا لغايات عظيمة وأهداف جليلة، وأسباب عديدة؛ والذي يعرف هذه الأسباب والأهداف والغايات يستطيع أن يجيب على السؤال القائل: لماذا شرع الله تعالى الجهاد؟ ويتأكدَ أن الجهاد ليس لإجبار الناس على اعتناق الإسلام كما زعم بعض الجهلاء من أعداء الإسلام، ويعرفَ أن الجهاد وسيلة وليس غاية؛ فالجهاد لم يشرع لذاته؛ بل شرع لغيره؛ فلو ترك الإسلام وشأنه ما رفع السيف على أحد؛ فلا حرب إلا على المعتدين ولا قتال إلا للمحاربين، ولو ترك الإسلام وشأنه ما كان للسيف موضعًا؛ فالإسلام ليس همه الأكبر قطع الرؤوس ونزف الدماء الذي يحاول تصويره أعداء الإسلام عن سبب الجهاد الحقيقي وغايته العظيمة، وإنما هَمُّ الإسلام الأكبر هداية الناس للحق بالاختيار دون الإجبار، والجهاد في الإسلام لا ظلم فيه؛ فشرع درءًا للحرابة ودفعًا للعدوان ومنعًا للظلم وما شابه ذلك.

والغاية ينبغي أن تتناسب مع الباعث؛ فإذا كان الباعث على القتال العدوان كان رد العدوان وصده هي الغاية التي يوقف عندها وتنهي الحرب حال الوصول إليها، والجهاد في الإسلام ليس جهاد عدوان؛ بل هو جهاد لرد العدوان.

وإذا غاب عن الجهاد أهدافه ونسيت غاياته، ودفنت حكمه، كان كالجسد إذا خرج منه الروح، جيفة له رائحة منتنة، ولذلك يجب أن لا يغيب عن المسلم غايات الجهاد وأهدافه وحكمه ليؤتي ثماره المرجوة؛ ليبقى مع الإسلام وليس عليه.

وأما الأسباب والأهداف التي من أجلها شرع الله تعالى الجهاد في سبيله فكثيرة جدًا، علمها من علمها وجهلها من جهلها، وسنذكرها في التالي:

المطلب الأول

أهداف الجهاد المتعلقة بالضرورات الخمس

إن للجهاد في الإسلام أهدافًا نبيلة وغايات شريفة بالضرورات الخمس، ومن هذه الأهداف النبيلة والغايات الشريفة:

أولًا: الدفاع عن الدين.

لقد كان حكام ورؤساء القبائل يمنعون الدعاة إلى الله تعالى من الدخول إلى بلادهم وقبائلهم من أجل دعوة أبناء بلادهم وقبائلهم؛ فشرع الله تعالى الجهاد من أجل إزالة العقبات والموانع من وجهة دعوة الحق ليصل دينُ الله تعالى للناس أينما كانوا وحيث ما حلوا، كما قال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾**[البقرة: ١٩٣].**

وقال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾**[الأنفال: ٣٩].**

ثانيًا: حماية النفس.

إن الله تعالى شرع الجهاد من أجل الدفاع عن النفس؛ فلو أراد أحد أن يتعدى على أنفسنا فلنا أن نقاتله، ونردَّ كيده إلى نحره، والعقل الصحيح لا يقبل أن يقف الإنسان مكتوف الأيدي أمام من يقاتله، ومن هنا كان مشروعية الدفاع عن النفس، وكانت حمايتها والمحافظة عليها مقصد وهدف وغاية من مقاصد وأهداف وغايات دين الإسلام، كما قال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ**﴾**[البقرة: ١٩٠].**

والمعنى:" وقاتلوا في سبيل الله – أي لغرض إعلاء كلمة الله – الذين يبدئونكم بالقتال دفاعًا عن أنفسكم، وحريتكم في أداء العبادة، ولا تعتدوا بقتل النساء والصبيان، والشيوخ المسنين، ومن ألقى إليكم السَّلام، وكف يده عنكم، فإن قتلتموهم فقد اعتديتم وتجاوزتم ما يحل لكم، إن الله لا يحب المعتدين؛ بل يبغضهم ويعاقبهم"[(١)].

وقال تعالى: ﴿**... فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ**﴾**[البقرة: ١٩١].**

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ج١/٣٠١.

وقال تعالى: ﴿ **الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ **[البقرة : ١٩٤].**

وقال تعالى: ﴿ **أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ** ﴾ **[التوبة: ١٣].**

ولقد أخبر النبي ﷺ بأن من قتل وهو يدافع عن نفسه ليرد عدوان القتل عنها، وليحفظ دمه من أن يسفك بغير حق؛ فقتل فهو شهيد، ولقد أخبر النبي ﷺ بذلك؛ فعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ"(١).

ثالثًا: حماية العرض.

لقد أخبر النبي ﷺ بأن من قتل وهو يدافع عن أهله أي عرضه؛ فقتل فهو شهيد؛ فعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ"(٢).

رابعًا: حماية المال.

لقد شرع الله تعالى الجهاد من أجل حفظ الأموال ممن أراد سلبها وأخذها منا بغير حق، ومن هنا كانت حماية الأموال مقصد وهدف وغاية من مقاصد وأهداف وغايات دين الإسلام، وقد جاءت نصوص الشرع ناطقة بذلك؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:" مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ"(٣).

أي من قتل وهو يدافع عن ماله فهو شهيد لأن دفاعه عن ماله مشروع.

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود، السنة/ في قتال اللصوص، ج٧/ ١٥١، حديث رقم: ٤٧٧٢، وصححه الشيخ الألباني في كتابه إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للألباني، ج٣/ ١٦٤.

(٢) سبق تخريجه، ٣٦.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، المظالم والغصب/ من قاتل دون ماله، حديث رقم: ٢٣٠٠، صحيح مسلم، مسلم، الإيمان/ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَنْ قَصَدَ أَخْذَ مَالِ غَيْرِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ كَانَ الْقَاصِدُ مُهْدَرَ الدَّمِ فِي حَقِّهِ وَإِنْ قُتِلَ كَانَ فِي النَّارِ وَأَنَّ مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، ج١/١٢٤، حديث رقم: ١٤١.

وعَنْ سُلَيْمَانَ الْأَحْوَلِ[1] أَنَّ ثَابِتًا مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه وَبَيْنَ عَنْبَسَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ مَا كَانَ، تَيَسَّرُوا لِلْقِتَالِ؛ فَرَكِبَ خَالِدُ بْنُ الْعَاصِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو؛ فَوَعَظَهُ خَالِدٌ؛ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ"[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: قَاتِلْهُ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: فَأَنْتَ شَهِيدٌ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: هُوَ فِي النَّارِ"[3].

وإن أرض الإنسان التي يملكها من ماله، والله تعالى قد شرع الجهاد من أجل الدفاع عن الأرض؛ فلو أراد أحد أن يعتدي على أرضنا فلنا أن نقاتله، ونردَّ كيده إلى نحره، والعقل الصحيح لا يقبل أن يقف الإنسان مكتوف الأيدي أمام من يريد سلب أرضه، ومن هنا كان مشروعية الدفاع عن الأرض، وكانت حمايتها والمحافظة عليها مقصد وهدف وغاية من مقاصد وأهداف وغايات دين الإسلام، كما قال تعالى: **﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٣٩-٤١]**

وقال تعالى: **﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ﴾[البقرة: ١٩١].**

---

(١) هو: سُلَيْمان بن أَبي مسلم المكي الأحول، خال عَبد اللَّهِ بْن أَبي نجيح، ويُقال: ابن خالته. وأَبُو مسلم يقال: اسمه عَبد اللَّهِ، وثقه الحميدي وأَحْمَد بْن حنبل ويحيى بْن مَعِين، وأبو حاتم، وأَبُو دَاوُد، والنَّسَائي، روى له الجماعة. انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، ج١٢/٦٢ -٦٣.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، المظالم والغصب/ من قاتل دون ماله، ج٢/٨٧٦، حديث رقم: ٢٣٤٨، صحيح مسلم، مسلم، الإيمان/ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَنْ قَصَدَ أَخْذَ مَالِ غَيْرِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ كَانَ الْقَاصِدُ مُهْدَرَ الدَّمِ فِي حَقِّهِ وَإِنْ قُتِلَ كَانَ فِي النَّارِ وَأَنَّ مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، ج١/١٢٤، حديث رقم: ١٤١، واللفظ لمسلم.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، الإيمان/ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَنْ قَصَدَ أَخْذَ مَالِ غَيْرِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ كَانَ الْقَاصِدُ مُهْدَرَ الدَّمِ فِي حَقِّهِ وَإِنْ قُتِلَ كَانَ فِي النَّارِ وَأَنَّ مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، ج١/١٢٤، حديث رقم: ١٤٠.

والخلاصة أن الجهاد شرع في الإسلام للدفاع عن الضرورات الخمس التي جاء بحفظها؛ فالجهاد مشروع في الدفاع عن الدين والنفس والعرض والأرض والمال حال التعدي على أي منها؛ فمن قتل حين الدفاع عنها فهو شهيد إن شاء الله تعالى ما دام من المسلمين.

المطلب الثاني

أهداف الجهاد المتعلقة بالقوة والضعف

إن للجهاد في الإسلام أهدافًا نبيلة وغايات شريفة تتعلق بالقوة والضعف فيها الرفعة لدين الله تعالى الإسلام، ورفع الذل المفروض والاستضعاف الظالم على الناس، ومن هذه الأهداف النبيلة والغايات الشريفة:

أولًا: حماية المستضعفين.

لقد شرع الله تعالى الجهاد من أجل الدفاع عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان؛ فلو أراد أحد أن يتعدى عليهم؛ فلنا أن نقاتله، ونردَّ كيده إلى نحره، والعقل الصحيح لا يقبل أن يقف الإنسان مكتوف الأيدي أمام من يتعدى على الناس في الأرض ويستضعفهم دون أن ننصرهم، ومن أجل ذلك كانت مشروعية الدفاع عن المستضعفين في الأرض، وكانت حمايتهم وحريتهم مقصد وهدف وغاية من مقاصد وأهداف وغايات دين الإسلام، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً** ﴾**[النساء: ٧٥]**.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:" يحرض تعالى عباده المؤمنين على الجهاد في سبيله، وعلى السعي في استنقاذ المستضعفين بمكة من الرجال والنساء والصبيان المتبرمين من المقام بها، ولهذا قال تعالى: الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية يعني مكة، كقوله تعالى: ﴿ **وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ ...** ﴾ **[محمد: ١٣]**. ثم وصفها بقوله: ﴿**... الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً** ﴾**[النساء: ٧٥]**. أي سخر لنا من عندك وليا وناصرا"[١].

ثانيًا: انهاء مرحلة المحنة من ذل واستضعاف.

إن الله تعالى شرع الجهاد من أجل انهاء مرحلة المحنة من ذل واستضعاف وإجبار على ترك الإسلام الذي اخترناه بمحض إرادتنا وكامل حريتنا، ومن أجل الدفاع عن الكرامة والحرية؛ فلو أراد أحد أن يتعدى على كرامتنا وأن يستعبدنا ويذلنا فلنا أن نقاتله، ونردَّ كيده إلى

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٢/٣١٤-٣١٥.

نحره، والعقل الصحيح لا يقبل أن يقف الإنسان مكتوف الأيدي أمام من يذله ويستعبده ويهين كرامته، ومن هنا كانت مشروعية انهاء مرحلة المحنة من ذل واستضعاف والدفاع عن الكرامة، وكان العيش بحرية دون استعباد والحياة بكرامة دون ذلة مقصد وهدف وغاية من مقاصد وأهداف وغايات دين الإسلام، ومن هنا نقاتلهم حتى لا تكون فتنة ومحنة، كما قال تعالى: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[البقرة: ١٩٣].**

وقال تعالى: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[الأنفال: ٣٩].**

قال ابن جريج[١]: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه ...﴾** أي: لا يفتن مؤمن عن دينه، ويكون التوحيد لله خالصًا ليس فيه شرك، ويُخلع ما دونه من الأنداد[٢].

ثالثًا: لتكون الهيمنة للإسلام على الكفار المحاربين المعتدين.

لقد شرع الله تعالى الجهاد من أجل أن تكون الهيمنة للإسلام على الكفار المحاربين المعتدين؛ فلا يجوز أن يكون الإسلام وأهله مستضعفين لأولئك، ولذا كانت مشروعية العمل على أن تكون الهيمنة للإسلام والمسلمين بالعلو على الكفار المحاربين المعتدين، كما قال تعالى: **﴿... وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾[النساء: ١٤١].** وهذا خبر في معنى الأمر، يحمل فحوى أن يعمل أهل الإيمان على أن تكون الهيمنة للإسلام على الكفار المحاربين المعتدين، وليس العكس؛ ففرض الهيمنة على من يريد إذلال الإسلام وأهله واجب لابد من العمل على تحقيقه، وهو مقصد عظيم من مقاصد الإسلام وأهدافه وغاياته، والإسلام يعلو ولا يُعلى عليه، وهذا يأتي في سياق وسبيل تحقيق العزة للإسلام وأهله، وصدق الله تعالى القائل: **﴿... وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[المنافقون: ٨].**

---

(١) هو: عَبد المَلِك بن عبد العزيز بن جُرَيْج القرشي، الأُمَوِي، طلب العلم حتى شهد بالعلم له؛ فعن ابن جُرَيْج: اختلفت إلى عطاء ثماني عشرة سنة وكان يبيت في المسجد عشرين سنة، وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَة: سَمِعْتُ ابن جُرَيْج يقول: ما دون العلم تدويني أحد، وعن مخلد بن الحسين: ما رأيت خلقا من خلق الله أصدق لهجة من ابن جُرَيْج، وَعَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ: ما رأيت أحدا أحسن صلاة من ابن جُرَيْج، قال عَمْرو بن علي: مات سنة تسع وأربعين ومئة. انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، ج١٨/٣٣٨-٣٥٢.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ج١٣/٥٣٩.

ولا تعني هيمنة الإسلام ظلم الآخرين من الناس وغير المسلمين؛ بل الإسلام أقر قواعد العدل حتى مع الخصوم؛ بل وجعل ذلك دينًا.

رابعًا: لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

لقد شرع الله تعالى الجهاد من أجل أن تكون كلمته هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى؛ فالله تعالى يريد منا أن نعمل على أن تكون كلمته هي العليا وأن تكون كلمة الذين كفروا هي السفلى، كما قال تعالى: ﴿**إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾**[التوبة: ٤٠].**

فكلمة الله تعالى هي العليا قدرًا، وواجب شرعًا على المسلمين أن يعملوا على تحقيق ذلك، وعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ"[(١)].

فرسول الله ﷺ يخبر بأن القتال الذي في سبيل الله تعالى هو ما كان لله تعالى وحده خالصًا فحينئذٍ يكون القتال في سبيله ما دام من أجله وحده دون غيره، ولا يشركه فيه أحد.

خامسًا: تحقيق العدل وإزالة الظلم.

لقد شرع الله تعالى الجهاد من أجل أن يحل العدل بدلًا من الظلم، والحرية بدلًا من الاستعباد والاستبداد، وهذا في أصله من المقاصد العامة للإسلام، كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾**[الحديد: ٢٥].**

فالله تعالى عقب في هذه الآية الكريمة على القسط وهو العدل بإنزال الحديد والذي فيه بأس شديد لإقرار العدل ورفع الظلم بشكل عام عن المسلمين وغيرهم ولو دعا ذلك لاستخدام السيوف في قمع الظلم وأهله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" لَنْ يَقُومَ الدِّينُ إلَّا بِالْكِتَابِ وَالْمِيزَانِ وَالْحَدِيدِ؛ كِتَابٌ يَهْدِي بِهِ، وَحَدِيدٌ يَنْصُرُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا**

---

(١) سبق تخريجه، ٢٣.

مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ... ﴾ **[الحديد: ٢٥]**. فَالْكِتَابُ بِهِ يَقُومُ الْعِلْمُ وَالدِّينُ، وَالْمِيزَانُ بِهِ تَقُومُ الْحُقُوقُ فِي الْعُقُودِ الْمَالِيَّةِ والقبوض، وَالْحَدِيدُ بِهِ تَقُومُ الْحُدُودُ عَلَى الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، وَلِهَذَا كَانَ فِي الْأَزْمَانِ الْمُتَأَخِّرَةِ الْكِتَابُ لِلْعُلَمَاءِ وَالْعِبَادِ، وَالْمِيزَانُ لِلْوُزَرَاءِ وَالْكُتَّابِ وَأَهْلِ الدِّيوَانِ، وَالْحَدِيدُ لِلْأُمَرَاءِ وَالْأَجْنَادِ، وَالْكِتَابُ لَهُ الصَّلَاةُ، وَالْحَدِيدُ لَهُ الْجِهَادُ"(١).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:" أشْهد أَن مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُوله، وأمينه على وحيه، وَخيرته من خلقه، وسفيره بَينه وَبَين عباده، وحجته على جَمِيع الْإِنْس والجان، أرْسلهُ على حِين فَتْرَة من الرُّسُل؛ فهدى بِهِ إِلَى أقوم الطّرق، وَأبين السبل، وافترض على الْعباد طَاعَته، ومحبته، وتعظيمه وَالْقِيَام بحقوقه، وسد إِلَى الْجنَّة جَمِيع الطّرق؛ فَلم يفتح لأحد إِلَّا من طَرِيقه؛ فشرح الله لَهُ صَدره، وَرفع لَهُ ذكره، وَوضع عَنهُ وزره، وَبَعثه بِالْكتاب الْهَادِي، وَالسيف النَّاصِر، بَين يَدي السَّاعَة، حَتَّى يعبد سُبْحَانَهُ وَحده لَا شريك لَهُ، وَجعل رزقه تَحت ظلّ سَيْفه وَرمحه، وَجعل الذلة وَالصغَار على من قَابل أمره بالمخالفة والعصيان"(٢).

هذا وقد جاء نص شرعي عن النبي ﷺ ألفاظه قليلة وهو أشمل ما يمكن أن يكون قد ورد في السنة النبوية في ذكره لأسباب مشروعية الجهاد في سبيل الله تعالى؛ فهو يشمل كل أسباب مشروعية الجهاد في سبيل الله تعالى، وذلك فيما جاء عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ رضي الله عنه(٣) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ"(٤).

فقول النبي ﷺ " من قتل دون مظلمته فهو شهيد " شامل فكل سبب شرع الله تعالى الجهاد من أجله، إنما شرعه ليزيل الظلم ويحلَّ مكانه العدل.

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ج٣٥/٣٦.

(٢) الفروسية، لابن القيم، ص٨٢ –٨٣.

(٣) هو: مُحَمَّد بْن علي بْن الحسين بْن علي بن أَبي طَالِب الْقُرَشِي الهاشمي، أَبُو جَعْفَر الباقر، وأمه أم عَبد اللَّهِ بنت الحسن بن علي بن أَبي طالب، كَانَ ثقة، كثير الحديث، مدني، تابعي، ثقة، كان مولده سنة ست وخمسين، ومات تقريبًا حوالي سنة أربع عشرة ومئة. انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، ج٢٦/١٣٦-١٤١.

(٤) سنن النسائي، النسائي، تحريم الدم/ من قتل دون ماله، ج٧/ ١١٧، حديث رقم: ٤٠٩٦، وصححه لغيره الشيخ الألباني في كتابه صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، للألباني، ج٢/ ١٥٩، حديث رقم: ١٤١٣.

هذا وقد جاءت نصوص شرعية عامة ذكرت أهم أسباب مشروعية الجهاد في سبيل الله تعالى؛ فيحسن بالإنسان المسلم أن يتعرف عليها، وأن يعلم أنها جميعًا تأتي في سياق تحقيق العدل وقمع الظلم والاستبداد؛ فعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ"(١).

هذه أشهر وأهم أهداف ومقاصد وغايات الجهاد في سبيل الله تعالى وقد ذكرنا منها ما يتعلق بالعقيدة الإسلامية وبعضها أقرب من بعض من جهة الصلة بالعقيدة، لكن تشترك هذه الأهداف بأن دافع العقيدة والدين وراء بذل النفس في الدفاع عن المال والأرض وغير ذلك؛ فالإنسان لو قتل وهو يدافع عن أرضه ووطنه أو ماله وأهله فهو شهيد، وكذلك لو قتل وهو يدافع عن المستضعفين في الأرض، أو لرفعة الإسلام، وما شابه ذلك، والشهادة في سبيل الله جاءت في بيانها وفضلها الآيات العديدة والنصوص الكثيرة والأحاديث الصحيحة؛ فلا يبذل المرء نفسه في شيء مجهول عاقبته أو مشكوك فيه أو يأثم عند الله تعالى عليه؛ بل يعتقد في ذلك الشهادة في سبيل الله وهو يدافع عن حقوقه من مال وأرض وأهل ومستضعفين وهلمَّ جرًّا، والعقيدة تدفعه لبذل نفسه دفعًا للشهادة ما دام قد وجب الأمر وكان الجهاد.

---

(١) سبق تخريجه، ص٣٦.

المبحث الثالث

دور الجهاد في التربية الإيمانية

إن الجهاد طاعة من الطاعات؛ بل وقربة عظيمة من أجل القربات، والتي تزيد من الإيمان؛ بل وتقويه؛ فالجهاد في نفسه مربيًا، وما خالد بن الوليد ﷺ وعبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى إلا من تلاميذ هذه المدرسة، التي تُربي الرجال، وتُخرج الأبطال، وتُعلي قيمة الأجيال.

المطلب الأول

دور الجهاد في التربية على الإخلاص وبر الوالدين والعدل

لقد قدر الله تعالى أن يكون الجهاد بابًا للتعلم والتفقه في الدين؛ فكم من قضية وكم من مسألة جاء بها الجهاد؛ فتعرض لها الشرع بالتوضيح والبيان؛ فكان الجهاد سببًا في العلم والتفقه وطريقًا للعمل الصالح الذي يزيد في الإيمان، بل والبعد عن المعاصي والذنوب التي تنقص الإيمان، ومن الأمور المهمة والأخلاق الحسنة التي نبه الشرع عليها في الجهاد؛ فلا يسوغ أن يكون المجاهد مرائيًا أو عاقًا لوالديه أو ظالمًا جائرًا، ومن هذه الأمور:

أولًا: الإخلاص.

إن للجهاد شأنًا عظيمًا في الإسلام، وحتى لا ينطبق على صاحبه قوله تعالى: **﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (٢٣)﴾ [الفرقان: ٢٣]**. نبه رسول الله صلى الله ﷺ في مواطن عديدة ضرورة أن تكون النية خالصة لله وحده في الجهاد؛ فكان الجهاد داعيًا للإخلاص ليصح به وإلا فسد وضاع؛ فعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ"(١).

وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ(٢)، قَالَ: تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ(١): أَيُّهَا الشَّيْخُ، حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ

---

(١) سبق تخريجه، ص٢٣.

(٢) هو: سُلَيْمان بن يسار الهلالي، أَبُو أيوب، ويُقال: أبو عَبْد الرحمن، ويُقال: أبو عَبْد اللَّهِ، المدني مولى ميمونة زوج النَّبِيّ ﷺ ، أخو عطاء بْن يسار، وعَبد المَلِك بْن يسار، وعَبْد اللَّهِ بْن يسار، وكَانَ ثقة عالما رفيعا فقيها كثير الحديث، وكان السائل يأتي سَعِيد بْن المُسَيَّب فيقول: اذهب إلى سُلَيْمان بْن يسار فإنه أعلم من بقي اليوم، وَقَال مَالِك: كَانَ سُلَيْمان بْن يسار من علماء الناس بعد سَعِيد بْن المُسَيَّب، وكَانَ كثيرا =

ﷺ يَقُولُ:" إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ "(٢).

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى:" فيه تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال الله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصا وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصا"(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" لَا أَجْرَ لَهُ" فَأَعْظَمَ ذَلِكَ النَّاسُ، وَقَالُوا لِلرَّجُلِ: عُدْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَعَلَّكَ لَمْ تُفَهِّمْهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ

=

ما يوافق سَعِيدًا، وكَانَ سَعِيد لا يجترأ عليه، وعَنْ يحيى بْن مَعِين: سُلَيْمان بْن يسار ثقة، وَقَال أَبُو زُرْعَة ثقة مأمون فاضل عابد، وَقَال النَّسَائي: أحد الأئمة، مات سنة سبع ومئة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وروى له الجماعة. انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، ج١٢/١٠٠ -١٠٥.

(١) قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي:" والمعنى: ناتل أهل الشام، وفي الرواية الأخرى فقال له ناتل الشامي وهو ناتل بن قيس الحزامي الشامي من أهل فلسطين وهو تابعي وكان أبوه صحابيا وكان ناتل كبير قومه". صحيح مسلم وهو المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، للإمام مسلم، ج٣/١٥١٣.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، الْإِمَارَةِ، / مَنْ قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، ج٣/١٥١٣، حديث رقم: ١٩٠٥.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، ج١٣/ ٥١.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا، فَقَالَ:" لَا أَجْرَ لَهُ" فَقَالُوا: لِلرَّجُلِ عُدْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: الثَّالِثَةَ؛ فَقَالَ لَهُ:" لَا أَجْرَ لَهُ"(١).

وعَنْ أَبِى أُمَامَةَ الْبَاهلِيِّ رضي الله عنه(٢) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلاً غَزَا يَلْتَمِسُ الأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" لاَ شَىْءَ لَهُ" فَأَعَادَهَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" لاَ شَىْءَ لَهُ" ثُمَّ قَالَ:" إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلاَّ مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِىَ بِهِ وَجْهُهُ"(٣).

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:" الْغَزْوُ غَزْوَانِ؛ فَأَمَّا مَنْ ابْتَغَى وَجْهَ اللَّهِ، وَأَطَاعَ الْإِمَامَ، وَأَنْفَقَ الْكَرِيمَةَ، وَيَاسَرَ الشَّرِيكَ، وَاجْتَنَبَ الْفَسَادَ؛ فَإِنَّ نَوْمَهُ وَنُبْهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ، وَأَمَّا مَنْ غَزَا فَخْرًا، وَرِيَاءً، وَسُمْعَةً، وَعَصَى الْإِمَامَ، وَأَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ بِالْكَفَافِ"(٤).

فالمجاهد في جهاده يبذل ويجود بالغالي والنفيس ويرجو من الله تعالى قبول ذلك فلزمه أن يخلص في عمله ذلك، وأن تكون نيته لله تعالى وحده، ومن هنا كان الجهاد داعيًا للإخلاص، وجاءت نصوص الشرع كثيرة في هذا الباب.

ثانيًا: بر الوالدين.

لقد كان الجهاد داعيًا لبر الوالدين؛ فالجهاد لا يدعو لعقوق الوالدين؛ بل يدعو لبرهما؛ فالجهاد يقدم بر الوالدين على ذاته أحيانًا، ولذلك يطلب منهم الأذن للجهاد أحيانًا؛ بل ويعتبر

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود، الجهاد/ في من يغزو يَلتمِسُ الدنيا، ج٤/١٧١، حديث رقم: ٢٥١٦، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في كتابه صحيح أبي داود، للألباني، ج٧/٢٧٦، حديث رقم: ٢٢٧٢.

(٢) هو: صديّ: بالتّصغير، ابن عجلان بن الحارث، ويقال: ابن وهب، ويقال: ابن عمرو بن وهب بن عريب بن وهب بن رياح بن الحارث بن معن بن مالك بن أعصر الباهليّ، أبو أمامة، مشهور بكنيته، سكن الشّام، كان مع علي بصفّين، ومات أبو أمامة الباهلي سنة ست وثمانين. انظر الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ج٣/٣٣٩ – ٣٤٠.

(٣) سنن النسائي، النسائي، الجهاد/ من غزا يلتمس الأجر والذكر، ج٦/٢٥، حديث رقم: ٣١٤٠، وانظر حكم الشيخ الألباني في كتابه صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، للألباني، ج١/١٠٦، حديث رقم: ٨.

(٤) سنن أبي داود، أبو داود، الجهاد، باب في من يغزو يَلتمِسُ الدنيا، ج٤/ ١٦٩– ١٧٠، حديث رقم: ٢٥١٥، وحسن إسناده الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في كتابه صحيح أبي داود، للألباني، ج٧/ ٢٧٥، حديث رقم: ٢٢٧١.

القيام على خدمة الوالدين جهادًا، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ؛ فَقَالَ:" أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:" فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ"(١).

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث:" ففيهما فجاهد، أي إن كان لك أبوان؛ فابلغ جهدك في برهما والإحسان إليهما؛ فإن ذلك يقوم لك مقام قتال العدو"(٢).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ، قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ، أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ، قَالَ:" فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلَاهُمَا، قَالَ:" فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:" فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ؛ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا"(٣).

فجعل رسول الله ﷺ بر الوالدين والإحسان إليهما والقيام برعايتهما وتعاهدهما جهادًا، وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه(٤) قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؛ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ، أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ، وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، قَالَ: وَيْحَكَ! أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: ارْجِعْ؛ فَبَرَّهَا، ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنْ الْجَانِبِ الْآخَرِ؛ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ، أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ، وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، قَالَ: وَيْحَكَ! أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَيْهَا؛ فَبَرَّهَا، ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنْ أَمَامِهِ؛ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ، أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ، وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، قَالَ: وَيْحَكَ! أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: وَيْحَكَ! الْزَمْ رِجْلَهَا؛ فَثَمَّ الْجَنَّةُ"(٥).

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ الجهاد بإذن الأبوين، ج٣/١٠٩٤، حديث رقم: ٢٨٤٢، والأدب/ لا يجاهد إلا بإذن الأبوين، ج٥/٢٢٢٨، حديث رقم: ٥٦٢٧، وصحيح مسلم، مسلم، الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ/ تَفْسِيرِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ، ج٤/ ١٩٧٥، حديث رقم: ٢٥٤٩.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، ج١٠/٤٠٣.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ/ تَفْسِيرِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ، ص ١٩٧٥، حديث رقم: ٢٥٤٩.

(٤) هو: معاوية بن جاهمة بن العبّاس بن مرداس السلمي، لهُ صُحبَةٌ، وَقَال مُحَمَّد بْن سعد: جاهمة بْن العباس بْن مرداس السلمي لَهُ حديث واحد:" أتيت النَّبِيّ ﷺ أستأذنه فِي الجهاد؛ فقال: ألك أم؟ قُلْتُ: نعم، قال: فالزمها؛ فإن الجنة تحت رجليها". انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، ج٢٨/١٦٢، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ج٦/١١٦.

(٥) أخرجه الإمام ابن ماجه رحمه الله تعالى في سننه، الجهاد/ الرجل يغزو وله أبوان، ج٤/٧١ -٧٢، حديث رقم: ٢٧٨١، وصححه الشيخ الألباني في كتابه صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، للألباني، ج٢/ ٦٥٠، حديث رقم: ٢٤٨٥.

وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ السَّلَمِيِّ رضي الله عنه[١] أَنَّ جَاهِمَةَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ، وَقَدْ جِئْتُ أَسْتَشِيرُكَ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَالْزَمْهَا؛ فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا"[٢].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي جِئْتُ أُرِيدُ الْجِهَادَ مَعَكَ، أَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، وَلَقَدْ أَتَيْتُ وَإِنَّ وَالِدَيَّ لَيَبْكِيَانِ، قَالَ:" فَارْجِعْ إِلَيْهِمَا؛ فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا"[٣].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْيَمَنِ؛ فَقَالَ:" هَلْ لَكَ أَحَدٌ بِالْيَمَنِ؟ قَالَ: أَبَوَايَ، قَالَ:" أَذِنَا لَكَ؟ قَالَ:" لَا، قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِمَا؛ فَاسْتَأْذِنْهُمَا؛ فَإِنْ أَذِنَا لَكَ فَجَاهِدْ، وَإِلَّا فَبِرَّهُمَا"[٤].

والمستفاد من أحاديث النبي ﷺ سابقة الذكر أن المجاهد يجب أن لا يكون عاقًا لوالديه؛ بل عليه أن يكون من أهل البر لهما، وبين النبي ﷺ أن طاعة الوالدين والإحسان إليها والبر بهما والقيام على خدمتهم جهاد يؤجر عليه المرء؛ فإذا كان هناك جهاد طلبٍ حكمه فرض الكفاية وكانت هناك حاجة ملحة لبقاء الابن الذي يريد الخروج للجهاد من بلده بجانب والديه كأن يكون وحيدًا لهما وما شابه ذلك؛ فحينئذ لابد من العلم أن طاعة الوالدين واجبة ومقدمة على فرض الكفاية الذي وُجد من يقوم به ويسقطه عن الآخرين.

ثالثًا: العدل.

إن الجهاد غايته إقامة العدل وإزالة الظلم ومن كانت هذه غايته فإنه لا يظلم ولا يعتدي على طفل صغير وامرأة غير مقاتلة وراهب مسالم ومريض غير قادر، ومن هنا كانت وصايا الإسلام لأهل الجهاد من يحملون أرواحهم على أكفهم وأسلحتهم على كواهلهم أن لا يقتلوا طفلًا صغيرًا ولا امرأة ولا راهبًا ولا مسالمًا؛ فالإسلام لا يريد ظلمًا لأحد؛ ولأن أخلاق الإسلام تعلو

---

(١) سبقت ترجمته، ص٤٨.

(٢) سنن النسائي، النسائي، الجهاد/ الرخصة في التخلف لمن له والدة، ج٦/١١، حديث رقم: ٣١٠٤.

(٣) سنن أبي داود، أبو داود، الْجِهَادِ/ فِي الرَّجُلِ يَغْزُو وَأَبَوَاهُ كَارِهَانِ، ج٤/١٨٢، حديث رقم: ٢٥٢٨، وصحح إسناده الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في كتابه صحيح أبي داود، للألباني، ج٧/٢٨٥، حديث رقم: ٢٢٨١.

(٤) سنن أبي داود، أبو داود/ فِي الرَّجُلِ يَغْزُو وَأَبَوَاهُ كَارِهَانِ، حديث رقم: ٢٥٣٠، ج٤/١٨٣، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في كتابه صحيح أبي داود، للألباني، ج٧/ ٢٨٧، حديث رقم: ٢٢٨٣.

بالحق والعدل على أخلاق كل دين؛ ولأن الإسلام دين الله تعالى والله تعالى حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرمًا؛ فكانت النصوص الشرعية تنادي بعدم قتل غير المحارب المعتدي؛ فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: وُجِدَتِ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ"(١).

وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ(٢) عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا، وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا..." (٣).

وعَنْ رَبَاحِ بْنِ رَبِيعٍ رضي الله عنه(٤) قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ؛ فَرَأَى النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى شَيْءٍ؛ فَبَعَثَ رَجُلًا؛ فَقَالَ: انْظُرْ، عَلَامَ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ؟ فَجَاءَ؛ فَقَالَ: عَلَى امْرَأَةٍ قَتِيلٍ؛ فَقَالَ:" مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ" قَالَ: وَعَلَى الْمُقَدِّمَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ؛ فَبَعَثَ رَجُلًا؛ فَقَالَ: قُلْ لِخَالِدٍ، لَا يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً، وَلَا عَسِيفًا"(٥).

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ قتل الصبيان في الحرب، حديث رقم: ٢٨٥١، ج٣/١٠٩٨، وباب: قتل النساء في الحرب، ج٣/١٠٩٨، حديث رقم: ٢٨٥٢، صحيح مسلم، مسلم، الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ/ تَحْرِيمِ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ فِي الْحَرْبِ، ج٣/١٣٦٤، حديث رقم: ١٧٤٤.

(٢) هو: سُلَيْمان بن بريدة بن الحصيب الأَسلميّ المروزي، أخو عَبد اللَّهِ بْن بريدة، ولدا فِي بطن واحد عَلَى عهد عُمَر بْن الخطاب، روى له الجماعة سوى الْبُخَارِيّ، مات سنة خمس ومئة. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، ج١١/٣٧٠ –٣٧٢.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، الجهاد والسير/ تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيتهم إياهم، ج٣/١٣٥٧، حديث رقم: ١٧٣١.

(٤) هو: رباح بْن الربيع، ويقال: ابن ربيعة، والربيع أكثر، ابن صيفي بْن رباح بْن الحارث بْن مخاشن بْن معاوية بْن شريف بْن جروة بْن أسيد بْن عمرو بْن تميم، أخو حنظلة بْن الربيع الكاتب الأسيدي، وهو من أهل المدينة، نزل البصرة، روى عنه ابن ابنه المرقع بْن صيفين رباح، وهو الذي قال للنبي ﷺ : يا رَسُول اللَّهِ، لليهود والنصارى يَوْم، فلو كان لنا يَوْم؛ فنزلت سورة الجمعة، ورباح بن الربيع التميمي الأسيدي أخو حنظلة الكاتب، وجد المرقع بْن صيفي، ويُقال فيه: رياح بالياء المثناة، له صحبة، رَوَى عَن: النَّبِيّ ﷺ . انظر أسد الغابة، لابن الأثير، ج٢/٢٤٨، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، ج٩/٤١.

(٥) سنن أبي داود، أبو داود، الجهاد/ في قتل النساء، ج٤/٣٠٣، حديث رقم: ٢٦٦٩، انظر سنن أبي داود، لأبي داود السِّجِسْتاني، وانظر حكم الألباني على الحديث في كتابه إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للألباني، ج٥/٣٥.

وعَنْ حَنْظَلَةَ الْكَاتِبِ رضي الله عنه[1] قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَمَرَرْنَا عَلَى امْرَأَةٍ مَقْتُولَةٍ، قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا النَّاسُ؛ فَأَفْرَجُوا لَهُ؛ فَقَالَ: مَا كَانَتْ هَذِهِ تُقَاتِلُ فِيمَنْ يُقَاتِلُ، ثُمَّ قَالَ لِرَجُلٍ: انْطَلِقْ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ؛ فَقُلْ لَهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ، يَقُولُ: لَا تَقْتُلَنَّ ذُرِّيَّةً، وَلَا عَسِيفًا"[2].

ولذلك يلزم المسلم المجاهد الابتعاد عن قتل الصبيان الصغار والنساء الذين لا يقاتلون ولا يحملون سلاحًا قدر الاستطاعة.

ومن هنا كان الإسلام متقدمًا ومفضلًا على كل الأديان، وذلك لما لديه من أخلاق طيبة حميدة وتربية صحيحة مجيدة، زيادة على صحة عقيدته وسلامة مبادئه.

والخلاصة أن الإسلام دعا لمنظومة فريدة من الأخلاق الحسنة والصفات الطيبة التي يتوجب على المسلم عمومًا والمجاهد خصوصًا أن يتحلى بها ويتصف ومن ذلك الإخلاص وبر الوالدين والعدل؛ فكان الجهاد من أبواب الدين التي أكدت على ضرورة التحلي بالصفات الحسنة والأخلاق الطيبة ليطيب الجهاد ويَجْمل؛ بل ويُتَقَبَل عند الله تعالى.

---

(١) هو: حنظلة بْن الربيع، وقيل: ابن ربيعة، والأول أكثر، ابْن صيفي بْن رباح بْن الحارث بْن مخاشن بْن معاوية بْن شريف بْن جروة بْن أسيد بْن عمرو بْن تميم التميمي، يكنى أبا ربعي، ويقال له: حنظلة الأسيدي، والكاتب؛ لأنه كان يكتب للنبي ﷺ ، وهو ابن أخي أكثم بْن صيفي، وهو ممن تخلف عن علي رضي اللَّه عنه، في قتال الجمل بالبصرة، روى عنه أَبُو عثمان النهدي، ويزيد بْن الشخير، ومرقع بْن صيفي، وشهد القادسيّة، ونزل الكوفة، ونزل قرقيسياء حتى مات في خلافة معاوية، ويقال: إن الجنّ لما مات رثته. انظر أسد الغابة، لابن الأثير، ج٢/٨٤، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ج٢/١١٧.

(٢) أخرجه الإمام ابن ماجه رحمه الله تعالى في سننه، الجهاد/ الغارة والبيات وقتل النساء والصبيان، حديث رقم:٢٨٤٢، انظر سنن ابن ماجه، لابن ماجه، ج٤/١٠٧، وانظر حكم الألباني على الحديث في كتابه سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للألباني، حديث رقم: ٧٠١.

المطلب الثاني

دور الجهاد في التربية على الأمانة والصبر والثبات

لقد نبه الشرع على أمور مهمة وأخلاق حسنة في الجهاد منها الأمانة والصبر والثبات؛ فلا يسوغ أن يكون المجاهد على خلاف ذلك من الخيانة والجزع والتردد والجبن.

أولًا: الأمانة.

لقد كان الجهاد وما زال في الإسلام داعيًا للأمانة وعدم الخيانة؛ فمن يجود بروحه ونفسه الأصل أن لا يتعلق بشيء من حطام الدنيا ولو كان مشروعًا؛ فكيف إذا كان ممنوعًا وهو من الغل والسرقة، ولما كانت بعض الحوادث قد وقعت في زمن النبي ﷺ كان البيان النبوي والتنبيه المحمدي على سوء عاقبة هذا الفعل؛ فرسول الله ﷺ يريد جهادًا صافيًا لا غش ولا غل ولا سرقة فيه، كي يثبت الأجر ويعظم الثواب؛ فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ، أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فُلَانٌ شَهِيدٌ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا – أَوْ عَبَاءَةٍ – ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ، أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ" قَالَ: فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ: أَلَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ"[(١)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْنَا؛ فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلَا وَرِقًا، غَنِمْنَا الْمَتَاعَ وَالطَّعَامَ وَالثِّيَابَ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا إِلَى الْوَادِي، وَمَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَبْدٌ لَهُ، وَهَبَهُ لَهُ رَجُلٌ مِنْ جُذَامٍ يُدْعَى رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ، فَلَمَّا نَزَلْنَا الْوَادِيَ، قَامَ عَبْدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَحُلُّ رَحْلَهُ، فَرُمِيَ بِسَهْمٍ، فَكَانَ فِيهِ حَتْفُهُ، فَقُلْنَا: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" كَلَّا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ لَتَلْتَهِبُ عَلَيْهِ نَارًا، أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ، لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ" قَالَ: فَفَزِعَ النَّاسُ، فَجَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَصَبْتُ يَوْمَ خَيْبَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ، أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ"[(٢)].

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، الْإِيمَانَ/ غِلَظِ تَحْرِيمِ الْغُلُولِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ، ج١/١٠٧، حديث رقم: ١١٤.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، الْإِيمَانَ/ غِلَظِ تَحْرِيمِ الْغُلُولِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ، ج١/١٠٨، حديث رقم: ١١٥.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: كَانَ عَلَى ثَقَلِ النَّبِيِّ ﷺ، رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: كَرْكَرَةُ؛ فَمَاتَ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" هُوَ فِي النَّارِ" فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ؛ فَوَجَدُوا عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا"(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَذَكَرَ الْغُلُولَ، فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، ثُمَّ قَالَ:" لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِيَاحٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ"(٢).

قال الدكتور مصطفى ديب البغا:" الغلول وهو الأخذ من الغنيمة خفية قبل قسمتها وكل من خان في شيء خفية فقد غل"(٣).

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ القليل من الغلول، ج٣/١١١٩، حديث رقم: ٢٩٠٩.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ الغلول، حديث رقم: ٢٩٠٨، ج٣/١١١٨، انظر صحيح البخاري وهو الجامع الصحيح المختصر، للإمام البخاري، تحقيق: البغا، صحيح مسلم، مسلم، الْإِمَارَةِ/ غِلَظِ تَحْرِيمِ الْغُلُولِ، حديث رقم: ١٨٣١، ج٣/ ١٤٦١، وبالنسبة لمعاني مفردات الحديث:" (فذكر الغلول) تعرض لذكره وبيان حكمه، (عظم أمره) شدد في الإنكار على فاعله، (لا ألفين) أي لا أجدن أحدكم على هذه الصفة، ومعناه لا تعملوا عملًا أجدكم بسببه على هذه الصفة، (رغاء) صوت البعير، (حمحمة) هي صوت الفرس إذا طلبت العلف دون الصهيل، (ثغاء) هو صوت الشاة أو الغنم، (صياح) هو صوت الإنسان، (رقاع) جمع رقعة وهي الخرقة والمراد بها هنا الثياب، (تخفق) تضطرب وتتحرك، (صامت) الذهب والفضة ونحوهما، (لا أملك لك شيئا) من المغفرة لأن الشفاعة أمرها إلى الله تعالى. انظر صحيح البخاري وهو الجامع الصحيح المختصر، للإمام البخاري، تحقيق: البغا، ج٣/١١١٨، وانظر صحيح مسلم وهو المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، للإمام مسلم، تحقيق: عبد الباقي، ج٣/١٤٦١.

(٣) انظر صحيح البخاري وهو الجامع الصحيح المختصر، للإمام البخاري، تحقيق: البغا، ج٣/١١١٨.

وقال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي:" والمعنى: إن كل شيء يغله الغال يجيء يوم القيامة حاملًا له ليفتضح به على رؤوس الأشهاد سواء كان هذا المغلول حيوانًا أو إنسانًا أو ثيابًا أو ذهبًا وفضة، وهذا تفسير وبيان لقوله تعالى:﴿**وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ...**﴾**[آل عمران: ١٦١]**." [١].

فالجهاد داع للمرء أن يكون لله تعالى أقرب؛ فيتحلى بالأمانة ويبتعد عن الخيانة، ومن هنا كانت التحذيرات الربانية والتنبيهات النبوية للمسلمين تزجرهم عن الخيانة والغل وما شابه ذلك، وتبين لهم أن المجاهد الحق هو الأمين الصادق.

ثانيًا: الصبر.

إن الجهاد يدعو للصبر والتحمل وعدم الضجر والانتحار وغير ذلك؛ فقد قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ **[آل عمران: ٢٠٠].**
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُنَيْنًا، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يُدْعَى بِالْإِسْلَامِ:" هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ"؛ فَلَمَّا حَضَرْنَا الْقِتَالَ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا؛ فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرَّجُلُ الَّذِي قُلْتَ لَهُ آنِفًا:" إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ" فَإِنَّهُ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا، وَقَدْ مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" إِلَى النَّارِ" فَكَادَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَرْتَابَ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ؛ إِذْ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ، وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْجِرَاحِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ؛ فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ؛ فَقَالَ:" اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ" ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا؛ فَنَادَى فِي النَّاسِ:" أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَأَنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ"[٢].

فالنبي ﷺ يبين لنا ضرورة صبر المجاهد على جراحه وعدم الضجر من ذلك حتى يكتب له الأجر وتناله المثوبة الحسنة من الله تعالى بعد ذلك؛ فإن من صبر في أول الأمر فخرج في سبيل الله تعالى مجاهدًا في معركة ينبغي عليه أن يصبر بعد ذلك على آثار تلك المعركة كإصابة لحقت به أو جراحة ألمت به فإن الثانية ليست بأقل من الأولى.

---

(١) انظر صحيح مسلم وهو المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، للإمام مسلم، تحقيق: عبد الباقي، ج٣/١٤٦١.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، القدر/ العمل بالخواتيم، ج٦/٢٤٣٦، حديث رقم: ٦٢٣٢، صحيح مسلم، مسلم، الْإِيمَانَ/ غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَأَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، ج١/١٠٥، حديث رقم: ١١١.

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ، فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالُوا: مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ" فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ أَبَدًا، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ، كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا: أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ؛ فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ؛ فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ حَتَّى جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ؛ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ:" إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ"(١).

وعَنْ الْحَسَنِ(٢) قَالَ: إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَتْ بِهِ قُرْحَةٌ، فَلَمَّا آذَتْهُ انْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَنَكَأَهَا، فَلَمْ يَرْقَأِ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، قَالَ رَبُّكُمْ:" قَدْ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ" ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: إِي وَاللهِ، لَقَدْ حَدَّثَنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ جُنْدَبٌ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ(٣).

---

(١) أخرجه الإمام البخاري رحمه الله على في صحيحه، الجهاد والسير/ لا يقول فلان شهيد، حديث رقم: ٢٧٤٢، ج٣/١٠٦١، صحيح مسلم، مسلم، الإِيمَانَ/ غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَأَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، ج١/١٠٦، حديث رقم: ١١٢.

(٢) هو: الحسن بن أبي الحسن، واسمه يسار البصري، أبو سعيد مولى زيد بن ثابت، ويقال: مولى جابر بن عبد الله، ويقال: مولى جميل بن قطبة بن عامر بن حديدة، ويقال: مولى أبي اليسر، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه و سلم، كان من أشبه الناس بأصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان على كلامه نور النبوة، وهو من أعلام أهل السنة والجماعة في زمانه، من أئمة البصرة المعروفين والمشهورين على اختلاف الأعصار والأمصار، مات في رجب سنة عشر ومائة، في خلاف هشام بن عبد الملك، وهو ابن نحو من ثمان وثمانين سنة. انظر حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني، ج٢/١٣١، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، ج٦/٩٥.

(٣) صحيح مسلم، الْإِيمَانَ/ غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَأَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، ج١/١٠٧، حديث رقم: ١١٣.

ثالثًا: الثبات.

إن الجهاد يدعو للثبات، وذكر الله تعالى، من صيحات التكبير، وغير ذلك، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ** ﴾[**الأنفال: ٤٥**].

فدعا الله تعالى المؤمنين للثبات أمام الأعداء في المعركة وكذلك دعاهم لكثرة ذكر الله تعالى؛ فإذا التقت الفئة المؤمنة بعدوها الظالم فلابد من الثبات أمامه، وعَنْ سَالِمٍ أَبِي النَّضْرِ(١)، مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَكَانَ كَاتِبًا لَهُ، قَالَ: كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَرَأْتُهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا، انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا قَالَ:" أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ؛ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ"، ثُمَّ قَالَ:" اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ"(٢).

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:" لاَ تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ؛ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا"(٣).

ولقد صبر وثبت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعارك فلم يفروا ولم ينكصوا على أعقابهم، ومن شواهد ذلك ما جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: انْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ"، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" قُومُوا إِلَى

---

(١) هو: سَالِم بن أَبي أمية الْقُرَشِيّ، التَّيْمِيّ، أَبُو النضر، الْمَدَنِيّ، مولى عُمَر بْن عُبَيد الله بن معمر التَّيْمِيّ، هو والد بردان بْن أَبي النضر، لَهُ نحو خمسين حديثا، كَانَ ثقة، كثير الحديث، مات فِي خلافة مروان بْن مُحَمَّد، مات سنة تسع وعشرين ومئة، روى له الجماعة. انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، ج١٠/١٢٧ -١٣٠.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ الجنة تحت بارقة السيوف، ج٧/٢٤٦، حديث رقم: ٢٨١٨، وباب: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس، ج٧/٤٧٩-٤٨٠، حديث رقم: ٢٩٦٥، وحديث رقم: ٢٩٦٦، وكتاب التمني/ كراهية تمني لقاء العدو، ج١٨/٢٠٢، حديث رقم: ٧٢٣٧، صحيح مسلم، مسلم، باب كَرَاهَةِ تَمَنِّى لِقَاءِ الْعَدُوِّ وَالأَمْرِ بِالصَّبْرِ عِنْدَ اللِّقَاءِ، ج٥/١٤٣، حديث رقم: ٤٦٤٠.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، باب كَرَاهَةِ تَمَنِّى لِقَاءِ الْعَدُوِّ وَالأَمْرِ بِالصَّبْرِ عِنْدَ اللِّقَاءِ، ج٥/١٤٣، حديث رقم: ٤٦٣٩.

جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ"، قَالَ: فَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: "نَعَمْ"، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟ قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ:" فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا"، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ"[(١)].

وهذا عمرو بن الجموح ﷺ من أصحاب النبي ﷺ كان أعرج؛ بل وشديد العرج، تدفعه الجنة للاستشهاد في سبيل الله تعالى ويرجو أن يطأها بعرجته المعروفة، وأن تكون رجله صحيحة في الجنة بعد ذلك بلا عرج ولا مرض؛ فإنه لم يشهد بدرًا، فلما كان يوم معركة أحد، أراد الخروج مع رسول الله ﷺ مجاهدًا في سبيل الله تعالى، وكان له أربعة من البنين شباب، يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا؛ فَقَالَ لِبَنِيهِ: أَخْرِجُونِي؛ فمنعه بنوه، وقالوا: قد عذرك الله، وقَدْ رَخَّصَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَذِنَ لك فِي الْمُقَامِ، قَالَ: هَيْهَاتَ مَنَعْتُمُونِي الْجَنَّةَ بِبَدْرٍ وَتَمْنَعُونِيهَا بِأُحُدٍ؛ فأتى رسول الله ﷺ، وَقَالَ: إن بني يريدون أن يحبسوني عن الخروج، والله إني أرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال له رسول الله ﷺ:" أما أنت فقد عذرك الله تعالى، فلا جهاد عليك" يشير لقول الله تعالى: **﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ... ﴾ [النور: ٦١] [الفتح: ١٧]**. وقال لبنيه: لا عليكم أن تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة"، فتركوه، قالت امرأته: كأني أنظر إليه موليًا قد أخذ رقبته، فخرج وهو يقول مستقبل القبلة: اللهم لا تردّني إلى أهلي خائبا؛ فَخَرَجَ، فَلَمَّا الْتَقَى النَّاسُ، قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ الْيَوْمَ أَطَأُ بِعَرَجَتِي هَذِهِ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَطَأَنَّ بِهَا الْجَنَّةَ الْيَوْمَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛ فَخَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا؛ فعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه[(٢)] قَالَ: أَتَى عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى أُقْتَلَ أَمْشِي بِرِجْلِي هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ؟، وَكَانَتْ رِجْلُهُ عرْجَاءَ، فَقَالَ رَسُولُ

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، الْإِمَارَةِ، بَابُ ثُبُوتِ الْجَنَّةِ لِلشَّهِيدِ، ج٣/١٥١٠، حديث رقم: ١٩٠١.

(٢) هو: تميم بن نذير، أبو قتادة، عدوي، بصري، ونذير بضم النون وفتح الذال المعجمة العدوى، ويقال: تميم بن الزبير، ويقال: بن يزيد، مختلف فِي صحبته، وكان من فصحاء الصحابة بالبصرة، وفي سنة أربع وَأَرْبَعين فتح كابل فِيهَا، افْتتح ابْن عَامر كابل، وَقتل بكابل أَبُو قَتَادَة الْعَدوي. انظر تاريخ خليفة بن خياط، لخليفة بن خياط بن خليفة، تحقيق: العمري، ص ٢٠٦، والجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، ج٢/٤٤١، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، ج٢/٧، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، ج٣٤/١٩٧، وتهذيب التهذيب، لابن حجر، ج١٢/٩٦.

اللهِ ﷺ:" نَعَمْ "؛ فَقَتَلُوهُ يَوْمَ أُحُدٍ هُوَ وَابْنُ عَمِّهِ وَمَوْلًى لَهُمْ، فَمَرَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ:" كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ تَمْشِي بِرِجْلِكَ هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ"[١].

وهذا أنس بن النضر ﷺ من أصحاب النبي ﷺ كان محبًا للجنة وأن يكون من أهلها حتى إنه من شدة شوقه لها شم ريحها ووجده دون جبل أحد، وذلك قبل بدء معركة أحد؛ فكان ذلك مزيد مشجع له في الجهاد والاستشهاد رغبة دخولها وأن يكون من أهلها؛ فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ؛ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وَانْكَشَفَ المُسْلِمُونَ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ، يَعْنِي أَصْحَابَهُ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ، يَعْنِي المُشْرِكِينَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ؛ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا سَعْد بْنَ مُعَاذٍ، الجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ، قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ، قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ، وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ المُشْرِكُونَ؛ فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ، قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وفي أشباهه **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ... ﴾[الأحزاب: ٢٣]**. إلى آخر الآية[٢].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: نُرَى هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ: **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ... ﴾[الأحزاب٢٣]**. [٣].

والذي نخلص إليه أن الجهاد كان مدرسة يتعلم فيها وبسببها الصحابة رضي الله عنهم كثيرًا من أمور دينهم فيعرفون الشر والقبيح فيدعونه ويتركونه، وأفعال الشر من المخالفات الشرعية التي تنقص الإيمان؛ فيتجنبونها كي لا ينقص إيمانهم، ويعرفون الخير والحسن فيفعلونه

---

(١) مسند الإمام أحمد، ابن حنبل، ج٣٧/٢٤٧، حديث رقم: ٢٢٥٥٤، وانظر حكم ابن حجر رحمه الله تعالى على الحديث في كتابه فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، ج٥/١٧٨، وانظر حكم الشيخ الألباني رحمه الله تعالى على الحديث في كتاب فقه السيرة، لمحمد الغزالي، تخريج، الألباني، ص٢٦٧.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ قول الله تعالى:﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ الأحزاب٢٣، ج٣/١٠٣٢، حديث رقم: ٢٦٥١، وصحيح مسلم، مسلم، الإِمَارَةِ/ ثُبُوتِ الْجَنَّةِ لِلشَّهِيدِ، ج٣/١٥١٢، حديث رقم: ١٩٠٣.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، التفسير/ ﴿... فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ الأحزاب٢٣، ج٤/١٧٩٥، حديث رقم: ٤٥٠٥،.

ويلزمونه، وأفعال الخيرات والصالحات تزيد من الإيمان، ولذلك يتقربون بها كي تزيد من إيمانهم، وما ذكرناه هو فيض من غيض، وإلا فما تعلموه في مدرسة الجهاد وبسببه كثير جدًا، تؤلف فيه الكتب، وتكتب فيه الصحائف الكثيرة؛ فكان الجهاد لهم مدرسة ربانية وتربية إيمانية.

الفصل الثاني

شبهات أعداء الإسلام حول الجهاد

والرد عليها

المبحث الأول

شبهة انتشار الإسلام بالسيف والرد عليها

تعد هذه الشبهة شبهة انتشار الإسلام بالسيف من أكثر الشبه انتشارًا ورواجًا، لذلك نجد لها من الشهرة ما ليست لغيرها من الشبه، ونجد أنها شبهة متجددة؛ فأعداء الإسلام من المستشرقين والمنصرين وغيرهم لا يملون من ترادادها وتكرارها؛ فهم يرددونها دومًا، ويحاولون من خلالها الطعن في دين الإسلام؛ بل والطعن في نبي الإسلام النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وهذه الشبهة قديمة حديثة؛ فحواها دعوى أن الإسلام انتشر بالسيف أي انتشر بالقوة التي استخدمت والضغوطات التي مورست على الناس لإجبارهم على الدخول في دين الإسلام، وذلك من خلال الغزوات والمعارك التي قام بها المسلمون في زمن الرسول ﷺ وبعد زمانه.

ومما يؤكد على أن هذه الشبهة متجددة وما زال أعداء الإسلام وخصومه يتفوهون بها ويروجونها أننا نسمع بها من أعداء الإسلام وخصومه بين الحين والآخر، كما قال الإمام حسن البنا رحمه الله تعالى:" هل انتشرت دعوة الإسلام بالسيف؟ أُولع خصوم الإسلام في كل عصر، وبخاصة في هذا العصر بتوجيه هذه التهمة إلى الإسلام، والإسلام منها براء؛ فهو لم يكره الناس على الإيمان، ولم يضعه على رقابهم ليشهدوا بشهادته، أو يدينوا بعقيدته؛ فهذه التهمة باطلة من وجوه عدة"[١].

ولقد سمعناها في زماننا هذا مرارًا وتكرارً؛ فقد ألقى البابا بينيدكت السادس عشر محاضرة على مدرج جامعته في ألمانيا يوم الثلاثاء الواقع في الثاني عشر من أيلول عام ٢٠٠٦ م، قال فيها: إنّ العقيدة الإسلامية تقوم على أساس أن إرادة الله لا تخضع لمحاكمة العقل ولا المنطق، ثم إن محمداً لم يأت إلا بما هو سيئ وغير إنساني، كأمره بنشر الإسلام بحد السيف[٢].

---

(١) السلام في الإسلام، البنا، ص٧٦.

(٢) انظر موسوعة النابلسي على شبكة الإنترنت، الخطب الإذاعية، الخطبة (٧٥) : الرد على البابا – توقيت هذه الإساءة، لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-٠٩-٢٢، وانظر مقالًا تحت عنوان: بابا الفاتيكان محمد عليه الصلاة والسلام لم يأت إلا بما هو سيئ وغير إنساني. المصدر: الجزيرة نت اليوم الخميس: ٢٠٠٦/٩/١٤.

المطلب الأول

المنهج القرآني في نشر الدعوة

إن نصوص القرآن الكريم تأبى أن يعمل على نشر دين الإسلام بالسيف؛ بل وتدعو لأن ينشر بالدعوة الطيبة والموعظة الحسنة والحكمة؛ وهذا يتضح من خلال أمور أهمها:

أولًا: رفض الإسلام لنشره بالإكراه.

إن الإسلام يرفض أن يعمل أهله على نشره بالسيف، والأدلة على ذلك كثيرة، يكفي منها، قوله تعالى: **﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة: ٢٥٦].**

قال الشيخ السعدي في تفسيره:" يخبر تعالى أنه لا إكراه في الدين لعدم الحاجة إلى الإكراه عليه، لأن الإكراه لا يكون إلا على أمر خفية أعلامه، غامضة أثاره، أو أمر في غاية الكراهة للنفوس، وأما هذا الدين القويم والصراط المستقيم فقد تبينت أعلامه للعقول، وظهرت طرقه، وتبين أمره، وعرف الرشد من الغي، فالموفق إذا نظر أدنى نظر إليه آثره واختاره، وأما من كان سيئ القصد فاسد الإرادة، خبيث النفس يرى الحق فيختار عليه الباطل، ويبصر الحسن فيميل إلى القبيح، فهذا ليس لله حاجة في إكراهه على الدين، لعدم النتيجة والفائدة فيه، والمكره ليس إيمانه صحيحًا"(١).

وقال العالم التونسي الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى في تفسيره التحرير والتنوير:" نفي الإكراه خبر في معنى النهي، والمراد نفي أسباب الإكراه في حكم الإسلام، أي لا تكرهوا أحدًا على اتباع الإسلام قسرًا، وجيء بنفي الجنس لقصد العموم نصًا، وهو دليل واضح على إبطال الإكراه على الدين بسائر أنواعه، لأن أمر الإيمان يجري على الاستدلال، والتمكين من النظر، وبالاختيار"(٢).

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَتْ الْمَرْأَةُ تَكُونُ مِقْلَاتًا فَتَجْعَلُ عَلَى نَفْسِهَا إِنْ عَاشَ لَهَا وَلَدٌ أَنْ تُهَوِّدَهُ؛ فَلَمَّا أُجْلِيَتْ بَنُو النَّضِيرِ كَانَ فِيهِمْ مِنْ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ؛ فَقَالُوا: لَا نَدَعُ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص١١٠.

(٢) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، ج٢/٤٩٩.

أَبْنَاءَنَا؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الْغَيِّ** ﴾ قَالَ أَبُو دَاوُد: الْمِقْلَاتُ الَّتِي لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ"(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الْغَيِّ**﴾، قال: نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له: الحصين، كان له ابنان نصرانيان، وكان هو رجلًا مسلمًا، فقال للنبي ﷺ: ألا أستكرههما؟ فإنهما قد أبيا إلا النصرانية! فأنزل الله فيه ذلك"(٢).

وقد جاءت في القرآن الكريم آيات تحمل معنى آية ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...**﴾ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً** ﴾ **[الكهف: ٢٩].**

وقال تعالى: ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾**[الكافرون: ٦].**

ومما يؤكد أيضًا أن الإسلام يرفض الإكراه على تبنيه واعتناقه، قوله تعالى: ﴿**قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ** ﴾**[الأعراف: ٨٨].**

فاستنكر شعيب عليه السلام على قومه محاولتهم الإكراه والإجبار على تبني دينهم لذلك قال لهم: أولو كنا كارهين؛ لأن الدين لا يبنى على الإكراه والإجبار بل على المحبة والاختيار.

ومن قبله قال نوح عليه السلام لقومه: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ**﴾ **[هود: ٢٨].**

ومن بعدهما قال الله تعالى لمحمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ** ﴾**[يونس: ٩٩].**

وقال تعالى: ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ**﴾ **[الغاشية: ٢١-٢٢].**

ثانيًا: دعوة الإسلام لنشره بالحكمة.

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود، الجهاد/ في الأسير يكره على الإسلام، ج٣١٧/٤، حديث رقم: ٢٦٨٢.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ج٤٠٩/٥.

إن نصوص الشرع خالية من دعوة العمل على نشر الإسلام بالسيف؛ بل النصوص ناطقة على الدعوة للإسلام بالحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، كما قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾[**النحل: ١٢٥**].

فالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن والأخلاق هي الطريق الذي يقود الناس للإسلام، ولذلك إن كثير من البلدان لم تدخلها جيوش المسلمين وقد دخلها الإسلام من خلال التجار المسلمين الذين كانوا يذهبون إلى تلك البلدان من خلال المعاملة الحسنة والصدق الذي رأوه من هؤلاء التجار فدخلوا الإسلام.

" وأما السيف فيمكن أن يفتح أرضًا، ويحتل بلدًا، ولكن لا يمكنه أن يفتح قلبا؛ ففتح القلوب وإزالة أقفالها يحتاج إلى عمل آخر، من إقناع العقل، واستمالة العواطف، والتأثير النفسي في الإنسان، بل إن السيف المسلط على رقبة الإنسان كثيرا ما يكون عقبة تحول بينه وبين قبول دعوة صاحب السيف؛ فالإنسان مجبول على النفور ممن يقهره ويذله"(١).

ولو كان رسول الله ﷺ يجبر الناس على الإسلام بالسيف لما كان رحمة على الناس؛ بل لكان نقمة، وكيف يكون كذلك، والله تعالى يقول: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾[**الأنبياء: ١٠٧**].

والخلاصة أن نصوص القرآن الكريم واضحة في الحث على الدعوة بالدعوة الطيبة والموعظة الحسنة والحكمة ونص على أنه لا إكراه في الدين؛ فدحض القرآن الكريم من قديم هذه الشبة التي تنسب إليه اليوم وهو براء منها.

---

(١) فقه الجهاد دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة، القرضاوي، ج٤٨١/١.

المطلب الثاني

المنهج النبوي في نشر الدعوة

إن منهج رسول الله ﷺ مستقى من القرآن الكريم، وهو التطبيق الفعلي له، ولذلك رسول الله ﷺ أبعد ما يكون عن حمل الناس على اعتناق الإسلام بالسيف، كيف لا وهو الذى قال لأعدائه بعدما قدر عليهم في فتح مكة:" اذهبوا فأنتم الطلقاء"(١)، هكذا دون شرط أو قيد، حتى دون اشتراط الإسلام.

ولم يُعلم بأن رسول الله ﷺ أجبر أحدًا على الإسلام، ولو افترضنا أنه جبر أحدًا لأذاع بها المتربصون بالإسلام، ولكنهم لم يجدوا مثالًا يتكئوا عليه ويستشهدوا به فبقيت دعواهم في انتشار الإسلام بالسيف جوفاء وخرقاء لا تذكر منهم بشواهد خاصة ولا أدلة واضحة.

ورسول الله ﷺ لم يكن يجبر أحدًا على الإسلام، حتى الأسير الكافر لم يكن يجبره على الإسلام؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ؛ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ، يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ؛ فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ؛ فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَالَ: مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ، إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ؛ فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ؛ فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ؛ فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَانَ مِنْ الْغَدِ؛ فَقَالَ: مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؛ فَقَالَ عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ، فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنْ الْمَسْجِدِ؛ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ؛ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ، مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ؛ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللَّهِ، مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ؛ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ، مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ؛ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ؛ فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،

---

(١) انظر السيرة النبوية، لابن هشام، ج٢/ ٤١٢.

وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ؛ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ، قَالَ لَهُ قَائِلٌ: أَصَبَوْتَ! فَقَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا وَاللَّهِ، لَا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"(١).

فالإسلام في نشره يعتمد على الدعوة بحرية دون ضغط أو إكراه لأحد؛ فلا إجبار ولا إقسار على دعوة العزيز الغفار، وصدق الله تعالى القائل: **﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾[التوبة: ٦].**

ومما يؤكد على عدم صحة انتشار الإسلام بالسيف أن الاعتقاد متعلق بالقلب؛ حيث إن الاعتقاد يقوم على ثلاثة قوائم وهي اللسان والقلب والجوارح؛ ولذلك حينما نعرف الإيمان نقول: هو قول التوحيد باللسان واعتقاده بالجنان والعمل به بالجوارح والأركان، وليس أحد من المخلوقين له سلطان على قلوب الناس، يستطيع أن يدخل لقلوبهم ليجبرهم ويكرههم على اعتقاد ما يريد، وإنما الذي له سلطان على القلوب وحده إنما هو الله تعالى وحده؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه يَقُولُ: إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ"(٢).

ومما يؤكد على صحة أنه لا أحد من المخلوقين له سلطان على قلوب الناس، أنه يستطيع الظالمون أن يأخذوا من لسان المؤمن ما شاءوا بعد التعذيب والتنكيل بجسده وجوارحه، ولكن لا يستطيعون إكراه قلب المؤمن على محبة أو كره؛ فإن القلب لا يسلط عليه ظالم، كما حدث مع الصحابي الجليل عمار بن ياسر ﷺ حيث أخذ المشركون من لسانه ما شاءوا ولكن لم يستطيعوا أخذ شيء من قلبه؛ فكان قلبه مطمئنًا بالإيمان، كما قال تعالى: **﴿... إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ... ﴾[النحل: ١٠٦].**

فلقد كان مشركو مكة يضربون عمار بن ياسر ﷺ حتى تكاد روحه أن تخرج من جسده وتفارقه، لا يتركونه حتى يسب النبي ﷺ حتى إذا قاربت روحه على الخروج من نفسه قال لهم

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، الصلاة/ الاغتسال إذا أسلم وربط الأسير أيضًا في المسجد، حديث رقم: ٤٥٠، ج١/١٧٦، وباب: دخول المشرك المسجد، ج١/١٧٩، حديث رقم: ٤٥٧، و الخصومات/ التوثق ممن تخشى معرته، ج٢/٨٥٣، حديث رقم: ٢٢٩٠، وباب الربط والحبس في الحرم، ج٢/٨٥٣، حديث رقم: ٢٢٩١، والمغازي/ وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، ج٤/١٥٨٩، حديث رقم: ٤١١٤، صحيح مسلم، مسلم، الجهاد والسير/ ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه، ج٣/١٣٨٧، حديث رقم: ١٧٦٤.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، القدر/ تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء، حديث رقم: ٤٧٩٨.

بلسانه ما يريدون من سبٍ للنبي ﷺ فيتركونه حينئذ؛ فشكا للنبي ﷺ ذلك فقال له " فإن عادوا فعد " وأنزل الله تعالى فيه قوله **﴿... إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ... ﴾[النحل: ١٠٦]**[(١)].

والخلاصة أن منهج رسول الله ﷺ مستقى من القرآن الكريم، الداعي لعدم الإكراه في الدين؛ بل ولنشر الإسلام بالدعوة الطيبة والحكمة، ولذلك رسول الله ﷺ أبعد ما يكون عن حمل الناس على اعتناق الإسلام بالسيف، كيف لا وهو لم يجبر أحدًا على الإسلام، ولو ذهب مثيروا تلك الشبهة يبحثون عن واحد أكرهه النبي ﷺ لن يجدوا؛ بل ولو افترضنا أنهم وجدوا لذكروه لنا، وأذاعوا به، أما ولم يذكروا فهو دليل على أنهم لم يجدوا أحدًا أكرهه النبي ﷺ على الإسلام، وتلك شهادة فعلية تكذب زعمهم.

---

(١) انظر للاستزادة جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ج١٧/ ٣٠٤.

المبحث الثاني

شبهة اتهام الجهاد بالإرهاب والرد عليها

إن الإرهاب لغة هو: الإخافة والترويع والتفزيع والإرعاب؛ فكلمة (رهب) الراء والهاء والباء أصل يدلُّ على خوفٍ، ودِقّة وخِفَّة؛ فالرَّهْبة: تقول رهِبْت الشيءَ رُهْباً ورَهَباً ورَهْبَة[1]؛ فالإرهاب لغة: مصدر أرهب يرهب: أي أخاف وخوَّف، وجذره أو فعله الثلاثي: رهب بمعنى: خاف، "والإِرْهَابُ (بالكَسْرِ) ؛ الإزعاجُ والإخَافَةُ، تقولُ: ويَقْشَعِرُّ الإهَابُ إِذَا وَقَعَ مِنْهُ الإِرْهَابُ[2]"، " وَبِذَلِك فُسِّرَ قولُه عَزَّ وجَلَّ: **﴿... وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]**. أَي أَرْهَبُوهُمْ (وتَرَهَّبَهُ) غَيْرُه إِذا (تَوَعَّدَهُ) ، والرَّاهِبَةُ: الحَالَةُ الَّتِي تُرْهِبُ أَيْ تُفْزِعُ"[3].

وأما الإرهاب اصطلاحًا فهو:" إحداث حالة من الخوف والفزع عند الناس، نتيجة عمليات عسكرية، فردية أو جماعية"[4].

وإن الإرهاب كي يفهم فهمًا صحيحًا، وتُعلم حقيقته في الشرع والواقع لابد أن يعلم بأنواعه؛ فالإرهاب نوعان مشروع وممنوع؛ فأما الإرهاب المشروع فهو الذي يكون في حق المحاربين المعتدين الظالمين الجائرين، وهدف هذا الإرهاب المشروع في حق هؤلاء الظلمة إنما هو ردعهم وزجرهم عن ظلمهم وعدوانهم وتربصهم الدوائر بالفئة المؤمنة والمجتمع الآمن، كما قال تعالى: **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ...﴾ [الأنفال: ٦٠]**. فالإرهاب المشروع أهدافه نبيلة وطريقه مشروعة في وجه مستحقيه من أهل العدوان والظلم والحرب.

وأما الإرهاب الممنوع شرعًا فهو الإرهاب الذي يُروع ويُفزع فيه الآمن كان فردًا أم مجتمعًا من غير أهل الظلم والجور والعدوان والاعتداء والحرب والتربص، وصدق الله القائل: **﴿... فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠]**. فهذا الإرهاب المذموم ليست أهدافه نبيلة، ولا طريقه مشروعة؛ فهو في غير وجه مستحقيه.

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ج٢/٤٤٧.

(٢) تاج العروس، لمرتضى الزبيدي، ج٢/٥٤١.

(٣) المرجع السابق، ج٢/٥٣٨.

(٤) فقه الجهاد دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة، القرضاوي، ج١/٤٧.

وإن شبهة اتهام الجهاد بالإرهاب ليست غريبة على أعداء الإسلام ومحاربيه؛ فإنهم يعملون ليلًا ونهارًا من غير كلل ولا ملل على تشويه صورة الإسلام وتبغيضه للناس، ليُطفأ نوره، وينتهي دوره، ولكن الله تعالى غالب على أمره، كما قال تعالى: ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ* هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣].**

وقال تعالى: ﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ* هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[الصف: ٨-٩].**

وقد أطلقت الدول المحتلة الآثمة لفظة الإرهاب على الإسلام، وأرادت تشويه صورته في نظر عامة الناس؛ فأقيمت لذلك المؤتمرات، وعقدت الندوات، وأنشئت الأقسام باسم مكافحة الإرهاب، ولم يكن في ذلك كله تعرض لتلك الدول المحتلة المجرمة، الجاثمة على صدور الضعفاء من المسلمين، كالهندوس في إرهابهم المسلمين في كشمير، والروس في إرهابهم للمسلمين في الشيشان، والأمريكان في إرهابهم للمسلمين في العراق وأفغانستان، واليهود في إرهابهم للمسلمين في فلسطين[١].

---

(١) انظر مقال تحت عنوان: تعريف الإرهاب وحقيقته في الإسلام وعند الغرب، تاريخ النشر: ٢٨-٠٩-٢٠٠٨، المصدر: الإسلام سؤال وجواب، المشرف العام الشيخ محمد صالح المنجد.

المطلب الأول

بيان أن الإسلام يدعو للأخلاق الحسنة المخالفة للإرهاب المذموم

إن الإسلام يدعو للأخلاق الحسنة المخالفة للإرهاب المذموم؛ فكيف يكون الإسلام دينًا يدعو إلى الإرهاب وممارسة العنف، وهو يأمر بالعفو والمغفرة عن الآخرين، كما قال تعالى: **﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة: ١٠٩].**

وقال تعالى: **﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[الأعراف: ١٩٩].**

وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[التغابن: ١٤].**

وكيف يكون الإسلام دينًا يحرض على الإرهاب، وهو يكره الحرب والقتال ويحب السلم والسلام، كما قال تعالى: **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].**

فقرر الله تعالى وشهد بأن الحرب والقتال كره على النفس البشرية كيف لا وهو جابلها وخالقها على ذلك.

ولقد تمدح الله تعالى وامتن بكف أيدي المؤمنين عن قتال الكفار مرة، كما قال تعالى: **﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥].**

وعَنْ سَالِمٍ أَبِي النَّضْرِ(١)، مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَكَانَ كَاتِبًا لَهُ، قَالَ: كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَرَأْتُهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا، انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا قَالَ:" أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ،

---

(١) سبقت ترجمته، ص٥٩.

وَسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ؛ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ"، ثُمَّ قَالَ:" اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ"(١).

وفي رواية عَنْ سَالِمٍ أَبِي النَّضْرِ، مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَكَانَ كَاتِبًا لَهُ، قَالَ: كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى فَقَرَأْتُهُ؛ فَإِذَا فِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ"(٢).

وفي رواية أخرى، عَنْ أَبِى النَّضْرِ عَنْ كِتَابِ رَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِىِّ ﷺ، يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِى أَوْفَى؛ فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ حِينَ سَارَ إِلَى الْحَرُورِيَّةِ، يُخْبِرُهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ فِى بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِى لَقِىَ فِيهَا الْعَدُوَّ يَنْتَظِرُ، حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ، قَامَ فِيهِمْ؛ فَقَالَ:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ؛ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ" ثُمَّ قَامَ النَّبِىُّ ﷺ، وَقَالَ:" اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِىَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ، وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ"(٣).

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ:" لاَ تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ؛ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا"(٤). والإسلام لا يكره تمني الحرب فحسب؛ بل ويكره اسمها أيضًا.

وعَنْ أَبِي وَهْبٍ الْجُشَمِيِّ ﷺ(٥) وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ، وَهَمَّامٌ، وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ، وَمُرَّةُ"(٦).

والإسلام كما يكره الحرب والقتال يحب السلم والسلام.

فمصطلح الإسلام وهو اسم دين الله تعالى المشهور به وهو متضمن لمصطلح السلام.

---

(١) سبق تخريجه، ص٥٩.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ الجنة تحت بارقة السيوف، حديث رقم: ٢٨١٨، ج٧/٢٤٦، صحيح مسلم، مسلم، باب كَرَاهَةِ تَمَنِّى لِقَاءِ الْعَدُوِّ وَالأَمْرِ بِالصَّبْرِ عِنْدَ اللِّقَاءِ، ج٥/١٤، حديث رقم: ٤٦٤٠.

(٣) نفس التخريج السابق.

(٤) سبق تخريجه، ص٦٠.

(٥) هو: أبو وهب الجشمي، له صحبة، حديثه فِي أهل اليمامة، روى عنه عقيل بن شبيب، قال البغوي: سكن الشام، روى له البخاري في "الأدب"، وأبو دَاوُد، والنَّسَائي، ولم يذكر له ميلاد أو وفاة في الترجمة من الكتب المذكورة. انظر أسد الغابة، لابن الأثير، ج٦/٣٢٣، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ج٧/٣٧٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، ج٣٤/٣٩٤ –٣٩٥.

(٦) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ في تغيير الأسماء، ج٧/٣٠٥، حديث رقم:٤٩٥٠، وصححه الشيخ الألباني دون جملة "تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ" في كتابه الكلم الطيب، لابن تيمية، ص١٦٣، حديث رقم: ٢١٨.

والسلام اسم من أسماء الله تعالى.

والجنة وهي الدار التي وعد الله تعالى بها عباده المؤمنين اسمها دار السلام.

وتحية أهل الإسلام في هذه الدنيا هي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وتحية أهل الجنة هي السلام؛ فتحيتهم فيها سلام، كما قال تعالى: **﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].**

والإسلام يجنح في الحرب للسلم متى رآه لأنه محبوب له، ولأنه الأصل، كما قال تعالى: **﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال: ٦١].**

وقَالَ عَمَّارٌ رضي الله عنه:" ثَلاَثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ؛ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ: الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلاَمِ لِلْعَالَمِ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ"(١).

فهذا صحابي جليل من صحابة النبي ﷺ يرى أنه من الإيمان العمل على نشر السلم والأمن والخير في العالم كله. وكيف يكون الإسلام دينًا يحرض على الإرهاب والعنف العدواني وهو يأمر بالعدل والإحسان، كما قال تعالى: **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[الحديد: ٢٥].**

وأوجب الإسلام العدل والقسط مع من نحب ونبغض، كما قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[المائدة: ٨].**

وكذلك أمرنا الإسلام أن نؤدي الحق ولو على أنفسنا، كما قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾[النساء: ١٣٥].**

وأمرنا الإسلام أن نعدل بين الناس وذوي القربى، كما قال تعالى: **﴿... وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[الأنعام: ١٥٢].**

(١) صحيح البخاري وهو الجامع الصحيح المختصر، للإمام البخاري، في الإيمان/ إفشاء السلام من الإسلام، ج١/١٨.

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً** ﴾**[النساء: ٥٨].**

قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾**[النحل: ٩٠].**

وكيف يكون الإسلام دينًا يحرض على الإرهاب وهو ينهى عن الاعتداء ولا يحب المعتدين ولا يقاتل إلا المعتدي لرد عدوانه ورفع ظلمه، كما قال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾**[البقرة: ١٩٠].**

وكيف يكون الإسلام دينًا يحرض على الإرهاب وهو ينزل أقصى العقوبات بالذين يرهبون الناس وينزعون منهم نعمة الأمن والأمان، وذلك من أجل الحفاظ على أرواح الناس ودماءهم وأموالهم، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾**[المائدة: ٣٣].**

فالإسلام جاء بحد الحرابة ووضع عقوبات حادة وصارمة للذين يخوفون الآمنين وينشرون الخوف والهلع بين الناس؛ فهو دين السلام والأمن، فكيف يكون دين إرهاب، وإنما أراد هؤلاء الحاقدين على الإسلام من وراء هذه التهمة هو تشويه صورة الإسلام لكي ينفر الناس منه؛ فلا يدخلون في دين الله أفواجًا، ولكن الله يأبى أن يطفئ نوره، ويأبى أن ينهزم الإسلام.

والذي نخلص إليه أن شبهة الإرهاب التي نسبت للإسلام زورًا وبهتانًا لا صحة لها؛ حيث إن الإسلام دين لا يدعو إلى الإرهاب وممارسة العنف؛ بل يأمر بالعفو والمغفرة عن الآخرين، وكيف يكون الإسلام دينًا يحرض على الإرهاب، وهو يكره الحرب والقتال ويحب السلم والسلام، وكيف يكون الإسلام دينًا يحرض على الإرهاب والعنف العدواني وهو يأمر بالعدل والإحسان، وكيف يكون الإسلام دينًا يحرض على الإرهاب وهو ينهى عن الاعتداء ولا يحب المعتدين ولا يقاتل إلا المعتدي لرد عدوانه ورفع ظلمه، وكيف يكون الإسلام دينًا يحرض على الإرهاب وهو ينزل أقصى العقوبات بالذين يرهبون الناس وينزعون منهم نعمة الأمن والأمان، وذلك من أجل الحفاظ على أرواح الناس ودماءهم وأموالهم.

المطلب الثاني

بيان أن الواقع العملي للإسلام يشهد ببراءته من الإرهاب ووقوع غيره فيه

إن الواقع العملي للإسلام يشهد ببراءته من الإرهاب؛ بل ووقوع غيره ممن يتهمه في ذلك، ومما يؤكد على براءة الإسلام من الإرهاب المذموم مجموعة من الأمور منها:

١- لقد حرم الإسلام تخويف الآخرين ونهى عن ترويعهم حتى لو كان على سبيل المزاح، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ:" لَا يَأْخُذَنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ أَخِيهِ لَاعِبًا، وَلَا جَادًّا" وَمَنْ أَخَذَ عَصَا أَخِيهِ فَلْيَرُدَّهَا"[(١)].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى[(٢)]، قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ؛ فَأَخَذَهُ؛ فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا"[(٣)].

٢- من الخطأ الفاحش والظلم الكبير أن يوصف الإسلام بأوصاف جاء هو أصلًا بمحاربتها كالإرهاب أو الفاشية أو الظلم أو قتل الأبرياء؛ لأن هذا الدين قد جاء رحمة للعالمين، كما قال الله تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[الأنبياء: ١٠٧]**. فالإسلام دين رحمة لكل العالمين من المخلوقات بما فيها الإنسان مهما اختلف لونه أو مكانته، وتشمل هذه الرحمة كذلك الحيوان فقد دعا الإسلام للرحمة بالحيوان؛ فقد ورد عن رسول الله ﷺ كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:" بَيْنَا رَجُلٌ بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ مَنْ يَأْخُذُ الشَّيْءَ عَلَى الْمِزَاحِ، ج٤/٣٠١، حديث رقم: ٥٠٠٣، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في كتابه إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، حديث رقم: ١٥١٧، ج٥/٣٥٠.

(٢) هو: عَبْد الرَّحْمَنِ بن أَبي ليلى، واسمه يسار، ويُقال: بلال، ويُقال: داود بْن بلال بْن بليل بْن أحيحة بْن الجلاح بْن الحريش بْن جحجبا بْن كلفة بن عوف بن عَمْرو بن عوف بْن مَالِك بْن الأوس، الأَنْصارِيّ، الأوسي، أَبُو عيسى الكوفي، والد مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبي ليلى القاضي، وجد عَبد اللَّهِ بن عِيسَى بن عَبْد الرَّحْمَنِ بْن أَبي ليلى، ولد لست بقين من خلافة عُمَر بْن الخطاب، وَقَال يزيد بْن أَبي زياد: قال عَبد اللَّه بْن الحارث، يعني: ابن نوفل: اجمع بيني وبين عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبي ليلى، فجمعت بينهما، فقال عَبد اللَّه بْن الحارث: ما ظننت أن النساء ولدت مثل هذا، وعَن يحيى بْن مَعِين: ثقة، وَقَال أَحْمَد بْن عَبد الله العجلي: كوفي تابعي ثقة، مات سنة ثلاث وثمانين، روى له الجماعة. انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، ج١٧/٣٧٢-٣٧٧.

(٣) سنن أبي داود، أبو داود، الأدب/ مَنْ يَأْخُذُ الشَّيْءَ عَلَى الْمِزَاحِ، حديث رقم: ٥٠٠٤، ج٤/٣٠١، وصححه الشيخ الألباني رحمة الله تعالى في كتابه صحيح الترغيب والترهيب ص٢٥٧، حديث رقم: ٤٤٧.

العَطَشُ؛ فَوَجَدَ بِئْرًا؛ فَنَزَلَ فِيهَا؛ فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ؛ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ؛ فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الكَلْب مِنَ العَطَشِ، مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي؛ فَنَزَلَ البِئْرَ؛ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً؛ فَسَقَى الكَلْبَ؛ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ؛ فَغَفَرَ لَهُ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ لَأَجْرًا؟ فَقَالَ:" فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرًا"(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:" أَنَّ رَجُلًا رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ؛ فَأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ؛ فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ، حَتَّى أَرْوَاهُ؛ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ؛ فَأَدْخَلَهُ الجَنَّةَ"(٢).

فهل يعقل أن دين يدعو للرحمة والرأفة بالحيوان ثم يوصف بأنه يدعو للإرهاب؟! وهل يعقل أن دينًا يدعو للسلام وينهى عن قتل الأبرياء ثم يتهم بالقتل وإيذاء الناس بدون سبب؟! لاشك أن هذا لا يمكن أن يحصل ولا يمكن لمنصف أن يقول مثل هذا الكلام أو يصف الإسلام بمثل هذه الأوصاف.

٣- إن الناظر بإنصاف لهذا الدين الذي جاء من رب العالمين وجاء به خير المرسلين ليجد أنه ينهى عن قتل كل برئ، وقد أنكر رسول الله ﷺ أشد الإنكار على الصحابة رضي الله عنهم عندما رأى امرأة مقتولة بعد إحدى غزواته ﷺ؛ فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: وُجِدَتِ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ"(٣).

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى:" أجمع العلماء على العمل بهذا الحديث، وتحريم قتل النساء والصبيان إذا لم يقاتلوا"(٤).

وعَنْ رَبَاحِ بْنِ رَبِيعٍ رضي الله عنه(٥) قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ؛ فَرَأَى النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى شَيْءٍ؛ فَبَعَثَ رَجُلًا؛ فَقَالَ: انْظُرْ، عَلَامَ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ؟ فَجَاءَ؛ فَقَالَ: عَلَى

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، الوضوء/ الماء الذي يغسل به شعر الإنسان، ج١/٧٥، حديث رقم: ١٧١، صحيح مسلم، مسلم، السَّلَامِ/ فَضْلِ سَاقِي الْبَهَائِمِ الْمُحْتَرَمَةِ وَإِطْعَامِهَا، حديث رقم: ٢٢٤٤، ج٤/١٧٦١.

(٢) نفس التخريج السابق.

(٣) سبق تخريجه، ص٤٣.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١٢/ ٤٨.

(٥) سبقت ترجمته، ص٥٢

امْرَأَةٍ قَتِيلٍ؛ فَقَالَ:" مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ" قَالَ: وَعَلَى الْمُقَدِّمَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ؛ فَبَعَثَ رَجُلًا؛ فَقَالَ: قُلْ لِخَالِدٍ، لَا يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً، وَلَا عَسِيفًا"(١).

وعَنْ حَنْظَلَةَ الْكَاتِبِ رضي الله عنه(٢) قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَمَرَرْنَا عَلَى امْرَأَةٍ مَقْتُولَةٍ، قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا النَّاسُ؛ فَأَفْرَجُوا لَهُ؛ فَقَالَ: مَا كَانَتْ هَذِهِ تُقَاتِلُ فِيمَنْ يُقَاتِلُ، ثُمَّ قَالَ لِرَجُلٍ: انْطَلِقْ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ؛ فَقُلْ لَهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ، يَقُولُ: لَا تَقْتُلَنَّ ذُرِّيَّةً، وَلَا عَسِيفًا"(٣).

٤- من عجب أن هؤلاء المعادين للإسلام المحاربين له الطاعنين فيه المفترين عليه يتهمون المسلمين بالإرهاب وهم الإرهابيون الحقيقيون؛ وإلا فمن الذي يقتل أطفال فلسطين ليل نهار، وصباح مساء، ومن قتل أطفال أفغانستان، ومن قتل أطفال العراق وغيرهم من المدنيين حينما احتلت أمريكا العراق في العصر الحديث وأطاحت بالرئيس الراحل صدام حسين وأعدمته، ومن ضرب جزر اليابان بالنووي وقتل أهلها، ومن الذي قام بالحرب العالمية الأولى والثانية، وقتل فيها الملايين من الناس، وكذلك حرق المسلمين في بورما، وهلمَّ جرًّا من ظلمهم وعدوانهم وعنفهم وإرهابهم الذي لا يحصر ولا يعد.

٥- لا يعني أن بعض المسلمين استخدموا العنف فيصبح حينئذٍ الإسلام دينًا إرهابيًا؛ فإن الإسلام حجة عليهم وليس هم حجة على الإسلام، ونصوص الإسلام ناطقة بنبذ العنف

والإرهاب العدواني الجائر الظالم؛ فعَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ"(٤).

٦- إن المسلمين ليسوا أهل الإرهاب ولكنهم ضحايا الإرهاب كالهندوس في إرهابهم ضد المسلمين في كشمير، والروس في إرهابهم للمسلمين في الشيشان، والأمريكان في إرهابهم

---

(١) سبق تخريجه، ص٥٣.

(٢) سبقت ترجمته، ص٥٣.

(٣) سبق تخريجه، ص٥٣.

(٤) صحيح مسلم، مسلم، الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ/ فَضْلِ الرِّفْقِ، ج٤/٢٠٠٣، حديث رقم: ٢٥٩٣،

للمسلمين في العراق وأفغانستان، واليهود في إرهابهم للمسلمين في فلسطين، والبوذيين ضد إقليم أراكان وحرق المسلمين بالنيران هناك.

والخلاصة أن تهمة الإرهاب اتي يحاول الغربيون أن يلصقوها بالإسلام هي أليق بهم وأنسب؛ فالواقع يشهد ببراءة المسلمين من الإرهاب فهم ضحاياه في أكثر أنحاء العالم، وأما هم فالذين شنوا الحروب على العالم ودوله، وقتلوا الأطفال والنساء والشيوخ وغيرهم، وكيف يوصف الإسلام بأوصاف جاء هو أصلًا بمحاربتها كالإرهاب أو الفاشية أو الظلم أو قتل الأبرياء؛ لأن الدين الإسلامي جاء رحمة للعالمين، ووصف بدين الرحمة، والرحمة غاية من أشهر غايته.

المبحث الثالث

شبهة انشغال السلف بالجهاد عن فهم آيات الصفات والرد عليها

لقد أثار قوم شبهة خلاصتها أن الصحابة رضي الله عنهم انشغلوا بالجهاد عن تعلم العقيدة عمومًا وباب الصفات الإلهية خصوصًا، ومن هؤلاء الذين ادعوا ذلك أبو المعالي الجويني، والحقيقة أن أصحاب هذه الدعوى الكاذبة والشبهة الزائفة حينما لم يجدوا الصحابة رضي الله عنهم تكلموا بمثل كلامهم، وتأولوا نصوص العقيدة بمثل تأويلاتهم حينئذٍ زعموا هذا الزعم الجاهل، وادعوا هذا الادعاء الباطل، زورًا وبهتانًا منهم على الصحابة رضي الله عنهم؛ بل ومنهم من زعم أن الرسول ﷺ لم يعلمهم باب الصفات؛ لئلا يشتغلوا به عن الجهاد، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" قد رأيت أبا المعالي في ضمن كلامه، يذكر ما ظاهره الاعتذار عن الصحابة، وباطنه جهل بحالهم، مستلزم إذا طرد الزندقة والنفاق، فإنه أخذ يعتذر عن كون الصحابة لم يمهدوا أصول الدين، ولم يقرروا قواعده؛ فقال: لأنهم كانوا مشغولين بالجهاد والقتال عن ذلك، هذا مما في كلامه، وهذا إنما قالوه لأن هذه الأصول والقواعد التي يزعمون أنها أصول الدين، قد علموا أن الصحابة لم يقولوها، وهم يظنون أنها أصول صحيحة، وأن الدين لا يتم إلا بها، وللصحابة رضي الله عنهم أيضًا من العظمة في القلوب ما لم يمكنهم دفعه، حتى يصيروا بمنزلة الرافضة القادحين في الصحابة"[1].

---

(١) التسعينية، ج٣/٩٤١.

المطلب الأول

بيان أن الصحابة رضي الله عنهم اكتملت معرفتهم بعقيدتهم

إن الصحابة رضي الله تعالى عنهم اكتملت معرفتهم بعقيدتهم ولذلك كانوا دعاة لها ومعلمين إياها لغيرهم، كما قال مجموعة من الباحثين المسلمين:" هذه المزاعم في غاية البطلان وذلك لأن الصحابة قد اكتملت معالم عقيدتهم وشريعتهم قبل وفاة الرسول ﷺ، ولقد كانت الأحداث التي عاشوها رضوان الله عليهم، والآيات التي خوطبوا بها ابتداء والتي تتحدث عن كل مسائل العقيدة هي الزاد الحقيقي الذي فهموا فيه أمور عقيدتهم، والتي عرضت بوضوح وشمول كبير أغناهم عن البحث، والتنقير، والابتداع، أو السؤال، فانطلقوا بهذا التصور الكامل عن الإله الحق، ووعده الحق لهم بالجزاء الحسن بالجنة، وأنه رضي الله عنهم، ورضوا عنه، انطلقوا يفتحون الدنيا شرقاً وغرباً، وقد امتلأت قلوبهم حباً وعقولهم معرفة وفهماً لكل معاني الصفات"[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" فكل ما يحتاج الناس إلى معرفته واعتقاده والتصديق به من هذه المسائل فقد بينه الله ورسوله بيانًا شافيًا قاطعًا للعذر؛ إذ هذا من أعظم ما بلغه الرسول البلاغ المبين، وبينه للناس، وهو من أعظم ما أقام الله الحجة على عباده فيه بالرسل الذين بينوه وبلغوه، وكتاب الله الذي نقله الصحابة رضي الله عنهم ثم التابعون عن الرسول ﷺ لفظه ومعانيه، والحكمة التي هي سنة رسول الله ﷺ التي نقلوها أيضًا عنه مشتملة من ذلك على غايه المراد وتمامه"[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أيضًا:" أسقطوا بها حرمة الكتاب والرسول عندهم، وحرمة الصحابة والتابعين لهم بإحسان، حتى يقولون: إنهم لم يحققوا أصول الدين كما حققناها، وربما اعتذروا عنهم بأنهم كانوا مشتغلين بالجهاد، ولهم من جنس هذا الكلام الذي يوافقون به الرافضة ونحوهم من أهل البدع، ويخالفون به الكتاب والسنة والإجماع"[(٣)].

والحق أنه لو انشغل الصحابة رضي الله عنهم جميعًا عن أخذ العلم وتركوه لكان ذلك منقصة في حقهم، كيف وقد انشغل كثير منهم بنقل العلم لمن بعدهم، وإن انشغال بعض

---

(١) الموسوعة العقدية، لمجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، ج٢/٢٨٢.

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ج١/٢٧.

(٣) نفس المرجع السابق، ج٢/١٤-١٥.

الصحابة في الجهاد عن العلم ممدوح لوجوه منها أنه انشغال في طاعة ربما وجبت في حقهم، ولأن غيرهم من الصحابة أيضًا قام بدور أكمل في تلقي العلم ونشره؛ فلم ينفروا جميعًا ولم يقعدوا لطلب العلم جميعًا ويتخلفوا عن الجهاد، متمثلين في ذلك قول الله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[التوبة: ١٢٢].**

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى:" قَوْلُهُ: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ نَهْيًا مِنَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ إِخْلاَءِ بِلاَدِ الإِسْلاَمِ بِغَيْرِ مُؤْمِنٍ مُقِيمٍ فِيهَا، وَإِعْلاَمًا مِنَ اللَّهِ لَهُمْ أَنَّ الْوَاجِبَ النَّفْرُ عَلَى بَعْضِهِمْ دُونَ بَعْضٍ، وَذَلِكَ عَلَى مَنِ اسْتُنْفِرَ مِنْهُمْ دُونَ مَنْ لَمْ يُسْتَنْفَرْ"(١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما:" تنفر طائفة وتمكث طائفة مع النبي ﷺ. قال: فالماكثون: هم الذين يتفقهون في الدين وينذرون إخوانهم إذا رجعوا إليهم من الغزو بما نزل من قضاء الله وكتابه وحدوده(٢)".

وإن تلقي العلم ونشره الذي قام به الصحابة رضي الله عنهم بل والجهاد الذي جاهدوا الأعداء به أكمل من علم وجهاد غيرهم ممن جاء بعدهم، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" وهكذا يقول من يقول من مبتدعة أهل الزهد، والتصوف؛ إذا دخلوا في عبادات منهي عنها، ومذمومة في الشرع، قالوا: كان الصحابة مشغولين عنها بالجهاد، وكان النبيّ ﷺ يخاف أن يشتغلوا بها عن الجهاد، وأهل السيف، قد يظنّ من يظنّ منهم أنّ لهم من الجهاد، وقتال الأعداء ما لم يكن مثله للصحابة، وأنّ الصحابة كانوا مشغولين بالعلم والعبادة عن مثل جهادهم"(٣).

وإن الصحابة رضي الله عنهم لم يشغلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء؛ بل كانوا حريصين كل الحرص أن يفوتهم شيء من العلم، أيًا كان هذا العلم من الدين عقيدة أم شريعة أم غير ذلك؛ فعن عمر قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ج١١/٤٦٢.

(٢) الإنجاد في أبواب الجهاد وتفصيل فرائضه وسننه وذكر جمل من آدابه ولواحق أحكامه، لابن المناصف/٢٥.

(٣) النبوات، ج٢/٦٣٥.

من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه و سلم ينزل يوما، وأنزل يوما؛ فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك"[١].

والذي نخلص إليه أن الصحابة رضي الله عنهم لم ينشغلوا بالجهاد عن فهم آيات الصفات أو غيرها من قضايا العقيدة؛ بل إن الصحابة رضي الله تعالى عنهم اكتملت معرفتهم بعقيدتهم ولذلك كانوا دعاة لها ومعلمين إياها لغيرهم، وإن رضي الله عنهم لم ينفروا جميعًا في الجهاد، ولم يقعدوا لطلب العلم جميعًا ويتخلفوا عن الجهاد؛ بل قدر الله تعالى أن يكونوا في كل أبواب الدين، متمثلين في ذلك هدي القرآن.

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، العلم/ التناوب في العلم، ج١/٤٦، حديث رقم: ٨٩.

المطلب الثاني

بيان أن الصحابة رضي الله عنهم أحرص الناس على كل خير

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص الناس على كل خير، فلقد كانوا يجعلون لأنفسهم سهمًا في كل خير، كما قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[البقرة: ٢٠٨].**

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:" يقول الله تعالى آمرا عباده المؤمنين به المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره، ما استطاعوا من ذلك"(١).

ولذلك عرف عن الصحابة ﷺ من فعل الخيرات والصالحات والعبادات ما لم يعرف عن غيرهم، قال ابن مسعود ﷺ:" والله الذي لا إله غيره، ما نزلت آية في كتاب الله، إلا أعلم فيما نزلت، وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته"(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" هل انتشر عن أحد من المنتسبين إلى القبلة، أو عن أحد من الأمم المتقدمين والمتأخرين من العلم والدين ما انتشر وظهر عنهم؟ أم هل فتحت أمة البلاد وقهرت العباد، كما فعلته الصحابة رضوان الله عليهم؟ ولكن كانت علومهم وأعمالهم وأقوالهم وأفعالهم حقًّا باطنًا وظاهرًا، وكانوا أحق الناس بموافقة قولهم لقول الله، وفعلهم لأمر الله، فمن حاد عن سبيلهم لم ير ما فعلوه، فيزين له سوء عمله حتى يراه حسنًا، ويظن أنه حصل له من العلوم النافعة والأعمال الصالحة ما قصروا عنه، وهذه حال أهل البدع"(٣).

والحق أن الصحابة رضي الله عنهم لم يعرفوا تأويلات هؤلاء والتي يريدون أن يجعلوها دينًا يختبرون إيمان الناس عليها، ولذلك قال أَبُو الوفاء بْن عقيل لبعض أصحابه:" أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض؛ فَإِن رضيت أن تكون مثلهم فكن، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بَكْر وعمر فبئس مَا رأيت"(٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ج١/٤٢٢.

(٢) الدرر السنية، ج٢، ٢٧٥.

(٣) التسعينية، ج٣/٩٤٢.

(٤) تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ص٧٧.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" ثمّ إنّ هؤلاء مع هذا لمّا لم يجدوا الصحابة والتابعين تكلموا بمثل كلامهم؛ بل ولا نقل ذلك عن النبيّ ﷺ، صار منهم من يقول: كانوا مشغولين بالجهاد عن هذا الباب، وأنّهم هم حققوا ما لم يحققه الصحابة، ويقولون أيضاً: إنّ الرسول لم يعلمهم هذا، لئلا يشتغلوا به عن الجهاد؛ فإنّه كان محتاجا إليهم في الجهاد"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أيضًا:" جعلوا الصحابة حين تركوا أصول الدين كانوا مشغولين عنه بالجهاد، وهم في ذلك بمنزلة كثير من جندهم ومقاتلتهم الذين قد وضعوا قواعد وسياسة للملك والقتال، فيها الحق والباطل، ولم نجد تلك السيرة تشبه سيرة الصحابة، ولم يمكنهم القدح فيهم، فأخذوا يقولون: كانوا مشغولين بالعلم والعبادة عن هذه السيرة وأبهة الملك الذي وضعناه، وكل هذا قول من هو جاهل بسيرة الصحابة وعلمهم ودينهم وقتالهم، وإن كان لا يعرف حقيقة أحوالهم، فلينظر إلى آثارهم، فإن الأثر يدل على المؤثر"(٢).

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يجمعون صنوف الخيرات والطاعات وإن دلَّ هذا على شيء فإنما يدل على شدة حرصهم على فعل الخيرات وأن يكون من أهل الدرجات في الجنات؛ فَعَنْ

أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ:" فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟" قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ:" فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟" قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ:" فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟" قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ"(٣).

والخلاصة أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أحرص الناس على كل خير، فلقد كانوا يجعلون لأنفسهم سهمًا في كل خير، فهم أكثر من بذل في نشر العلم، وأكثر من جاهد في سبيل الله تعالى ممن جاء بعدهم، وهو أعلم الأمة بكتاب الله تعالى الذي نزل بين ظهرانيهم، ولكن هؤلاء الذين يتهمونهم بهذه التهم حينما لم يجدوا الصحابة رضي الله عنهم قالوا بمثل أقوالهم في الصفات، وأولوا بمثل تأويلاتهم، أخذوا يلقون مثل هذه التهم جزافًا وظلمًا وزورًا على الصحابة رضي الله عنهم، وهم من أكثر الناس براءة مما نسب إليهم.

---

(١) النبوات، ج٢/٦٣٤.

(٢) التسعينية، ج٣/٩٤٢.

(٣) صحيح مسلم، الزَّكَاة/ مَنْ جَمَعَ الصَّدَقَةَ، وَأَعْمَالَ الْبِرِّ، ج٢/٧١٣، حديث رقم: ١٠٢٨.

المبحث الرابع

شبهة لا جهاد إلا خلف الإمام والرد عليها

لقد ذهب الشيعة إلى أنه لا جهاد إلا خلف الإمام، وإذا كان الإمام غائبًا وغير موجود فلا جهاد حينئذ.

وإن الجهاد في المذهب الشيعي محرم إلى خروج إمامهم الثاني عشر لذا لم يسجل التاريخ ولن يسجل جهاداً حقيقيًا للشيعة ضد الكفار؛ فلا جهاد عند الشيعة إلا بحضور المهدي؛ وإن كتب الشيعة تزخر بالعديد من المرويات التي تبني هذا الاعتقاد عندهم، ومن ذلك ما روى ثقتهم في الحديث محمد بن يعقوب الكليني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله عز وجل"([1])، وذكر هذه الرواية شيخهم الحر العاملي([2]).

وروى محدثهم الحاج حسين النوري الطبرسي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: "مثل من خرج منا أهل البيت قبل قيام القائم عليه السلام مثل فرخ طار ووقع من وكره؛ فتلاعبت به الصبيان"([3]).

وروى الحر العاملي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يا سدير، الزم بيتك وكن حلسًا من أحلاسه، واسكن ما سكن الليل والنهار؛ فإذا بلغك أن السفياني قد خرج؛ فارحل إلينا ولو على رجلك"([4]).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: "ما خرج ولا يخرج منا أهل البيت إلى قيام قائمنا أحد ليدفع ظلماً أو ينعش حقا إلا اصطلته البلية وكان قيامه زيادة في مكروهنا وشيعتنا"([5]).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: "كل راية ترفع قبل راية القائم فصاحبها طاغوت"([6]).

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: "والله لا يخرج أحد منا قبل خروج القائم إلا كان مثله كمثل فرخ طار من وكره قبل أن يستوي جناحاه فأخذه الصبيان، جثوا به"([1]).

([1]) الكافي، ج٨، ص٢٩٥.

([2]) وسائل الشيعة، ج١١، ص٣٧.

([3]) مستدرك الوسائل، ط دار الكتب الإسلامية طهران، ج٢، ص٢٤٨.

([4]) وسائل الشيعة، ج١١، ص٣٦.

([5]) الصحيفة السجادية الكاملة، ط دار الحوراء بيروت لبنان، ص١٦.

([6]) مستدرك الوسائل، ج٢، ص٢٤٨.

وقد قرر مرجعهم وآيتهم الخميني أن البدأة بالجهاد لا تكون إلا لقائمهم إذ يقول: "في عصر غيبة ولي الأمر وسلطان العصر – عجل الله فرجه – الشريف يقوم نوابه العامة وهم الفقهاء الجامعون لشرائط الفتوى والقضاء مقامه في إجراء السياسات وسائر ما للإمام إلا البدأة بالجهاد"([2])؛ بل إنهم يذمون أهل السنة لأنهم يجاهدون، روى الملأ محسن الملقب بالفيض الكاشاني في الوافي، والحر العاملي في وسائل الشيعة، ومحمد حسن النجفي في جواهر الكلام:" عن عبد الله بن سنان قال: قلت لأبي عبد الله: جعلت فداك ما تقول في هؤلاء الذين يقتلون في هذه الثغور؟ قال: فقال: الويل يتعجلون قتلة في الدنيا وقتله في الآخرة، والله ما الشهيد إلا شيعتنا ولو ماتوا على فرشهم"([3]).

وهذا الاعتقاد الخطير لدى الشيعة في الجهاد هو الذي يزيد موقف الشيعة وضوحًا عندما تحل الكوارث بالأمة الإسلامية وتراهم يقفون موقف المتفرج، ثم المتحالف مع الأعداء ليأمن الشيعة من ناحية، ولينكلوا بالسنة من ناحية أخرى.

ولذلك لم يسجل التاريخ للشيعة جهادًا ضد الكفار، إلا أن يكون ضد أهل السنة عن طريق الخيانات التي يفعلونها في القديم والحديث.

المطلب الأول

إثبات أن الجهاد غير مقيد شرعًا بإذن الإمام

لابد من العلم بأن الجهاد منه دفع ومنه طلب؛ فأما الدفع فلا يعقل انتظار سماع أمر الإمام بدفعهم؛ بل يجب ردهم ودفعهم وإلا وقع المحظور من القتل والسلب والاعتداء على العرض والمال والممتلكات، ولذلك كان قول العقلاء بعدم أخذ الإذن من أحد في رد الأعداء ودفعهم عن البلد، كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:" قتال الدفع أوسع من قتال الطلب، وأعم وجوبًا، ولهذا يتعين على كل أحد يَقُمْ، ويجاهد فيه العبد بإذن سيده وبدون إذنه، والولد بدون إذن أبويه، والغريم بغير إذن غريمه، وهذا كجهاد المسلمين يوم أحد والخندق، ولا يشترط في هذا النوع من الجهاد أن يكون العدو ضعفي المسلمين فما دون؛ فإنهم كانوا يوم أحد

=

([1]) وسائل الشيعة، ج١١، ص٣٦.

([2]) تحرير الوسيلة، ج١، ص٤٨٢.

([3]) الوافي، ج٩، ص١٥، ووسائل الشيعة، ج١١، ص٢١، وجواهر الكلام، ج٢١، ص٤٠.

والخندق أضعاف المسلمين؛ فكان الجهاد واجبًا عليهم؛ لأنه حينئذ جهاد ضرورة ودفع، لا جهاد اختيار، ولهذا تباح فيه صلاة الخوف بحسب الحال في هذا النوع"[1].

ولقد جاءت نصوص الشرع غير مقيدة بإذن الإمام في الجهاد، كما قال تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾**[البقرة: ٢١٦]**.

وقال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ**﴾**[البقرة: ١٩٠]**.

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴾**[التوبة: ١٢٣]**.

وقال تعالى: ﴿**انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾**[التوبة: ٤١]**.

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً** ﴾**[النساء: ٧١]**.

وقال تعالى: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً** ﴾**[النساء: ٨٤]**.

قال الإمام البغوي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية:" لا تدع جهاد العدو والانْتصار للمستضعفين من المؤمنين ولو وحدك، فإن اللَّه قد وعدك النصرة وعاتبهم على ترك القتال"[2].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية:" لا تدع جهاد العدو والاستنصار عليهم للمستضعفين من المؤمنين ولو وحدك، لأنه وعده بالنصر، فالمعنى والله أعلم أنه خطاب له في اللفظ، وهو مثال ما يقال لكل واحد في خاصة نفسه، أي أنت يا محمد وكل واحد من أمتك القول له، ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ**﴾**[النساء: ٨٤]**.ولهذا ينبغي لكل مؤمن أن يجاهد ولو وحده"[3].

---

(١) الفروسية، ص ١٨٨.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، ج٢/٢٥٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ـ تفسير القرطبي، ج٥/٢٩٣.

وقال ابن حزم رحمه الله في قوله تعالى: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ**﴾ **[النساء: ٨٤]**. قال:" وهذا خطاب متوجه إلى كل مسلم، فكل أحد مأمور بالجهاد وإن لم يكن معه أحد، وقال تعالى: ﴿**انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً**﴾ وقال تعالى: ﴿**فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا**﴾"(١).

وقال أبو الطيب محمد صديق خان رحمه الله تعالى:" الأدلة الدالة على وجوب الجهاد من الكتاب والسنة وعلى فضيلته والترغيب فيه وردت غير مقيدة بكون السلطان أو أمير الجيش عادلا؛ بل هذه فريضة من فرائض الدين، أوجبها الله تعالى على عباده المسلمين؛ من غير تقييد بزمن أو مكان أو شخص، أو عدل أو جور"(٢).

وقال الدكتور محمد خير هيكل:" ليس وجودُ الإمام شرطًا بفرض القتال للأعداء، وذلك لأن آيات القرآن في شأن القتال جاءت مطلقة غير مقيدة بمثل هذا الشرط، كما في قوله تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ...** ﴾**البقرة٢١٦**. وقوله: ﴿**وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ...**﴾**[البقرة: ١٩٠]**."(٣).

وإن فرض الجهاد حينما يتعين لم يربطه العلماء الأجلاء بشرط كإذن الإمام أو غيره من الشروط، وكما قال الدكتور عبد الله عزام رحمه الله تعالى: اتفق السلف والخلف وفقهاء المذاهب الأربعة والمحدثون والمفسرون في جميع العصور الإسلامية إطلاقًا أن الجهاد يصبح فرض عين على أهل البلدة التي هاجمها الكفار، وعلى من قرب منهم؛ بحيث يخرج الولد دون إذن والده، والزوجة دون إذن زوجها، والمدين دون إذن دائنه؛ فإن لم يكفّ أهل تلك البلدة أو قصَّروا أو تكاسلوا أو قعدوا يتوسع فرض العين على شكل دوائر الأقرب فالأقرب؛ فإن لم يكفّوا أو قصَّروا فعلى من يليهم، ثم على من يليهم، حتى يعمَّ فرض العين الأرض كلَّها(٤).

والذي نخلص إليه أن الجهاد منه دفع ومنه طلب، وقد جاءت نصوص الشرع غير مقيدة بإذن الإمام في الجهاد؛ فالأدلة الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية لا تشترط وجود الإمام وأخذ الأذن منه، وهذا ما فهمه العلماء والمفسرون واتضح لنا من خلال تفسيرهم لآيات

---

(١) المحلى، لابن حزم، ج٧/٣٥١.

(٢) الروضة الندية ومعها التعليقاتُ الرَّضية على الرَّوضة النّديَّة، لأبي الطيب القِنَّوجي، ج٣/ ٤٣٧.

(٣) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، لهيكل، وهو من العلماء المعاصرين، ج١/٢٥٠.

(٤) انظر الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان/ الدكتور عبد الله عزام، مكتبة المنار، الأردن ــ الزرقاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٧م، ص٢٩ ــ ص٣٠.

الجهاد حيث لم يذكروا أي شرط يشترط قتال الكفار بعد أخذ الإذن من الإمام؛ لأن الجهاد موجه لجميع المسلمين لقتال العدو حتى ولو كان المسلم وحده.

المطلب الثاني

بيان أن جنس الجهاد يفيد أنه غير مقيد شرعًا بإذن الإمام

إن حكم جنس الجهاد في سبيل الله تعالى فرض عين؛ فيجب الجهاد بالقلب والجنان، وباللسان؛ بل وبالمال، واليدان، قدر الجهد والاستطاعة والمتاح والمتمكن منه؛ فيجب على المسلم أن يجاهد في سبيل الله حسب القدرة والاستطاعة والجهد والمتاح والمتمكن منه، كما قال ابن قدامة:" الخطاب في ابتدائه يتناول الجميع، كفرض الأعيان، ثم يختلفان في أن فرض الكفاية يسقط بفعل بعض الناس له، وَفرض الأعيان لا يسقط عن أحد بفعل غيره، والجهاد من فروض الكفايات، في قول عامة أهل العلم، وحكي عن سعيد بن المسيب، أنه من فروض الأعيان؛ لقول اللَّه تعالى: ﴿**انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ...**﴾ [**التوبة: ٤١**]."[١].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:" وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ جِنْسَ الْجِهَادِ فَرْضُ عَيْنٍ؛ إِمَّا بِالْقَلْبِ، وَإِمَّا بِاللِّسَانِ، وَإِمَّا بِالْمَالِ، وَإِمَّا بِالْيَدِ، فَعَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُجَاهِدَ بِنَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ"[٢].

وما دام أن جنس الجهاد في سبيل الله تعالى فرض عين فإنه لا يحتاج من جهة الأصل للإذن لأن الله تعالى فرضه ابتداءً وأصالة؛ بل وإن منع الإمام من الجهاد والشطب عليه حينما يكون لابد منه معصية ظاهرة، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ بل الطاعة في المعروف.

والإمام لا يحق له منع الجهاد إذا لم يكن لمصلحة؛ بل إن كان منعه سيلحق الضرر بالمسلمين لا محالة؛ فلا يأخذ أذنه حينئذ، ولكن لو استنفر الإمام الناس للجهاد وجب التلبية لندائه واستنفاره، ما دام ذلك يصب في مصلحة الإسلام والمسلمين، وقد بين الشرع لنا وجوب تلبية نداء الإمام للجهاد إذا دعا إليه واستنفر، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ * إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [**التوبة: ٣٨-٣٩**].

---

(١) المغني، ج١٣/٦.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٣/٦٤.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ الْفَتْحِ:" لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا"[1].

ولقد عتب الله تعالى على أناس لم يخرجوا مع رسول الله ﷺ إمامهم حينما استنفرهم للخروج كما في غزوة تبوك فتخلفوا عنه وتقاعسوا، كما قال تعالى: **﴿وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[التوبة: ١١٨].**

وقال تعالى: **﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[التوبة: ١٢٠].**

ولذلك عدم الاستجابة لنداء الإمام في الجهاد واستنفاره تعد معصية ظاهرة لا سيما على القادر من الناس غير صاحب العذر، وكذلك من غزا وخالف في غزوه الإمام والمسلمين وألحق الضرر بالمسلمين؛ فكان غزوه يخالف المصلحة العامة للمسلمين ويلحق الضرر بهم فهو آثم؛ فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:" الْغَزْوُ غَزْوَانِ؛ فَأَمَّا مَنْ ابْتَغَى وَجْهَ اللَّهِ، وَأَطَاعَ الْإِمَامَ، وَأَنْفَقَ الْكَرِيمَةَ، وَيَاسَرَ الشَّرِيكَ، وَاجْتَنَبَ الْفَسَادَ؛ فَإِنَّ نَوْمَهُ وَنُبْهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ، وَأَمَّا مَنْ غَزَا فَخْرًا، وَرِيَاءً، وَسُمْعَةً، وَعَصَى الْإِمَامَ، وَأَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ بِالْكَفَافِ"[2].

ثم إنه يقال للمخالف هب أن الإمام كان فاسقًا سكيرًا وعنده من القوة والسلاح مما لا يقدر بحال عزله من رعيته، أينتظر أمر مثل هذا أو كان متواطئًا بالخفاء مع الأعداء أو تم تغيبه عن الساحة وقت الحرب دون أن يشعر شعبه بذلك أو كان جبانًا لا يؤخذ قرارًا رجوليًا في وقته، ولذلك إن القول أحيانًا: لا جهاد إلا خلف الإمام لا تخدم إلا أعداء المسلمين.

وكيف يمكن أخذ الإذن من حكام أو أئمة هم يحاربون الجهاد في سبيل الله ويعارضونه!.

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، أبواب الإحصار وجزاء الصيد/ لا يحل القتال بمكة، حديث رقم: ١٧٣٧، ج٢/٦٥١، صحيح مسلم، مسلم، الحج/ تَحْرِيمِ مَكَّةَ وَصَيْدِهَا وَخَلَاهَا وَشَجَرِهَا وَلُقَطَتِهَا، إِلَّا لِمُنْشِدٍ عَلَى الدَّوَامِ، ج٢/ ٩٨٦، حديث رقم: ١٣٥٣.

(٢) سبق تخريجه، ص٤٧.

ومثل ما قيل في جهاد الدفع يقال مثله في جهاد الطلب فقد يوجد إمام فاسق سكير لا يأذن بجهاد الطلب بحال من الأحوال؛ فماذا يقال حينئذ؛ بل إن لم يوجد إمام لمئات السنين فهل يعقل أن يتوقف الجهاد كله، وأين دفع الضرر قبل أن يقع.

ومن عجب أن تجد من شباب الأحزاب يحرضون على عدم الجهاد في سبيل الله إلا بإذن الإمام أو الحاكم، أو لا جهاد عندهم إلا بعد إقامة الخلافة وعودتها، وحينئذ نأخذ الإذن من الخليفة بالجهاد، ويجب أن نبقى ننتظر الخليفة حتى ولو كان مجيئه بعد ألف سنة، وبعدئذٍ يكون الجهاد في سبيل الله، وكيف لها أن تقوم الخلافة من غير تحرير البلاد من الغاصبين والمحتلين لها إلا من خلال الجهاد في سبيل الله لدحر الأعداء وإقامة الخلافة، وهذا القول الذي يقول به هؤلاء الجهلة يفرح به الأعداء ويعلمون مدى الجهل الذي حل بنا وبأمتنا الإسلامية للأسف الشديد.

وليس بعيدًا أن يكون بعض من الناس ممن يقولون بعدم وجوب الجهاد إلا بإذن الإمام ذهبوا لذلك لكي يبتعدوا عن الجهاد في سبيل الله وبذل النفس فيه؛ فلا يُدعون للجهاد فلا يلبوا فيتهمون.

والخلاصة أن جنس الجهاد في سبيل الله تعالى فرض عين على كل مسلم، إِمَّا بِالْقَلْبِ، وَإِمَّا بِاللِّسَانِ، وَإِمَّا بِالْمَالِ، وَإِمَّا بِالْيَدِ، وفي ذلك دلالة واضحة على أن الجهاد لا يحتاج من جهة الأصل للإذن من إمام وغيره؛ لأن الله تعالى فرضه ابتداءً وأصالة.

المبحث الخامس

شبهة أن الجهاد للدفع فقط والرد عليها

لقد ادعى قوم من أبناء جلدتنا ومعتنقي ملتنا أن الجهاد في الإسلام للدفع فقط؛ فحصروا الجهاد في جهاد الدفع لا غير، ونفوا جهاد الطلب وأنكروه جملة وتفصيلًا، وقالوا: إن القول بجهاد الطلب يستلزم أن يكون الإسلام عدوانيًا؛ فالجهاد عندهم أن نرد الكفار عن دارنا إذا جاء الكفار معتدون علينا وأما أن نطلبهم في دارهم فلا يجوز عندهم، وهذه بدعة منكرة وفرية مستشنعة، كما قال الدكتور علي بن نفيع العلياني:" ابتدع تلاميذ المستشرقين ومن سار على نهجهم بدعة منكرة تخالف الكتاب العزيز والسنة الصحيحة وإجماع سلف الأمة وهذه البدعة هي أن الجهاد في الإسلام للدفاع فقط"[1].

المطلب الأول

إثبات جهاد الطلب في الإسلام

إن الجهاد في الإسلام له أسبابه وأهدافه وضوابطه وآدابه؛ فليس الأمر مطلوقًا على غاربه، وليس الباب مفتوحًا على مصراعيه؛ بل للجهاد في الإسلام منظومة فريدة من الحسن والجمال والأخلاق والفقه وغير ذلك؛ فليس لمثل هذه المنظومة نظير في أي دين من الأديان، وعليه فلا يمكن أن يكون الجهاد في الإسلام عدوانيًا.

وجهاد الطلب: هو طلب المشركين، وجهاد الدفع: هو دفع المشركين، يعني جهاد الدفع أن يغزوا المشركون المسلمين في بلادهم، وأما جهاد الطلب العكس"[2].

وإن الإسلام جاء بحروب مشروعة ومعقولة؛ فلا تنكرها العقول الصحيحة، ولا تأباها الفطر السليمة، وهما حربان:

الحرب الأولى: الحرب الدفاعية: وهي رد العدوان والظلم عن المظلومين.

كما قال تعالى: **﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[البقرة: ١٩٠].**

وقال تعالى: **﴿... فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ ﴾[البقرة: ١٩١].**

---

(١) أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه، للعلياني، ص٣١٨.

(٢) انظر: السؤال: ما معنى جهاد الطلب وجهاد الدفع؟ للمشيقح (موقع إلكتروني).

وقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ ﴿٤١﴾ **[الحج: ٣٩ –٤١].**

وقال تعالى: **﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً ﴾[النساء: ٧٥].**

والحرب الثانية: الحرب الوقائية: وهي سبق العدو المتربص لقتالنا ومداهمته بالقتال قبل أن يصلنا، كما قال تعالى: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[البقرة: ١٩٣].**

وقال تعالى: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[الأنفال: ٣٩].**

أي قاتلوهم حتى لا تكون فتنة؛ وذلك إن قاتلونا وتركناهم فلم نقاتلهم ونردهم عن أنفسنا وأعراضنا وأموالنا فهذه هي الفتنة؛ حيث إنهم سيفتنوننا في ديننا؛ فكان لابد من رد كيدهم في نحرهم والدفاع عن الدين وحامليه من إسلام ومسلمين، وكذلك إن تركهم وعدم قتالهم وإن لم يقاتلونا هو الفتنة حيث تصبح لهم القوة بعد ذلك، وسيقاتلون الإسلام فيما بعد لا محالة، فكان الإسلام سابقًا في قتالهم، وحتى لا تصبح لهم الهيمنة على الإسلام وهيمنتهم على الإسلام مرفوضة من قبل الإسلام وممنوعة، لا سيما في ظل النوايا المبيتة والمشبوهة والتي يراد من ورائها الانقضاض على الإسلام حين ضعف أهله أو غفلتهم، ولذلك قال الله تعالى: **﴿... وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾[النساء: ١٤١].**

فإذا كان الله تعالى لم يرد للمؤمنين أن يكون عليهم للكافرين سبيل وشوكة وقوة وهيمنة وغلبة؛ فكيف يريده المسلمون لأنفسهم ويقبلونه.

والخلاصة أن جهاد الدفع موجود في الإسلام، كما أن جهاد الطلب ثابت في الإسلام، وأن هناك في الإسلام حرب دفاعية وحرب وقائية، وأن جهاد الطلب يعني أحيانًا طلب العدو في داره لغزوه قبل أن يغزونا في دارنا إذا قامت دلائل ووضحت على سوء نيته تجاه الإسلام وأهله، وحينها يكون جهاد الطلب ضرورة لابد منها لحماية الإسلام والمسلمين.

المطلب الثاني

بيان اختلاف الحكم بين جهاد الدفع والطلب

إن مما يثبت أن في الإسلام جهاد طلب، النصوص الشرعية الثابتة، والتي نصت على الغزو، وهو طلب العدو في داره، والتي أشارت لفرض الكفاية في حكمه؛ ففرقت بينه وبين جهاد الدفع والذي حكمه فرض عين؛ ليكون هناك جهادان وليس جهادًا واحدًا، ومن هذه النصوص الشرعية الثابتة والتي نصت على جهاد الطلب والذي حكمه فرض كفاية على المسلمين إذا قام به بعضهم سقط عن الباقين؛ فعَنْ طَاوُسٍ[1]، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه: أَلَا تَغْزُو؟! فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" إِنَّ الْإِسْلَامَ بُنِيَ عَلَى خَمْسٍ؛ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ"[2].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى:" الظاهر أن معناه ليس الغزو بلازم على الأعيان؛ فإن الإسلام بني على خمس ليس الغزو منها"[3].

والغزو هو الخروج إلى محاربة العدو، والغازي هو من يقوم بهذا العمل، ويجمع على غزاة أو غزَّى، وقد ورد لفظ غُزَّى جمع غازٍ في القرآن الكريم[4]، كما قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ يُحْيِـي وَيُمِيتُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[آل عمران: ١٥٦].**

وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ[5] عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا، وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا

---

(١) هو: طاوس بْن كيسان أَبُو عَبْد الرَّحْمَن، من أبناء الفرس الهمداني اليماني الخولاني، مات طاوس قبل مجاهد بسنتين، وَقَالَ إِبْرَاهِيم بْن نافع: مات سنة ست ومائة وَقَالَ أَحْمَد بْن عاصم: كَانَ وهب ينزل صنعاء وطاوس الجند. انظر التاريخ الكبير/ المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ) الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، ج٤/٣٦٥.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، الإيمان/ بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، ج١/ ٤٥، حديث رقم: ١٦.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، ج١/١٧٩.

(٤) التربية الجهادية الإسلامية، لمحمود، ص١٧.

(٥) سبقت ترجمته، ص٥١.

وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ؛ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ؛ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ؛ فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا؛ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمْ الْجِزْيَةَ؛ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ؛ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ؛ وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ؛ فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا"(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ"(٢).

وقال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي:"المراد أن من فعل هذا فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف؛ فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق"(٣).

فجهاد الطلب لا يعاقب على تركه إذا حصلت الكفاية بغيره، إلا أنَّ من لم يغزو أو يحدث نفسه بالغزو يموت على شعبة من النفاق.

ومما يؤكد على وجود جهاد طلب في الإسلام أن جهاد الدفع يخرج فيه الابن دون إذن أبيه، والمرأة دون إذن زوجها، والعبد دون إذن سيده، كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:" قتال الدفع أوسع من قتال الطلب، وأعم وجوبًا، ولهذا يتعين على كل أحد يقم، ويجاهد فيه العبد بإذن سيده وبدون إذنه، والولد بدون إذن أبويه، والغريم بغير إذن غريمه، وهذا كجهاد المسلمين يوم أحد والخندق، ولا يشترط في هذا النوع من الجهاد أن يكون العدو ضعفي المسلمين فما دون؛ فإنهم كانوا يوم أحد والخندق أضعاف المسلمين؛ فكان الجهاد واجبًا عليهم؛ لأنه حينئذ

---

(١) سبق تخريجه، ص٥٢.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، الْإِمَارَةِ/ ذَمِّ مَنْ مَاتَ، وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ، ج٣/١٥١٧، حديث رقم: ١٩١٠.

(٣) صحيح مسلم، ج٣/١٥١٧.

جهاد ضرورة ودفع، لا جهاد اختيار، ولهذا تباح فيه صلاة الخوف بحسب الحال في هذا النوع"[1].

لكن في جهاد الطلب لابد من إذن الوالدين، فإذا كان والداه بحاجة إليه ولم يأذنا له بالخروج للجهاد، فلا يجوز له أن يخرج للجهاد؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ؛ فَقَالَ:" أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:" فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ"[2].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْيَمَنِ؛ فَقَالَ:" هَلْ لَكَ أَحَدٌ بِالْيَمَنِ؟ قَالَ: أَبَوَايَ، قَالَ:" أَذِنَا لَكَ؟ قَالَ:" لَا، قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِمَا؛ فَاسْتَأْذِنْهُمَا؛ فَإِنْ أَذِنَا لَكَ فَجَاهِدْ، وَإِلَّا فَبِرَّهُمَا"[3].

كل هذه النصوص وغيرها تؤكد على وجود جهاد الطلب في الإسلام؛ فتبين بذلك خطأ من ينفي جهاد الطلب من الإسلام فيشطبه كله جملة وتفصيلًا.

والذي نخلص إليه أن النصوص الشرعية الثابتة، والتي نصت على الغزو، وهو طلب العدو في داره، أشارت لفرض الكفاية في حكمه؛ ففرقت بينه وبين جهاد الدفع والذي حكمه فرض عين؛ ليكون هناك جهادان وليس جهادًا واحدًا، وكذلك نصها على إذن الوالدين في جهاد الطلب دون الدفع؛ فثبت بذلك جهاد الطلب في الإسلام.

---

(١) الفروسية، ص ١٨٨.

(٢) سبق تخريجه، ص٤٨.

(٣) سبق تخريجه، ص٥٠.

الفصل الثالث
الجهاد والقتال ضد المعتدين

المبحث الأول

الجهاد ضد الكفار والمنافقين

إن الكفار المحاربون يقاتلون أهل الإسلام من أجل عقيدتهم بالله تعالى وإيمانهم به، وأهل الإسلام يقاتلون هؤلاء الكفار المحاربين من أجل رد عدوانهم، ومن أجل البقاء على عقيدة التوحيد بحرية وأمن، ومن أجل المحافظة على أهلها من أن يلحق به أذى أو ضرر بسبب دينهم، ومن أجل ذلك أمرنا الله تعالى بجهاد الكفار والمنافقين؛ فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ **[التوبة: ٧٣- ٧٤] [التحريم: ٩- ١٠]**. فذكر الله تعالى في هذه الآية جهاد الكفار وكذلك جهاد المنافقين، وأمرنا بجهادهما.

المطلب الأول

الجهاد ضد الكفار

لقد أمرنا الله تعالى بجهاد الكفار والمشركين؛ فإذا قاتلنا الكفارُ واعتدوا علينا أو حالوا بين الدعوة الإسلامية ووصولها للناس، أو تعدوا على النفس أو المال أو العرض، وجب قتالهم وجهادهم.

وإن القرآن الكريم مليء بذكر هذا النوع من جهاد الكفار والمشركين، كما قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾ **[التوبة: ١٢٣]**.

وقال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾**[التوبة: ٧٣- ٧٤] [التحريم: ٩-١٠]**.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:" أَمَرَ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِجِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْغِلْظَةِ عَلَيْهِمْ، كَمَا أَمَرَهُ بِأَنْ يَخْفِضَ جَنَاحَهُ لِمَنِ اتَّبَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ مَصِيرَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ إِلَى النَّارِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ"(١).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ج٤/ ١٥٦.

وقال تعالى: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾ **[التوبة: ٢٩]**.

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:" يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِهِ ﷺ: ﴿قَاتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٦٧] أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْقَوْمَ ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩] يَقُولُ: وَلَا يُصَدِّقُونَ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ. ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٢٩] يَقُولُ: وَلَا يُطِيعُونَ اللَّهَ طَاعَةَ الْحَقِّ. يَعْنِي: أَنَّهُمْ لَا يُطِيعُونَ طَاعَةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ. ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ١٠١] وَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى"(١).

وقال تعالى: ﴿**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ** ﴾ **[البقرة: ١٩١]**.

وقال تعالى: ﴿**وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً** ﴾**[النساء: ٨٩]**.

قال تعالى: ﴿ **فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ **[محمد: ٤]**.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ** ﴾ **[الأنفال: ٦٥]**.

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ج١٤/ ١٩٨.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:" يحرض تعالى نبيه ﷺ والمؤمنين على القتال ومناجزة الأعداء ومبارزة الأقران، ويخبرهم أنه حسبهم أي كافيهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم، وإن كثرت أعدادهم وترادفت أمدادهم، ولو قل عدد المؤمنين"[١].

وقال تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾ [**الأنفال: ٦٠**].

وقال تعالى: ﴿**فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [**التوبة: ٥**].

وقال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ * سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ**﴾ [**آل عمران: ١٤٩ – ١٥١**].

وقال تعالى: ﴿**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ**﴾ [**الأنفال: ١٢– ١٤**].

وقال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ)**﴾ **الأنفال: ١٥.**

وقال تعالى: ﴿**وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا**﴾ [**الأحزاب: ٢٦–٢٧**].

وقال تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ**

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ج٤/٧٦.

الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وقد جاء عن النبي ﷺ حثه وأمره بجهاد الكفار والمشركين باللسان والمال والنفس واليد؛ فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَلْسِنَتِكُمْ"(١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَلْسِنَتِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَمْوَالِكُمْ، وَأَيْدِيكُمْ"(٢).

فالنبي ﷺ دعا لقتال من كفر بالله تعالى ممن اعتدى على أهل الإيمان وظلمهم؛ فعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ(٣) عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا، وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا..."(٤).

وعَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ؛ فَقَالَ: سِيرُوا بِاسْمِ اللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا"(٥).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا؛ فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ"(٦).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَإِذَا شَهِدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا

---

(١) سبق تخريجه، ص١٦.

(٢) سبق تخريجه، ص١٧.

(٣) سبقت ترجمته، ص٥١.

(٤) سبق تخريجه، ص٥٢.

(٥) سبق تخريجه، ص٥٢.

(٦) صحيح البخاري، البخاري، الصلاة/ فضل استقبال القبلة يستقبل بأطراف رجليه، ج١/ ١٥٣، حديث رقم: ٣٨٥.

عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا؛ وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا؛ وَأَكَلُوا ذَبَائِحَنَا؛ فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا"(١).

والخلاصة أن الشرع نص على جهاد الكفار والمشركين، ودعا لقتالهم متى تحقق فيهم سبب من أسباب مشروعية الجهاد في سبيل الله، وحث على جهادهم باللسان والمال والنفس واليد، وقد جاءت جملة كثيرة ونصوص عديدة من الشرع تؤكد على ذلك.

---

(١) سنن النسائي، النسائي، تحريم الدم، ج٧/٧٥، حديث رقم: ٣٩٦٦، وصححه الشيخ الألباني في كتابه صحيح وضعيف سنن النسائي،ج٩/٣٨، رقم الحديث: ٣٩٦٦.

المطلب الثاني

الجهاد ضد المنافقين

إن من المنافقين أناسًا أخطر على الإسلام وأهله من الكفار والمشركين أنفسهم؛ فمنهم من يكيد بالإسلام وأهله ويعمل في سبيل إسقاط راية التوحيد، وهدم صرح الإسلام الشامخ؛ بل وأن يعلو الكفر وأهله على الإسلام وأهله؛ فكانت منهم المكائد والخيانات والطعونات، ولذلك أمرنا الله تعالى بجهاد المنافقين؛ فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾**[التوبة: ٧٣- ٧٤] + [التحريم: ٩- ١٠]**. فذكر الله تعالى في هذه الآية جهاد الكفار وكذلك جهاد المنافقين، وأمرنا بجهادهما.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:" أَمَرَ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِجِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْغِلْظَةِ عَلَيْهِمْ، كَمَا أَمَرَهُ بِأَنْ يَخْفِضَ جَنَاحَهُ لِمَنِ اتَّبَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ مَصِيرَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ إِلَى النَّارِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ"(١).

فالمسلمون قد دعاهم الله تعالى لجهاد المنافقين؛ بل أمرهم بذلك، وأمر المسلمين بالغلظة مع المنافقين؛ فإن ذلك أنفع لهم وأجدر ليقلعوا عن نفاقهم وفعلهم السيء.

وإن جهاد المنافقين يكون بالحجة والبيان باللسان، وذلك للالتزامهم بالإسلام ظاهرًا وإن خالفوه باطنًا؛ فنحن لنا الظاهر والله تعالى يتولى السرائر، وإن لكلمة التوحيد حرمتها، وهذا ما أكده سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ...** ﴾ فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف، والمنافقين باللسان، وأذهبَ الرفق عنهم"(٢).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿**... جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ...** ﴾ فَأَمَرَهُ بِجِهَادِ الْمُنَافِقِينَ بِاللِّسَانِ"(٣).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿**... جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ...** ﴾ قال: "الكفار"، بالقتال، و"المنافقين"، أن يغلُظ عليهم بالكلام"(١).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ج٤/ ١٥٦.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ج١٤/٣٥٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، لابن أبي حاتم، ج٦/١٨٤٢، أثر رقم: ١٠٣٠٤.

وعَنِ الضَّحَّاكِ ﴿... جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ... ﴾ قَالَ: جَاهَدِ الْمُنَافِقِينَ بِالْقَوْلِ"[٢].

وعن الضحاك في قوله: ﴿... جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ... ﴾يقول: جاهد الكفار بالسيف، وأغلظ على المنافقين بالكلام، وهو مجاهدتهم"[٣].

قال الإمام المجاهد ابن المناصف:" حَمَلَ جماعةٌ من العلماء ما أمر الله تعالى به نبيه ﷺ من جهاد المنافقين في قوله تعالى: ﴿... جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ... ﴾ فهذا إنما يكون في المنافقين بالقول من الزجر والوعيد والتهديد، وما أشبه ذلك؛ لأنه ﷺ لم يؤمر بقتلهم؛ لِمَا كانوا يظهرونه من الإسلام"[٤].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: نزلت سورة (براءة) فأمره فيها أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية أو يدخلوا في الإسلام، وأمره فيها بجهاد الكفار والمنافقين، والغلظة عليهم؛ فجاهد الكفار بالسيف والسنان، والمنافقين بالحجة واللسان[٥].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: جهاد المنافقين، بالعلم والبيان، قال الله عزَّ وجل: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ... ﴾. ودليل كون جهاد المنافقين بالعلم والبيان لا بالرمح والسنان أن النبي ﷺ منع من قتلهم حتى لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه[٦].

وإن جهاد المنافقين يعد أصعب من جهاد الكفار من وجوه عدة، منها لوجودهم في الجماعة المسلمة وخفائهم، ولإمكانية إيقاع الغدر الكبير بالمسلمين، ولذلك هم عدو حقيقي للإسلام وأهله، وصدق الله تعالى القائل: ﴿... هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

ولذلك قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:" جهاد المنافقين إنما هو بتبليغ الحجة، وإلا فهم تحت قهر أهل الإسلام، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ

=

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ج١٤/٣٥٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، لابن أبي حاتم، ج٦/١٨٤٢، أثر رقم: ١٠٣٠٥.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ج١٤/٣٥٩.

(٤) الإنجاد في أبواب الجهاد وتفصيل فرائضه وسننه وذكر جمل من آدابه ولواحق أحكامه، لابن المناصف، ص١٦.

(٥) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٣/١٤٣-١٤٤.

(٦) انظر مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ج٢٥/٣٠٠-٣٠١.

وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [التوبة: ٧٣- ٧٤]. فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار، وهو جهاد خواص الأمة وورثة الرسل، والقائمون به أفراد في العالم، والمشاركون فيه والمعاونون عليه، وإن كانوا هم الأقلين عددًا؛ فهم الأعظمون عند الله قدرًا"(١).

وإن لجهاد المسلمين ضد المنافقين صورًا عدة وأشكالًا مختلفة وطرقًا عديدة؛ فمن جهادنا للمنافقين بيان حالهم للناس وكشفه وفضحهم، والإخبار بعاقبة وجزاء الأفعال التي يقومون بها من عذاب أليم كما أخبر الشرع بذلك، وكذلك ترك مجالسهم وعدم القعود معهم حين يكفر بالله تعالى ويستهزأ بآياته، كما قال تعالى: **﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا * وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا * الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا * إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا * يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا * إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[النساء: ١٣٨ – ١٤٦].**

وكذلك مقاطعتهم بعدم السماح لهم بالخروج في الجهاد إن كان في خروجهم شق للصف المسلم وزيادة في الخبال، كما قال تعالى مبينًا حالهم وفاضحًا لحقيقتهم: **﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ * لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ * وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة: ٤٢-٤٩].**

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٥/٣.

ولقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ إذا رجع من غزوة تبوك ألا يسمح للمنافقين الذين تخلفوا عنه بالخروج معه إلى الجهاد مرة أخرى؛ فقال الله عز وجل: ﴿**فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ* فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ** ﴾ **[التوبة: ٨١- ٨٣]** فالمنافقون لا يُستأمنون على ثغور المسلمين؛ لأن لهم مع العدو هوى، وفى هزيمة المسلمين تحقيق لمآربهم، فلا ينبغي أن يمكنوا من ذلك، هذا بالإضافة إلى ما عرف عنهم أنهم يثبطون ويرجفون ويخذلون، وخطر ذلك في أوقات الملمات يزيد عن الخطر في الأحوال العادية أضعافًا مضاعفة.

وكذلك ترك موالاتهم والتقرب إليهم؛ فمن بدت عليه مظاهر النفاق، وصدرت عنه أعمال المنافقين وأقوالهم، وجب على المسلمين ألا يتخذوه ولياً ولا نصيراً، كما قال تعالى: ﴿**فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٨٨) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ... (٨٩)**﴾ **[النساء: ٨٨- ٨٩].**

والخلاصة أن الشرع نص على جهاد المنافقين، ودعا لجهادهم؛ بل وأمر بذلك، وجهادهم يكون بالحجة والبيان باللسان، وقد أمرنا الشرع بالغلظة معهم في جهادنا لهم؛ فإن ذلك أردع لهم في الإقلاع عن النفاق، وأفعال السوء مع الصف المسلم من حدة لسان وتفرقة وشقاق.

المبحث الثاني

الجهاد ضد الخوارج والمرتدين

إن الخوارج يقاتلون أهل الإسلام من أجل عقيدتهم بالله تعالى وإيمانهم به، وأهل الإسلام يقاتلون هؤلاء الخوارج المعتدين من أجل رد عدوانهم، ومن أجل البقاء على عقيدة التوحيد بحرية وأمن، ومن أجل المحافظة على أهلها من أن يلحق به أذى أو ضرر بسبب دينهم.

وإن قتال الخوارج والمرتدين ضرورة لابد منها، وذلك لحماية المجتمع الإسلامي من خطرهم المحدق بالمجتمع والمتربص بأهله؛ لأن كثرة هؤلاء تعني أن لهم شوكة، ستعيق أهل الإسلام عن مواصلة مسيرتهم الدعوية والجهادية مع الكفار، وتعني أن عدوان هؤلاء الخوارج والمرتدين سيكون أكبر على الإسلام وأهله، لذلك كان لابد من جهادهم وقتالهم.

المطلب الأول

الجهاد ضد الخوارج

إن الخوارج هم:" الذين يكفرون أهل الحق وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستحلون دماء المسلمين"(١).

قال النووي رحمه الله تعالى:" الْخَوَارِجُ صِنْفٌ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ مَنْ فَعَلَ كَبِيرَةً كَفَرَ وَخُلِّدَ فِي النَّارِ، وَيَطْعَنُونَ لِذَلِكَ فِي الْأَئِمَّةِ، وَلَا يَحْضُرُونَ مَعَهُمُ الْجُمُعَاتِ وَالْجَمَاعَاتِ"(٢).

ولقد دعا النبي ﷺ إلى قتال الخوارج، ومن شدة الدعوى لذلك وضرورة تحقيقها افترض أنه لو أدركهم لقاتلهم؛ بل وقتلهم شر قتلة؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ اليَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ، لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا، قَالَ: فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ، بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَأَقْرَعَ بْنِ حابِسٍ، وَزَيْدِ الخَيْلِ، وَالرَّابِعُ: إِمَّا عَلْقَمَةُ وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلاَءِ، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ:" أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً" قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ العَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الوَجْنَتَيْنِ، نَاشِزُ الجَبْهَةِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الإِزَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اتَّقِ اللَّهَ، قَالَ:" وَيْلَكَ، أَوَلَسْتُ أَحَقَّ

---

(١) الكافي في فقه الإمام أحمد، لابن قدامة المقدسي، ج٤/٥٤.

(٢) روضة الطالبين وعمدة المفتين، ج١٠، ص٥١.

أَهْلِ الأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ" قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، قَالَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قَالَ: لاَ، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي" فَقَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ، وَلاَ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ" قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ، وَهُوَ مُقَفٍّ، فَقَالَ:" إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا، لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ"(١).

وبين النبي ﷺ أن في قتال الخوارج المعتدين أجرًا عند الله تعالى يوم القيامة؛ فعَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ(٢)، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُولَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَقُلْ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:" سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الأنبياء/ قول الله عز وجل ﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر ﴾ شديدة ﴿ عاتية ﴾ قال ابن عيينة عتت على الخزان ﴿ سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما ﴾ متتابعة ﴿ فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ﴾ أصولها ﴿ فهل ترى لهم باقية ﴾ بقية / الحاقة ٦ – ٨ /. ج٣/١٢١٩، حديث رقم: ٣١٦٦، صحيح مسلم، مسلم، الزَّكَاةِ/ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، ج٢/ ٧٤٢، حديث رقم: ١٠٦٤.

(٢) هو: سويد" بن غفلة بن عوسجة بن عامر بن وداع بن معاوية بن الحارث بن مالك بن عوف بن سعد بن عوف بن خريم بن جعفي بن سعد العشيرة، أبو أمية، الجعفي، الكوفي، أدرك الجاهلية، وقد قيل إنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يصح، وقدم المدينة حين نفضت الأيدي من دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أصح، وشهد فتح اليرموك، وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبلال وأبي بن كعب وأبي ذر وأبي الدرداء وسليمان بن ربيعة والحسن بن علي وعن مصدق النبي صلى الله عليه وسلم وزر بن حبيش وعبد الرحمن بن عبلة الصنابحي، وعنه أبو إسحاق وخيثمة بن عبد الرحمن وإبراهيم النخعي والشعبي وسلمة بن كهيل وإبراهيم بن عبد الأعلى ونعيم بن أبي هند وعبدة بن أبي لبابة وعبد العزيز بن رفيع وميسرة أبو صالح، وغيرهم، قال ابن معين والعجلي: ثقة، وقال علي بن المديني: ودخلت بنت أحمد بن حنبل فما شبهت بيته إلا بما وصف من بيت سويد بن غفلة من زهده وتواضعه، وقال علي والد الحسين الجعفي: كان سويد بن غفلة يؤمنا في شهر رمضان في القيام، وقد أتى عليه عشرون ومائة سنة، ومات سنة إحدى وثمانين تقريبًا، وكان قد بلغ ثلاثين ومائة سنة. انظر تهذيب التهذيب، لابن حجر، ج٤/٢٧٨ –٢٧٩.

الْبَرِيَّةِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا، لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[١].

وعَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ الْجُهَنِيِّ[٢]، أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، الَّذِينَ سَارُوا إِلَى الْخَوَارِجِ؛ فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:" يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ" لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ، مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، لَاتَّكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ..."[٣].

ولقد مدح النبي ﷺ من قتلَ الخوارجَ أو قتلهُ الخوارجُ؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ، قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى فُوقِهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْهُمْ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا سِيمَاهُمْ؟ قَالَ:" التَّحْلِيقُ"[٤].

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، المناقب/ علامات النبوة في الإسلام، ج٣/١٣٢١، حديث رقم: ٣٤١٥، صحيح مسلم، مسلم، الزَّكَاةِ/ التَّحْرِيضِ عَلَى قَتْلِ الْخَوَارِجِ، ج٢/ ٧٤٦، حديث رقم: ١٠٦٦.

(٢) هو: زيد بن وهب الجهني، أبو سليمان الكوفي، رحل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقبض وهو في الطريق، أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهاجر إليه فلم يدركه، قال زهير عن الأعمش إذا حدثك زيد بن وهب عن أحد فكأنك سمعته من الذي حدثك عنه، وقال ابن معين: ثقة، وقال ابن خراش: كوفي ثقة، دخل الشام، وروايته عن أبي ذر صحيحة، وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، وقال العجلي: ثقة، وقال ابن سعد: توفي في ولاية الحجاج بعد الجماجم، وقال أبو بكر بن منجويه: مات سنة ست وتسعين. انظر تهذيب التهذيب، لابن حجر، ج٣/٤٢٧.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، الزَّكَاةِ/ التَّحْرِيضِ عَلَى قَتْلِ الْخَوَارِجِ، ج٢/ ٧٤٨، حديث رقم: ١٠٦٦.

(٤) سنن أبي داود، أبو داود، السنة/ في قتل الخوارج، ج٧/١٤٣، حديث رقم: ٤٧٦٥، قال شعيب الأرنؤوط اسناده صحيح.

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُمْهَانَ[1]، قَالَ: كُنَّا مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى نُقَاتِلُ الْخَوَارِجَ، وَقَدْ لَحِقَ غُلَامٌ لِابْنِ أَبِي أَوْفَى بِالْخَوَارِجِ، فَنَادَيْنَاهُ يَا فَيْرُوزُ، هَذَا ابْنُ أَبِي أَوْفَى، قَالَ: نِعْمَ الرَّجُلُ لَوْ هَاجَرَ، قَالَ: مَا يَقُولُ عَدُوُّ اللهِ، قَالَ: يَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ لَوْ هَاجَرَ، فَقَالَ: هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَتِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُرَدِّدُهَا ثَلَاثًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:" طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ"[2].

ولقد أخبر النبي ﷺ بأن شر القتلى على وجه الأرض وتحت أديم السماء إنما هم الذين قتلوا من الخوارج، وأن خير القتلى على وجه الأرض وتحت أديم السماء من قتله الخوارج؛ فعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُمْهَانَ قَالَ: رَأَى أَبُو أُمَامَةَ رُءُوسًا مَنْصُوبَةً عَلَى دَرَجِ مَسْجِدِ دِمَشْقَ؛ فَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ: كِلَابُ النَّارِ، شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، خَيْرُ قَتْلَى مَنْ قَتَلُوهُ، ثُمَّ قَرَأَ: **﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦]**. قال أَبُو غَالِبٍ[3] لِأَبِي أُمَامَةَ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: لَوْ لَمْ

---

(١) هو: سَعِيد بن جمهان الأَسلميّ، أبو حَفْص البَصْرِيّ، عَنْ يحيى بْن مَعِين: ثقة، وَقَال أبو أحمد بْن عدي: روى عن سفينة أحاديث لا يرويها غيره، وأرجو أنه لا بأس بِهِ، فإن حديثه أقل من ذَلِكَ، وَقَال أَبُو عُبَيد الآجري، عَن أبي دَاوُد: ثقة، وَقَال النَّسَائي: ليس به بأس، وَقَال حشرج بْن نباتة: قلت لسَعِيد بن جمهان: أين لقيت سفينة؟ قال: لقيته ببطن نخلة زمان الحجاج؛ فأقمت عنده ثمانية أيام، أسأله عَنْ أحاديث رَسُول اللَّهِ ﷺ ، وروى له الأربعة، مات بالبصرة سنة ست وثلاثين ومئة. انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، ج١٠/٣٧٦-٣٧٨.

(٢) مسند الإمام أحمد، ابن حنبل، ج٣٢/١٥٦، حديث رقم: ١٩٤١٤.

(٣) هو: أبو غالب صاحب أبي إمامة، بصري، ويقال: أصبهاني، قيل: اسمه حزور، وقيل: سعيد بن الحزور، وقيل: نافع مولى خالد بن عبد الله القسري، وقيل: الأموي، وقيل: مولى بني أسيد، وقيل: مولى عبد الرحمن الحضرمي، وقيل: مولى بني راسب، وقيل: مولى بني ضبيعة، وقيل مولى: باهلة، روى عن أبي إمامة الباهلي، وأنس بن مالك، وأم الدرداء، وعنه الأعمش، وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين: صالح الحديث، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، وقال النسائي: ضعيف، وقال الدارقطني: ثقة، وقال ابن عدي: قد روى عن أبي غالب حديث الخوارج بطوله، وهو معروف به، ولم أر في أحاديثه حديثًا منكرًا، وأرجو أنه لا بأس به، وحسن الترمذي بعض أحاديثه، وصحح بعضها، قلت: وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به إلا فيما وافق الثقات، وقال ابن سعد: كان ضعيفًا، وقال البرقاني عن الدارقطني: أبو غالب حزور بصري يعتبر به، ووثقه موسى بن هارون. انظر تهذيب التهذيب، لابن حجر، ج١٢/١٩٧-١٩٨.

أَسْمَعْهُ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا حَتَّى عَدَّ سَبْعًا مَا حَدَّثْتُكُمُوهُ" وَأَبُو غَالِبٍ يُقَالُ: اسْمُهُ حَزَوَّرٌ، وَأَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ، اسْمُهُ صُدَيُّ بْنُ عَجْلَانَ، وَهُوَ سَيِّدُ بَاهِلَةَ(١).

وفي لفظ؛ عَنْ أَبِي غَالِبٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، وَخَيْرُ قَتِيلٍ مَنْ قَتَلُوا، كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ، قَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ مُسْلِمِينَ؛ فَصَارُوا كُفَّارًا، قُلْتُ: يَا أَبَا أُمَامَةَ، هَذَا شَيْءٌ تَقُولُهُ؟ قَالَ: بَلْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"(٢).

ولقد أقسم بالله العظيم أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طالب ﷺ على عظيم الأجر وكبيره لمن قاتل الخوارج، ولولا مخافة البطر والتجبر وشدة النشاط المفرط لَحَدَّث المسلمين بما وعد الله الذين يقاتلونهم؛ فعَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: ذَكَرَ الْخَوَارِجَ فَقَالَ:" فِيهِمْ رَجُلٌ مُخْدَجُ الْيَدِ، أَوْ مُودَنُ الْيَدِ، أَوْ مَثْدُونُ الْيَدِ"، لَوْلَا أَنْ تَبْطَرُوا لَحَدَّثْتُكُمْ بِمَا وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ يَقْتُلُونَهُمْ، عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ قُلْتُ: آنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ قَالَ: إِي، وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، إِي، وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، إِي، وَرَبِّ الْكَعْبَةِ"(٣).

ولذلك قال عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ حِينَ رَاجَعَهُ بعض أَصْحَابُهُ في قتال الْخَوَارِجِ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ وَلَوْ تَلِفَتْ سَاقِي(٤). يعني ولو هلكت نفسي.

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن الخوارج وقتالهم:" هَؤُلَاءِ أَوَّلُ مَنْ قَاتَلَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَهُمْ بحرورا لَمَّا خَرَجُوا عَنْ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَاسْتَحَلُّوا دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ قَتَلُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خباب، وَأَغَارُوا عَلَى مَاشِيَةِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَقَامَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَخَطَبَ النَّاسَ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَذَكَرَ أَنَّهُمْ قَتَلُوا، وَأَخَذُوا الْأَمْوَالَ؛ فَاسْتَحَلَّ قِتَالَهُمْ، وَفَرِحَ بِقَتْلِهِمْ فَرَحًا عَظِيمًا، وَلَمْ يَفْعَلْ فِي خِلَافَتِهِ أَمْرًا عَامًّا كَانَ أَعْظَمَ عِنْدَهُ مِنْ قِتَالِ الْخَوَارِجِ، وَهُمْ كَانُوا يُكَفِّرُونَ جُمْهُورَ الْمُسْلِمِينَ،

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي رحمه الله تعالى في سننه، تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم/ وَمِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ج٥/ ٧٦، حديث رقم: ٣٠٠٠، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في كتابه مشكاة المصابيح، للتبريزي، حديث رقم: ٣٥٥٤، ج٢/ ١٠٥٥،

(٢) نفس التخريج السابق.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، الزَّكَاةِ/ التَّحْرِيضِ عَلَى قَتْلِ الْخَوَارِجِ، ج٢/ ٧٤٧، حديث رقم: ١٠٦٦.

(٤) انظر الأسماء والصفات، للبيهقي، ج٢/١٨٧.

حَتَّى كَفَّرُوا عُثْمَانَ وَعَلِيًّا، وَكَانُوا يَعْمَلُونَ بِالْقُرْآنِ فِي زَعْمِهِمْ، وَلَا يَتَّبِعُونَ سُنَّةَ رَسُولِ ﷺ الَّتِي يَظُنُّونَ أَنَّهَا تُخَالِفُ الْقُرْآنَ، كَمَا يَفْعَلُهُ سَائِرُ أَهْلِ الْبِدَعِ، مَعَ كَثْرَةِ عِبَادَتِهِمْ وَوَرَعِهِمْ"(١).

ولقد أفرد الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه كتابًا تحت عنوان: كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم(٢)، وبوب فيه بابًا تحت عنوان، باب: قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم(٣).

وبوب الإمام أبو داود رحمه الله تعالى في سننه بابًا تحت عنوان: باب: في قتل الخوارج(٤). وبوب الإمام النووي رحمه الله تعالى في صحيح مسلم بابًا تحت عنوان: بَابُ التَّحْرِيضِ عَلَى قَتْلِ الْخَوَارِجِ"(٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن الخوارج وقتالهم:" هؤلاء قاتلهم أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب بمن معه من الصحابة، واتفق على قتالهم سلف الأمة وأئمتها؛ لم يتنازعوا في قتالهم كما تنازعوا في القتال يوم الجمل وصفين؛ فإن الصحابة كانوا في قتال الفتنة ثلاثة أصناف: قوم قاتلوا مع علي رضي الله عنه، وقوم قاتلوا مع من قاتله، وقوم قعدوا عن القتال لم يقاتلوا الواحدة من الطائفتين، وأما الخوارج فلم يكن فيهم أحد من الصحابة، ولا نهى عن قتالهم أحد من الصحابة"(٦).

وبالرغم من ضرورة قتال المرتدين وجهادهم إلا أن هذا لا يلغي حقوقهم عند أهل الإسلام الذين رباهم الإسلام على العدل والإنصاف؛ فحقوق الخوارج على المسلمين، ألا يمنعوا من الصلاة في مساجد الله تعالى، وأن لا يمنعوا من الفيء إن قاتلوا مع المسلمين، وأن لا يبدأهم المسلمون بقتال، بل لا يقاتلهم المسلمون حتى يقاتلوهم، كما أخرج الإمام ابن أبي شيبة في مصنفه، عن كثير بن نمر قال: بينا أنا في الجمعة وعلي بن أبي طالب على المنبر؛ إذ جاء رجل؛ فقال: لا حكم إلا لله، ثم قام آخر؛ فقال: لا حكم إلا لله، ثم قاموا من نواحي المسجد

---

(١) مجموع الفتاوى، ج٢٨/٤٧٣.

(٢) انظر صحيح البخاري وهو الجامع الصحيح المختصر، للإمام البخاري، ج٦/ ٢٥٣٤.

(٣) نفس المرجع السابق، ج٦/ ٢٥٣٩.

(٤) انظر سنن أبي داود، لأبي داود السِّجِسْتاني، ج٧/١٣٩.

(٥) صحيح مسلم وهو المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم/ للإمام مسلم، ج٢/ ٧٤٦.

(٦) مجموع الفتاوى، ج٢٨/٥١٢ -. ص٥١٣.

يحكمون الله؛ فأشار عليهم بيده: اجلسوا، نعم، لا حكم إلا لله، كلمة حق يبتغى بها باطل، حكم الله ينتظر فيكم، الآن لكم عندي ثلاث خلال ما كنتم معنا، لن نمنعكم مساجد الله، أن يذكر فيها اسمه، ولا نمنعكم فيئًا ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلوا، ثم أخذ في خطبته(١).

والذي نخلص إليه أن قتال الخوارج المحاربين الذين خرجوا عن المسلمين وإمامهم، وأرادوا السوء بالإسلام وأهله، وخالفوا المسلمين في عقيدتهم؛ فارتدوا عن عقيدة التوحيد، وأرادوا للمسلمين أن يرتدوا مثلهم عن الدين، وفي سبيل ذلك قاتلوا المسلمين وسفكوا دمائهم وهتكوا أعراضهم؛ فقوتلوا لدفع شرهم، ودفاعًا عن عقيدة التوحيد، ومن أجل حفظ الإسلام وأهله من مكائدهم وعدوانهم، وهذا قتال في سبيل الله تعالى وهو قتال مشروع، ولأهله القائمين به من المسلمين الأجر والثواب من الله تعالى.

---

(١) المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة، ج٧/٥٦٢.

المطلب الثاني

الجهاد ضد المرتدين

إن أهل الردة بعد وفاة النبي ﷺ جاءوا بأفك عظيم يخالف عقيدة أهل الإسلام في ختم النبوة؛ بل وقاتلوا أهل الإسلام من أجل عقيدتهم بالله تعالى وإيمانهم به، وأهل الإسلام يقاتلون هؤلاء المرتدين من أجل رد عدوانهم، ومن أجل البقاء على عقيدة التوحيد بحرية وأمن، ومن أجل المحافظة على أهلها من أن يلحق به أذى أو ضرر بسبب دينهم، وحتى لا يفسدوا على المسلمين صفاء عقيدتهم وذلك بسوء ما عليه هؤلاء المرتدين من معتقد فاسد وفكر كاسد.

ولقد ارتد أناس عن دين الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ؛ فمن هؤلاء المرتدين من ادعى النبوة بعد أن ختمت، ومنهم من صدق بهذه الدعوى الكاذبة المفتراة، وزيادة على ذلك امتنع أناس يدعون الإسلام عن دفع الزكاة لخليفة المسلمين بعد رسول الله ﷺ ألا وهو الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وهؤلاء جميعًا وإن اختلفت أحوالهم قاتلهم المسلمون حتى يرجعوا للحق والعدل والصدق والإسلام، بدلًا من الباطل والظلم والكذب والافتراء الذي ساروا فيه؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ، وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ" فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ، لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ؛ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللهِ، لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ؛ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَوَاللهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ"(١).

ولقد نصر الله تعالى أبابكر الصديق ﷺ في حروبه ضد المرتدين حتى أصبح مضرب المثل في ذلك؛ فقال علي بن المديني:" أيد اللَّه هذا الدين برجلين لا ثالث لهما، أبو بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل فِي يوم المحنة"(٢).

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، الزكاة/ وجوب الزكاة، ج٢/٥٠٧، حديث رقم: ١٣٣٥، صحيح مسلم، مسلم، الْإِيمَانَ/ الْأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، ج١/٥١، حديث رقم: ٢٠.

(٢) طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى، ج١/١٣ + ص٢٢٧.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ؛ فَإِذَا فَعَلُوا، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ"(١).

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ" ثُمَّ قَرَأَ: **﴿... إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢]**."(٢).

ولقد أفرد الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه كتابًا تحت عنوان: كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم"(٣).

وإن أهل الردة في زمن أبي بكر الصديق ﷺ استحقوا القتل لردتهم عن دين الإسلام، ولأنهم كانوا محاربين ومقاتلين ومعتدين بل وظالمين وجائرين، وكانوا أصحاب شوكة أقلقوا دولة الإسلام آنذاك وظاهروا بردتهم وجاهروا ببدعتهم؛ فكان لابد من قتال وقتلهم، ما لم يتوبوا ويرجعوا لدين الله تعالى ثم حضن دولة الإسلام بقيادة خليفتها الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ فعَنْ عِكْرِمَةَ، أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَرَّقَ قَوْمًا؛ فَبَلَغَ ابْنَ عَبَّاسٍ؛ فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحَرِّقْهُمْ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:" لاَ تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ" وَلَقَتَلْتُهُمْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ"(٤).

وفي لفظ، عَنْ عِكْرِمَةَ، أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أُتِيَ بِقَوْمٍ مِنْ هَؤُلاءِ الزَّنَادِقَةِ، وَمَعَهُمْ كُتُبٌ؛ فَأَمَرَ بِنَارٍ فَأُجِّجَتْ، ثُمَّ أَحْرَقَهُمْ وَكُتُبَهُمْ، – قَالَ عِكْرِمَةُ –: فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه؛ فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحْرِقْهُمْ؛ لِنَهْيِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَقَتَلْتُهُمْ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ:" مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ" وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ"(٥).

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، الإيمان/﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ التوبة ٥، ج١/١٧، حديث رقم: ٢٥، صحيح مسلم، مسلم، الْإِيمَانَ/ الْأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، ج١/٥٣، حديث رقم: ٢٢.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، الْإِيمَانَ/ الْأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، ج١/٥٢، حديث رقم: ٢١.

(٣) انظر صحيح البخاري وهو الجامع الصحيح المختصر، للإمام البخاري، ج٦/ ٢٥٣٤.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ لا يعذب بعذاب الله، ج٣/ ١٠٩٨، حديث رقم: ٢٨٥٤.

(٥) مسند الإمام أحمد، ابن حنبل، ج٤/٣٣٦، حديث رقم:٢٥٥١، وصححه شعيب الأرنؤوط.

ولقد أقر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه واعترف بخطأ فعله في حرق من حرق وشهد بصحة قول ابن عباس رضي الله عنهما وصدق استدلاله وسلامة فهمه، وقد جاء ذلك صريحًا في لفظ عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّ عَلِيًّا حَرَّقَ قَوْمًا ارْتَدُّوا عَنْ الْإِسْلَامِ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ؛ فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَقَتَلْتُهُمْ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:" مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ" وَلَمْ أَكُنْ لِأُحَرِّقَهُمْ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:" لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ" فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا؛ فَقَالَ: صَدَقَ ابْنُ عَبَّاسٍ"(١).

فأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول معترفًا بصحة كلام ابن عباس رضي الله عنهما فيقول: صدق ابن عباس، وفي ذلكم دليل على أن الصواب والحق مع ابن عباس رضي الله عنهما في هذه القضية وليس مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي ذلكم إشارة أيضًا إلى الإنصاف والتواضع عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وإلى أنه وقاف عند حدود الله تعالى وشرعه؛ فلما بلغه الدليل الشرعي أقر به واعترف، ولذلك لا يعلم أنه حرق أحدًا بعد ذلك، ولو كان يعلم دليل حرمة التحريق قبل أن يحرق من حرق لما حرقهم، وفي ذلكم إشارة أيضًا إلى أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليس معصومًا من الخطأ أو الزلل.

ولقد دعا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لابن عباس رضي الله عنهما ومدحه على هذا التنبيه والتصحيح الشرعي لفعل الحرق الذي بدر منه وصدر، كما جاء ذلك صريحًا في لفظ عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَام أَحْرَقَ نَاسًا ارْتَدُّوا عَنْ الْإِسْلَامِ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه؛ فَقَالَ: لَمْ أَكُنْ لِأُحْرِقَهُمْ بِالنَّارِ؛ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ وَكُنْتُ قَاتِلَهُمْ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ" فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَام؛ فَقَالَ:" وَيْحَ ابْنِ عَبَّاسٍ"(٢).

وفي لفظ عَنْ عِكْرِمَةَ، أَنَّ عَلِيًّا، أَخَذَ نَاسًا ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ؛ فَحَرَّقَهُمْ بِالنَّارِ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ؛ فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ، أُحَرِّقْهُمْ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ

---

(١) سنن الترمذي، للترمذي، الْحُدُودِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ / مَا جَاءَ فِي الْمُرْتَدِّ، حديث رقم: ١٤٥٨، ج٣/ ١١١، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في كتابه إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للألباني، حديث رقم: ٢٤٧١، ج٨/١٢٤.

(٢) سنن أبي داود، أبو داود، الحدود/ الحكم فيمن ارتد، ج٦/٤٠٧، حديث رقم:٤٣٥١، وصححه الشيخ الألباني في كتابه إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ج٨/١٢٤، رقم الحديث:٢٤٧١.

أَحَدًا" وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَنْ بَدَّلَ دَيْنَهُ فَاقْتُلُوهُ" فَبَلَغَ عَلِيًّا مَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ؛ فَقَالَ:" وَيْحَ ابْنِ أُمِّ ابْنِ عَبَّاسٍ"[١].

قال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى:" قوله: ويح أم ابن عباس، لفظه لفظ الدعاء عليه، ومعناه المدح له، والإعجاب بقوله، وهذا كقول رسول اللّه ﷺ في أبي بصير: ويل أمه مسعر حرب، وكقول عمر ﷺ حين أعجبه قول الوادعي في تفضيل سهمان الخيل على المقاديف: هبلت الوادعي أمه، يريد ما أعلمه، أو ما أصوب رأيه، أو ما أشبه ذلك الكلام، وكقول الشاعر:

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا ... وماذا يرد الليل حين يؤوب

ويقال: ويح، وويس بمعنى واحد، وقيل: ويح كلمة رحمة، وروي ذلك عن الحسن"[٢].

فلم يختلف حبر الأمة وترجمانها الأكبر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ في استحقاق هؤلاء للقتل، ولكن اختلف معه في طريقة قتلهم بالتحريق بالنار، ودعا لقتلهم بالسيف؛ فكان إجماعًا منهم على استحقاق هؤلاء للقتل وإن أنكر بعضهم طريقة في القتل دون أخرى.

وإن قتال المرتدين أحيانًا يكون أولى من قتال الكفار؛ فقد يكون الأمر يقتضي أنه لابد من تهدئة بين المسلمين والكفار، وذلك لقتال المرتدين حتى ينعم المسلمون بأمن وأمان؛ فقتال المرتدين المعتدين يؤدي إلى حفظ دين الإسلام وحياة المسلمين؛ فيحفظ الدين من الضياع ممن يريدون القضاء عليه؛ فإن قتال هؤلاء أخطر من قتال الكفار نفسهم لأنهم يعيشون في وسط المسلمين، ويعملون على زعزعة الجبهة الداخلية، ويستطيعون فعل وإثارة ما لم يستطع فعله وإثارته الكفار الأصليون، ولذلك أحيانًا يكون قتالهم أولى من قتال غيرهم، من باب أن حفظ رأس المال مقدم على جلب الربح.

والذي نخلص إليه أن قتال المرتدين المحاربين الذين كفروا بالله تعالى بعد إيمانهم، وأرادوا السوء بالإسلام وأهله؛ فإنهم يقاتلون لدفع شرهم، وحفظ الإسلام وأهله من مكائدهم وعدوانهم، وهذا قتال في سبيل الله تعالى، وهو قتال مشروع، ولأهله القائمين به من المسلمين الأجر والثواب من الله تعالى.

---

(١) مسند الإمام أحمد، ابن حنبل، حديث رقم: ١٨٧١، ج٣/٣٦٤، ج٤/٣٣٦، وحديث رقم: ٢٥٥٢، وصححه الشيخ الألباني في كتابه سلسلة الأحاديث وشيء من فقهها وفوائدها، ج١/٨٧٩.

(٢) معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، للخطابي، ج٢/٣٣٩.

المبحث الثالث

القتال ضد البغاة وقطاع الطرق

إن قتال البغاة وقطاع الطريق ضرورة لابد منها؛ فهم معتدون ولابد من رد عدوانهم، وذلك لحماية المجتمع الإسلامي من خطرهم المحدق بالمجتمع والمتربص بأهله، وإن كثرة هؤلاء تعني أن لهم شوكة، ستعيق أهل الإسلام عن مواصلة مسيرتهم الدعوية والجهادية مع الكفار، وتعني أن عدوان هؤلاء البغاة وقطاع الطرق سيكون أكبر على الإسلام وأهله من عدوهم، وسينتشر الخوف والهلع بسببهم بين أفراد المجتمع المسلم، ولا يأمن الفرد المسلم بسببهم على حياته وعرضه وماله عندئذ؛ فلا يسافر مسافر ولا يحج حاج، لذلك كان لابد من جهادهم وقتالهم.

المطلب الأول

القتال ضد البغاة

إن البغاة هم:" قوم من أهل الحق خرجوا على الإمام بتأويل سائغ، وراموا خلعه، ولهم منعة وشوكة"(١).

وإن أهل البغي يقاتلون في الدنيا بأمر الله تعالى في ذلك، ولهم العقاب من الله تعالى في الدنيا والآخرة، ولبيان ذلك:

أولًا: الأمر بقتال البغاة.

لقد دعا الإسلام إلى قتال البغاة، كما قال تعالى: **﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ٩- ١٠]**. فشهد الله تعالى للبغاة بالإيمان، كما قال الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:" سَمَّاهُمُ اللهُ تَعَالَى بِالْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَرَ بِالْإِصْلَاحِ بَيْنَهُمْ"(٢).

---

(١) الكافي في فقه الإمام أحمد، لابن قدامة المقدسي، ج٤/٥٥.

(٢) السنن الكبرى، للبيهقي، ج٨/٢٩٩.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" وَأَمَّا أَهْلُ الْبَغْيِ الْمُجَرَّدِ فَلَا يَكْفُرُونَ بِاتِّفَاقِ أَئِمَّةِ الدِّينِ؛ فَإِنَّ الْقُرْآنَ قَدْ نَصَّ عَلَى إيمَانِهِمْ وَإِخْوَتِهِمْ مَعَ وُجُودِ الِاقْتِتَالِ وَالْبَغْيِ"(١).

وبوب الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في كتابه السنن الكبرى بابًا بعنوان: بَابُ: الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْفِئَةَ الْبَاغِيَةَ مِنْهُمَا لَا تَخْرُجُ بِالْبَغْيِ عَنْ تَسْمِيَةِ الْإِسْلَامِ"(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" فَقَدْ جَعَلَهُمْ مَعَ وُجُودِ الِاقْتِتَالِ وَالْبَغْيِ مُؤْمِنِينَ إخْوَةً؛ بَلْ مَعَ أَمْرِهِ بِقِتَالِ الْفِئَةِ الْبَاغِيَةِ جَعَلَهُمْ مُؤْمِنِينَ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا كَانَ بَغْيًا وَظُلْمًا أَوْ عُدْوَانًا يُخْرِجُ عُمُومَ النَّاسِ عَنْ الْإِيمَانِ، وَلَا يُوجِبُ لَعْنَتَهُمْ؛ فَكَيْفَ يُخْرِجُ ذَلِك مَنْ كَانَ مِنْ خَيْرِ الْقُرُونِ"(٣).

ولقد أمر الله تعالى بقتال البغاة وأمر بقتالهم ما داموا على بغيهم حتى يرجعوا للحق والعدل، ويتركوا بغيهم وعدوانهم وظلمهم، كما قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى:"﴿**فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي**﴾ **[الحجرات: ٩]** يَقُولُ: فَقَاتِلُوا الَّتِي تَعْتَدِّي، وَتَأْبَى الْإِجَابَةَ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ ﴿**حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ**﴾ **[الحجرات: ٩]** يَقُولُ: حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ الَّذِي حَكَمَ فِي كِتَابِهِ بَيْنَ خَلْقِهِ ﴿**فَإِنْ فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ**﴾ **[الحجرات: ٩]** يَقُولُ: فَإِنْ رَجَعَتِ الْبَاغِيَةُ بَعْدَ قِتَالِكُمْ إِيَّاهُمْ إِلَى الرِّضَا بِحُكْمِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ، فَأَصْلِحُوا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الطَّائِفَةِ الْأُخْرَى الَّتِي قَاتَلَتْهَا بِالْعَدْلِ: يَعْنِي بِالْإِنْصَافِ بَيْنَهُمَا، وَذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ عَدْلًا بَيْنَ خَلْقِهِ"(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" النَّبِيُّ ﷺ أَمَرَ بِقِتَالِ الْخَوَارِجِ قَبْلَ أَنْ يُقَاتِلُوا، وَأَمَّا أَهْلُ الْبَغْيِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِيهِمْ: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [**الحجرات: ٩]**. فَلَمْ يَأْمُرْ بِقِتَالِ الْبَاغِيَةِ ابْتِدَاءً؛ فَالِاقْتِتَالُ ابْتِدَاءً لَيْسَ مَأْمُورًا بِهِ، وَلَكِنْ إذَا اقْتَتَلُوا أَمَرَ بِالْإِصْلَاحِ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ إنْ

---

(١) مجموع الفتاوى، ج٣٥/٥٧.

(٢) السنن الكبرى، ج٨/٢٩٩.

(٣) مجموع الفتاوى، ج٣٥/٧٤-٧٥.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ج٢٢/ ٢٩٢.

بَغَتْ الْوَاحِدَةُ قُوتِلَتْ، وَلِهَذَا قَالَ مَنْ قَالَ مِنْ الْفُقَهَاءِ: إنَّ الْبُغَاةَ لَا يُبْتَدَءُونَ بِقِتَالِهِمْ حَتَّى يُقَاتِلُوا"(١).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، [ص:٣٥٨] قَوْلَهُ: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ**﴾ **[الحجرات: ٩]**. فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ النَّبِيَّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ إِذَا اقْتَتَلَتْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْعُوهُمَ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ، وَيُنْصِفُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ؛ فَإِنْ أَجَابُوا حَكَمَ فِيهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، حَتَّى يُنْصِفَ الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ؛ فَمَنْ أَبَى مِنْهُمْ أَنْ يُجِيبَ فَهُوَ بَاغٍ؛ فَحَقٌّ عَلَى إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُجَاهِدَهُمْ وَيُقَاتِلَهُمْ، حَتَّى يَفِيئُوا إِلَى أَمْرِ اللَّهِ، وَيُقِرُّوا بِحُكْمِ اللَّهِ"(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" إذَا اقْتَتَلَتْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ فَالْوَاجِبُ الْإِصْلَاحُ بَيْنَهُمَا، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا مَأْمُورَةً بِالْقِتَالِ؛ فَإِذَا بَغَتْ الْوَاحِدَةُ بَعْدَ ذَلِك قُوتِلَتْ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَتْرُكْ الْقِتَالَ؛ وَلَمْ تُجِبْ إلَى الصُّلْحِ؛ فَلَمْ يَنْدَفِعْ شَرُّهَا إلَّا بِالْقِتَالِ"(٣).

وقتال البغاة واجب شرعي حتى يدفع بغيهم ولا يستطيل عدوانهم ويستشري ظلمهم؛ فلقد أمر الله تعالى بقتال البغاة، كما قال تعالى: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ... (٩)**﴾ **[الحجرات: ٩]**.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى:" وذهب جمهور الصحابة والتابعين إلى وجوب نصر الحق وقتال الباغين"(٤).

والبغي عدوان وقتل وظلم للأنفس المعصومة؛ فَمِنَ البغي رفض الصلح من إحدى الطائفتين مع الأخرى، وكذلك قتال طائفة لأخرى بعد وقوع الصلح بينهما وإتمامه، كما قال الله

---

(١) مجموع الفتاوى، ج٣٥/٥٦ -٥٧.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ج٢٢/ ٢٩٢-٢٩٣.

(٣) مجموع الفتاوى، ج٣٥/٧٨.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١٣/٣٣ -٣٤.

سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ...** ﴾ **[الحجرات: ٩].**

فقتل الإنسان المعصوم الدم بغير حق بغي؛ فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" تَقْتُلُ عَمَّارًا الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ"(١).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِعَمَّارٍ، حِينَ جَعَلَ يَحْفِرُ الْخَنْدَقَ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ رَأْسَهُ، وَيَقُولُ: بُؤْسَ ابْنِ سُمَيَّةَ، تَقْتُلُكَ فِئَةٌ بَاغِيَةٌ"(٢).

فسمى رسول الله ﷺ قتلة عمار بن ياسر رضي الله عنه بغاة؛ لأنهم تعدوا على نفس معصومة قتلت بغير حق؛ فكان هذا القتل لها والعدوان عليها وظلمها بغي.

ثانيًا: عقوبة البغاة.

لقد توعد الشرع البغاة بالعقوبة العاجلة في الدنيا مع ما يدخر لهم في الآخرة، ما لم يتوبوا، أو يكن لهم عذر عند الله تعالى من جهل متحقق أو تأويل وما شابه ذلك، كما قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ **[يونس: ٢٢-٢٣].**

وعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ البَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ"(٣).

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ/ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ، ج٤/٢٢٣٦، حديث رقم: ٢٩١٦.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ/ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ، ج٤/٢٢٣٥، حديث رقم: ٢٩١٥.

(٣) سنن الترمذي، صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، حديث رقم: ٢٥١١، ج٤/٢٤٥، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في كتابه صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، ج٢/٦٧٣، حديث رقم: ٢٥٣٧.

ولقد وعد الله تعالى في كتابه العزيز من بُغِي عليه؛ فظُلِم واعتدي عليه بالنصر الإلهي، كما قال تعالى: **﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾[الحج: ٦٠].**

وقد بين الشرع الإلهي أن الانتصار من الباغين والانتقام منهم ودفع بغيهم ورد عدوانهم وظلمهم من صفات المؤمنين؛ بل وبين أن من صبر وغفر بعد القدرة عليهم أن ذلك من عزم الأمور، كما قال تعالى: **﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٣٦-٤٣].**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" مَنْ كَانَ مِنْ إحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ بَاغِيًا ظَالِمًا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَتُبْ، وَمَنْ كَانَ مَظْلُومًا مَبْغِيًّا عَلَيْهِ وَصَبَرَ كَانَ لَهُ الْبُشْرَى مِنْ اللَّهِ"(١).

وإن أهل البغي يتعدى ضررهم في كثير من الأحيان فيصل إلى التعدي على العقيدة الإسلامية وأهلها؛ فيشوهون صورة الإسلام من جهة، ومن جهة أخرى ينزعون نعمة الأمن عن أهل الإيمان، ويشق على كثير من المؤمنين التعبد لله سبحانه وتعالى في ظل الرعب والخوف والهلع؛ بل والدعوة للإسلام، كل ذلك يضعف بسبب ما يقوم به بغاة لم يحفظوا للدماء حقها وللأعراض شرفها.

والذي نخلص إليه أن قتال البغاة مأمور به شرعًا، ما داموا على بغيهم حتى يرجعوا للحق والعدل، ويتركوا بغيهم وعدوانهم وظلمهم، وقتال البغاة واجب شرعي حتى يدفع بغيهم ولا يستطيل عدوانهم ويستشري ظلمهم، ومجرد البغي لا يعد كفرًا مخرجًا من الملة وناقلًا عن الدين، وقد توعد الشرع البغاة بالعقوبة العاجلة في الدنيا مع ما يدخر لهم في الآخرة، ما لم يتوبوا، أو يكن لهم عذر عند الله تعالى من جهل متحقق أو تأويل وما شابه ذلك.

(١) مجموع الفتاوى، ج٣٥/٨٢.

المطلب الثاني

القتال ضد قطاع الطرق

إن قَطْع الطَّرِيق هُوَ:" الْبُرُوزُ لِأَخْذِ مَالٍ أَوْ لِقَتْلٍ أَوْ لِإِرْعَابٍ مُكَابَرَةً اعْتِمَادًا عَلَى الْقُوَّةِ مَعَ الْبُعْدِ عَنْ الْغَوْثِ"(١).

وإن قطاع الطريق يقاتلون في الدنيا بأمر الله تعالى في ذلك، ولهم العقاب من الله تعالى في الدنيا والآخرة إن لم يتوبوا، ولبيان ذلك:

أولًا: الأمر بقتال قطع الطرق.

لقد أمرنا الشرع بقتال قطاع الطرق المفسدين في الأرض؛ ليأمن الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، وجعل الشرع لقطاع الطرق المفسدين في الأرض عقوبات عظيمة إن قُدر عليهم قبل توبتهم جزاء وفاقًا، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ **[المائدة: ٣٣-٣٤].**

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ نَفَرٌ مِنْ عُكْلٍ؛ فَأَسْلَمُوا؛ فَاجْتَوَوْا المَدِينَةَ؛ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْتُوا إِبِلَ الصَّدَقَةِ؛ فَيَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا؛ فَفَعَلُوا؛ فَصَحُّوا؛ فَارْتَدُّوا وَقَتَلُوا رُعَاتَهَا، وَاسْتَاقُوا الإِبِلَ؛ فَبَعَثَ فِي آثَارِهِمْ؛ فَأُتِيَ بِهِمْ؛ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ، ثُمَّ لَمْ يَحْسِمْهُمْ، حَتَّى مَاتُوا"(٢).

ومعنى (فاجتووا المدينة) معناه استوخموها، أي لم توافقهم، وكرهوها؛ لسقم أصابهم، قالوا: وهو مشتق من الجوى، وهو داء في الجوف(٣).

---

(١) تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمي على الخطيب، للبجيرمي الشافعي، ج٤/٢١١ - ٢١٢.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، الوضوء/ أبوال الإبل والدواب والغنم ومرابضها، ج١/٩٢، حديث رقم: ٢٣١، صحيح مسلم، مسلم، الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ/ حُكْمِ الْمُحَارِبِينَ وَالْمُرْتَدِينَ، ج٣/ ١٢٩٦، حديث رقم: ١٦٧١.

(٣) انظر تعليق محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله تعالى على صحيح مسلم وهو المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، للإمام مسلم، ج٣/ ١٢٩٦.

ومعنى (سمل أعينهم) أي فقأها وأذهب ما فيها، ومعنى (لم يحسمهم) أي لم يكوهم بالنار؛ لينقطع الدم[1].

قال الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى:" قوله: سمل أعينهم، أي فقأها بالشوك، وقيل: بحديدة محماة تدني من العين حتى يذهب ضوءها، وقيل: كحلهم بحديدة"[2].

وفي رواية للحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَهْطًا مِنْ عُكْلٍ، ثَمَانِيَةً، قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَاجْتَوَوْا المَدِينَةَ؛ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْغِنَا رِسْلًا، قَالَ:" مَا أَجِدُ لَكُمْ إِلَّا أَنْ تَلْحَقُوا بِالذَّوْدِ" فَانْطَلَقُوا؛ فَشَرِبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا، حَتَّى صَحُّوا، وَسَمِنُوا، وَقَتَلُوا الرَّاعِيَ وَاسْتَاقُوا الذَّوْدَ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ؛ فَأَتَى الصَّرِيخُ النَّبِيَّ ﷺ؛ فَبَعَثَ الطَّلَبَ؛ فَمَا تَرَجَّلَ النَّهَارُ حَتَّى أُتِيَ بِهِمْ؛ فَقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، ثُمَّ أَمَرَ بِمَسَامِيرَ؛ فَأُحْمِيَتْ؛ فَكَحَلَهُمْ بِهَا، وَطَرَحَهُمْ بِالحَرَّةِ، يَسْتَسْقُونَ؛ فَمَا يُسْقَوْنَ، حَتَّى مَاتُوا، قَالَ أَبُو قِلاَبَةَ: قَتَلُوا وَسَرَقُوا وَحَارَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، وَسَعَوْا فِي الأَرْضِ فَسَادًا"[3].

فرسول الله ﷺ أمر بمسامير؛ فأحميت؛ فكحل هؤلاء المحاربين بها، وطرحهم بالحرة، يستسقون؛ فما يسقون، حتى ماتوا.

ولقد كانت هذه الحادثة سببًا لنزول آية المحاربة الواردة في سورة المائدة؛ فعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ نَفَرًا مِنْ عُكْلٍ قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ؛ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَأْتُوا إِبِلَ الصَّدَقَةِ؛ فَيَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا؛ فَفَعَلُوا فَقَتَلُوا رَاعِيَهَا وَاسْتَاقُوهَا؛ فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَلَبِهِمْ، قَالَ: فَأُتِيَ

---

(١) انظر صحيح البخاري وهو الجامع الصحيح المختصر، للإمام البخاري، الطب/ الدواء بألبان الإبل، ج٦/٢٤٩٥.

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١/١٣٤.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ إذا حرق المشرك المسلم هل يحرق، ج٣/١٠٩٩، حديث رقم:٢٨٥٥، ومعنى (أبغنا) أعنا من الإبغاء، وهو الإعانة على الطلب، (رسلا) درًا من اللبن، (الصريخ) الصوت الصارخ المستغيث، (الطلب) جمع طالب، وهم الذين خرجوا يطلبون هؤلاء الباغين ليمسكوا بهم، (ترجل) ارتفعت شمسه، واشتد حره ، انظر تعليق مصطفى البغا على صحيح البخاري، ج٣/١٠٩٩.

بِهِمْ؛ فَقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَسَمَّرَ أَعْيُنَهُمْ، وَلَمْ يَحْسِمْهُمْ، وَتَرَكَهُمْ حَتَّى مَاتُوا؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله...**﴾ **[المائدة: ٣٣]**. الآية[١].

ولقد سمل النبي ﷺ أعين أولئك النفر؛ لأنهم سملوا أعين رعاته؛ فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ:" إِنَّمَا سَمَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْيُنَ أُولَئِكَ؛ لِأَنَّهُمْ سَمَلُوا أَعْيُنَ الرِّعَاءِ"[٢].

وقطاع الطرق يُدفعون بما دون القتل؛ فإن لم يندفعوا إلا بالقتل ولم يكن مناصًا من ذلك دفعوا به، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" الْقُطَّاعُ إذَا طَلَبُوا مَالَ الْمَعْصُومِ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُمْ شَيْئًا بِاتِّفَاقِ الْأَئِمَّةِ؛ بَلْ يَدْفَعُهُمْ بِالْأَسْهَلِ فَالْأَسْهَلِ؛ فَإِنْ لَمْ يَنْدَفِعُوا إلَّا بِالْقِتَالِ؛ فَلَهُ أَنْ يُقَاتِلَهُمْ؛ فَإِنْ قُتِلَ كَانَ شَهِيدًا، وَإِنْ قَتَلَ وَاحِدًا مِنْهُمْ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ كَانَ دَمُهُ هَدَرًا؛ وَكَذَلِكَ إذَا طَلَبُوا دَمَهُ كَانَ لَهُ أَنْ يَدْفَعَهُمْ وَلَوْ بِالْقَتْلِ إجْمَاعًا"[٣].

ثانيًا: ثواب قتال قطاع الطرق.

لقد أخبر النبي ﷺ بأن من قتل وهو يدافع عن نفسه ليرد عدوان القتل عنها، وليحفظ دمه من أن يسفك بغير حق؛ فقتل فهو شهيد؛ فعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ"[٤].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:" مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ"[٥].

---

(١) سنن النسائي، النسائي، تحريم الدم، تأويل: قول الله عز وجل: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم، وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض﴾ [المائدة: ٣٣] وفيمن نزلت، وذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر أنس بن مالك فيه، أثر رقم: ٤٠٢٥، ج٧/ ٩٤، وصححه الألباني في كتابه صحيح وضعيف سنن النسائي، ج٩/٧٩، رقم الحديث٤٠٢٥.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ/ حُكْمِ الْمُحَارِبِينَ وَالْمُرْتَدِينَ، ج٣/١٢٩٨، حديث رقم: ١٦٧١.

(٣) مجموع الفتاوى، ج٣٤/٢٤٢.

(٤) سبق تخريجه، ص٣٦.

(٥) سبق تخريجه، ص٣٦.

أي من قتل وهو يدافع عن ماله فهو شهيد لأن دفاعه عن ماله مشروع.

وعَنْ سُلَيْمَانَ الْأَحْوَلِ(١) أَنَّ ثَابِتًا مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه وَبَيْنَ عَنْبَسَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ مَا كَانَ، تيَسَّرُوا لِلْقِتَالِ؛ فَرَكِبَ خَالِدُ بْنُ الْعَاصِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو؛ فوَعَظَهُ خَالِدٌ؛ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ"(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: قَاتِلْهُ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: فَأَنْتَ شَهِيدٌ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: هُوَ فِي النَّارِ"(٣).

والخلاصة أن قتال قطاع الطرق مأمور به شرعًا؛ بل وإنزال عقوبات بهم نص عليها الشرع، وذلك قبل ظهور توبتهم والقدرة عليهم، ويعد قتال قطاع الطرق ضرورة لابد منها ليأمن الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم.

---

(١) سبقت ترجمته، ص٣٨.

(٢) سبق تخريجه، ص٣٦.

(٣) سبق تخريجه، ص٣٨.

الفصل الرابع

الجهاد في الدفاع عن العقيدة الإسلامية ونشرها

المبحث الأول

جهاد البيان في رد الغزو الفكري

لقد حاول أعداء الإسلام تشويه صورة الإسلام، وعملوا على محاربة الإسلام بشتى الوسائل لكي يقضوا عليه، ولكن عناية الله سبحانه اقتضت حفظ هذا الدين، رغم أن الكفار وأعداء الإسلام لا يكلون ولا يملون في محاربة المسلمين في عقيدتهم وفي شريعتهم؛ فعندما يأسوا من محاربة الإسلام والقضاء عليه بالسلاح، التجأوا إلى محاربة الإسلام والمسلمين في عقيدتهم بطرق غير عسكرية، منها بث السموم داخل هذه العقيدة بشتى الوسائل؛ فبدأوا بمحاربة هذا الدين من خلال الغزو الفكري والانحطاط الأخلاقي، وسخروا لذلك وسائل الإعلام، والتعليم والتي تعد من أخطر أنواع الغزو الفكري؛ فلقد عمل الغرب على تغيير المناهج التعليمية لدى المسلمين، ومن خلال البعثات الدراسية إلى دول الغرب وغير ذلك.

المطلب الأول

تعريف الغزو الفكري وبيان خطره على الإسلام

إن الغزو الفكري الذي يقوم به أعداء الإسلام في زماننا هذا خطير على الإسلام وأهله، ولبيان ذلك وبسطه نبدأ بالتعريف للغزو الفكري ثم نبين خطره.

أولًا: تعريف الغزو الفكري.

إن الغزو الفكري مصطلح مركب من شقين؛ كلمة الغزو، وكلمة الفكري، ويعرفه العلماء كمصطلح علم على شيء معين ووصف معين وهو وسائل الاعتداء غير العسكرية المستخدمة في تدمير الأمة الإسلامية وصرفها عن دينها، ولذلك قال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى:" الغزو الفكري هو مصطلح حديث يعني مجموعة الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة[١]".

وعرفه بعضهم فقالوا:" الوسائل غير العسكرية التي اتخذها الغزو الصليبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام مما يتعلق بالعقيدة، وما يتصل بها من أفكار وتقاليد وأنماط سلوك[٢]".

---

(١) العلمانية وموقف الإسلام منها، للرحيلي، ص٣٨١.

(٢) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، للشحود، ج٦/٥٣.

وعرفه آخرون بقولهم: الغزو الفكري اصطلاحًا: استعمال الوسائل غير العسكرية، التي اتخذها النصارى وغيرهم من أعداء الله، لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية، وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام عقيدةً وسلوكًا"(١).

فالغزو الفكري هو عبارة عن الجهود المبذولة من الغرب لصرف المسلمين عن عقيدتهم السليمة ووجهتهم الصحيحة والسيطرة على أفكارهم وعقولهم، بوسائل سلمية براقة وخداعة؛ فالغزو الفكري هو احتلال المسلمين من قِبل أعدائهم من غير الطريق العسكرية أو من غير سلاح؛ بحيث يكون المسلم تابعًا لهم في كل شيء، ويفعل ما يريدون، وينفذ ما يخططون من حيث علم أو جهل.

ثانيًا: بيان خطر الغزو الفكري.

يعد الغزو الفكري من أخطر أنواع الغزو؛ فعندما أخفق أعداء الإسلام في محاربة الإسلام عسكريًا، لجأوا إلى أسلوب جديد ألا هو الغزو الفكري؛ فإن هذا الغزو أقل تكلفة من الغزو المسلح، فهم يغزون العالم الإسلامي من خلال الشبهات التي تثار حول الإسلام، والدعوات الهدامة التي يراد من ورائها النيل من الإسلام وأهله، كالدعوة إلى التحاور بين الأديان، والعمل على التقريب بينها، والدعوة إلى التسامح بين الأديان، وأنه لا فرق بينهما، ومن خلال العبارات الخداعة والتي تبهر الناس وينخدعوا بها؛ فلقد حارب أعداء الإسلام والمسلمين الدين الإسلامي ومعتنقيه بكل ما لديهم من أسلحة، في مواجهات فعلية بالجيوش النظامية؛ فعجزوا ويئسوا من الانتصار على المسلمين؛ فاتجهوا إلى حربه بطرق لا تثير الضجيج، ولا تلفت الأنظار، وبالتالي فهي أضمن وسيلة للنجاح، وأقل كلفة، ومن تلك الطرق الكثيرة غزو المسلمين عن طريق الغزو الاقتصادي تحت أشكال لا حصر لها، من مساعدات وهبات وقروض واستثمارات وأيدٍ عاملة في شتَّى المجالات الاقتصادية؛ فنجحوا نجاحًا ظاهرًا؛ حيث كسبوا المال ونشروا أفكارهم في سكون وتؤدة؛ فوقعت أكثر الدول الإسلامية في شراكهم واستعبدوهم عن طريق الحلول الاقتصادية، وأغرقوهم بالديون الربوية؛ فزادوهم فقرًا على فقرهم، وتخلفًا على تخلفهم، إلّا من أفلت منهم(٢).

---

(١)انظر الغزو الفكري تعريفه وأهدافه، الرابط: https://www.alukah.net/culture/0/92247/

(٢) انظر المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، لعواجي، ج٢/١٢٤٢.

فالغزو الفكري يعد أقل ضجيجًا وأشد تأثيرًا من الغزو العسكري؛ فإنه يجتاح العالم الإسلامي دون قتل أو تفجير أو زخات من الرصاص؛ فيدخل عقول المسلمين من خلال الوسائل الإعلامية والتعلمية، وكذلك من خلال الرسوم المتحركة التي تبث السموم وأفكار الغزو الفكري في عقول الأطفال؛ فيبنى الطفل ويتشبع بهذه الأفكار وهو صغير، وينشئ عليها.

ويعدّ الغزو الفكري الثقافي أضر وأشد في تأثيراته من أية عملية غزو أخرى؛ فالغزو العسكري عادة يثير في الأمة حالة من الانتفاض، ويلهب فيها الشعور بضرورة الدفاع والتصدي، ويضخ فيها حالة من الحماس والاندفاع والإقدام؛ ولهذا فطالما فشلت الحروب المسلحة في إسكات أصوات الأمم حتّى وإن أخضعتها لفترة من الزمن.

أمّا الغزو الفكري وانطلاقاً من طبيعته التدريجية وأسلوبه الصامت في النفوذ، والطريقة العلمية المدروسة الّتي يوجَّه بها من قبل الجهات الخارجية، فلا يثير في المغزوين تلك الحالة الّتي يثيرها الغزو الحربي، ولا يخلق لديهم ردة فعل معاكسة كتلك الردّة الّتي يخلقها الغزو الأول، وهو بذلك يقضي على قوة الصمود في الأمة؛ لأنه يخرجها من دائرة كيانها الخاص، بما يمثله من قيم وعادات وتراث إلى دائرة أخرى تنتمي إلى الدولة الباغية، ثمّ تفقد الأمة المحتلة بعد ذلك أصالتها الذاتية وحريتها الحقيقية، وتصبح تابعة لغيرها، وإن لم يكن في أرضها تسلط عسكري أو وجود أجنبي[١].

ثالثًا: أسباب نجاح الغزو الفكري.

لقد كان لوسائل الإعلام الدور الكبير في نقل الأفكار الغربية إلى أذهان أبناء المسلمين؛ فلقد شغف كثير من أبناء المسلمين بمتابعة وسائل الإعلام بالليل والنهار؛ فيتابعونها باستمرار، ويقلدون ما وصل إليهم عبر تلك الوسائل من أفكار وتقاليد منحطة، تدمر القيم النبيلة للإسلام، والأخلاق العالية لدى أبنائه، ولا يزال البث الفضائي ينحدر انحداراً شديداً نحو أفلام الجنس الرخيص، ومشاهد الإثارة العنيفة"[٢].

ومن الأمور التي ساعدت على الذي انتشار الغزو الفكري ضعف الإيمان لدى كثيرٍ من المسلمين، وكذلك جهل كثير منهم بحقيقة دين الإسلام وعقيدته، وكذلك عدم معرفة بمكائد

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، للشحود، ج٢٤/٢٥٥، بتصرف.

(٢) المرجع السابق، ج٤/٢١٨، بتصرف.

الأعداء وما يحاك ضدهم من مكر الليل والنهار، كل هذا جعل الطريق سهلًا وميسرًا أمام الغزو الفكري؛ فغزى غالبية عقول المسلمين وديارهم، وإلى الله تعالى المشتكى.

" ولقد كان التعليم أحد أخطر ميادين الغزو الفكري وأعمقها أثراً، إلا أن ميادين الغزو الفكري تعددت بأسلحته المتنوعة: الفكرة والكلمة، والرأي والحيلة، والشبهات والنظريات، وخلابة المنطق، وبراعة العرض، وشدة الجدل، ولدادة الخصومة، وتحريف الكلام عن مواضعه، والقصة والصورة والقيم"(١).

فالغرب عمد واتجه إلى التعليم في نشر الغزو الفكري ومن خلاله تمكن من نشر الثقافات الفاسدة والأفكار الكاسدة؛ فعملوا على زعزعة المسلمين عن دينهم، وإبعادهم عن عقيدتهم السلمية من خلال إثارة الشبهات حول الإسلام، ولقد ترك هذا الغزو أثرًا سلبيًا وسيئًا في نفوس كثير من المسلمين؛ فشوش عقولهم وشككهم في دينهم، واستخدم المصطلحات البراقة التي من خلالها يشجعهم على ترك دينهم؛ فاعتبر ترك الدين والتمرد عليه هو الرقي والتقدم والحضارة.

والذي نخلص إليه أن الغزو الفكري هو عبارة عن الجهود المبذولة من الغرب لصرف المسلمين عن عقيدتهم السليمة ووجهتهم الصحيحة والسيطرة على أفكارهم؛ فالغزو الفكري هو احتلال المسلمين من قِبل أعدائهم من غير الطريق العسكرية أو من غير سلاح؛ بحيث يكون المسلم تابعًا لهم في كل شيء، ويفعل ما يريدون، وينفذ ما يخططون، والغزو الفكري من أخطر أنواع الغزو؛ فعندما أخفق أعداء الإسلام في محاربة الإسلام عسكريًا، لجأوا إلى أسلوب جديد ألا هو الغزو الفكري؛ فإن هذا الغزو أقل تكلفة من الغزو المسلح، ولا يشعر بخطره الخصم غالبًا.

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، للشحود، ج٤/١٢٥.

المطلب الثاني

دور جهاد البيان في رد الغزو الفكري

إن لجهاد البيان دورًا مهمًا في رد الغزو الفكري والذي يهدف لهدم صرح الإسلام الشامخ وإضعاف أهله، ولبيان ذلك:

أولًا: جهاد البيان قبل السنان.

لقد دعانا الإسلام إلى الجهاد ضد الكفار المعتدين، بكل ما يمكننا تسخيره لصالح الحفاظ على الدعوة الإسلامية وأهلها، مما شرعه لنا ورضيه؛ فكما أنه شرع لنا الجهاد بالسيف والسنان؛ فلقد شرع لنا الجهاد باللسان والقرآن والحجة والبرهان والبيان؛ فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَلْسِنَتِكُمْ"[(١)].

وإن رسول الله ﷺ كان يحرض بلسانه ابتداءً وأصالة على الجهاد في سبيل الله تعالى ضد الكفار المعتدين والمشركين المحاربين، كما قال تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥].**

ولقد كان الرسول ﷺ في بداية دعوته للإسلام في مكة، يدعوا الكفار باللسان ولم يكن الجهاد قد شرع بالسيف والسنان؛ فإنه لم يأذن به ويشرع قبل الهجرة؛ فكان الرسول ﷺ يدعو أهل مكة رغم كل الأذى الذي كان يلقاه، وهذا من جهاد اللسان بلا شك أو ريب فنحن نأخذ رسولنا الكريم قدوة لنا، ولقد أمرنا بالجهاد باللسان والأموال وغيرها من وسائل الجهاد.

ولقد اعتبر القرآن الكريم الدعوة إلى الله تعالى جهادًا كبيرًا، كما قال تعالى: **﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾ [الفرقان: ٥٢].**

وجاهدهم به أي بالقرآن وحججه؛ فهو جهاد اللسان والبيان والبرهان، وليس جهاد اليد والسيف والسنان، وتأمل في تسمية النهوض بهذا الواجب جهادًا كبيرًا؛ لنعلم مركزه الكبير، المتميز بين أنواع الجهاد، وأنه من أهمها، ولذلك كان أساسًا لما تفرع عنه من أنواع الجهاد بعد ذلك؛ فهو أولها تشريعًا، وأساسها ترتيبًا، وقاعدتها انطلاقًا؛ فالجهاد في سبيل الله تعالى بزغ مع فجر الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة فهو منها؛ بلا شك أو ريب؛ بل العلم أساس الجهاد

---

(١) سبق تخريجه، ص١٦.

وجوهره ومصحح مساره وطريقه؛ بل ومصدره ومعينه لما تفرع عنه وتكاثر بعد ذلك من أنواع الجهاد.

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:" فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من أن تعبد آلهتهم، فنذيقك ضعف الحياة وضعف الممات، ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهادًا كبيرًا، حتى ينقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله، ويدينوا به ويذعنوا للعمل بجميعه طوعا وكرها"[(١)].

وقال الإمام البغوي رحمه الله تعالى:" ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ فِيمَا يَدْعُونَكَ إِلَيْهِ مِنْ مُوَافَقَتِهِمْ وَمُدَاهَنَتِهِمْ ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ أَيْ: بِالْقُرْآنِ ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ شَدِيدًا"[(٢)].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى:" ﴿فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ في ترك شيء مما أرسلت به؛ بل ابذل جهدك في تبليغ ما أرسلت به ﴿وَجَاهِدْهُمْ﴾ بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ أي: لا تبق من مجهودك في نصر الحق وقمع الباطل إلا بذلته، ولو رأيت منهم من التكذيب والجراءة ما رأيت فابذل جهدك واستفرغ وسعك، ولا تيأس من هدايتهم، ولا تترك إبلاغهم لأهوائهم"[(٣)].

ثانيًا: وسائل البيان في رد الغزو الفكري.

لقد قدر الله تعالى أن تكون هناك وسائل كثيرة يستطيع المسلمون من خلالها رد الغزو الفكري وكبح جماحه، ومن ذلك العلم؛ فإن نشر العلم الشرعي والصحيح من الجهاد باللسان بلا شك أو ريب؛ فأساس الجهاد العلم؛ فهو لبه وجوهره وقاعدته، كما قال الله تعالى للمسلمين في مكة: **﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً ﴾[الفرقان: ٥٢].**

فالساحة الجهادية الأولى في الإسلام هي ساحة الدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما الجهاد القتالي بأنواعه المختلفة فإنما هو فرع عنها وحصن لها، والتعريف بالإسلام وعلومه والدعوة إليه هو الركن الأول الأصيل في بنيان الجهاد وشرعته؛ بل

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ج١٩/ ٢٨٠ –٢٨١.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، ج٦/ ٩٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٥٨٤.

إن الدعوة إلى الله تعالى هي المنطلق الجهادي الأول والميدان الأساس للجهاد في سبيل الله تعالى؛ بل إن الدعوة إلى الله تعالى هي الحجر الأساس والعمود الفقري في هيكل الجهاد.

ولذلك الجهاد بالعلم لا يقل شأنًا عن الجهاد بالسيف، وربما كان أمضى وأبلغ في الوصول بالناس إلى الحق أحيانًا.

وكذلك من وسائل رد الغزو الفكري الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، ولقد دعا القرآن الكريم للحوار الأمثل وبالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن مع أهل الديانات المخالفة ولم يحرم ذلك، كما قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ **[النحل: ١٢٥]**.

وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ **[فصلت: ٣٣]**.

وقال تعالى: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾**[العنكبوت: ٤٦]**.

وقال تعالى: ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً** ﴾**[الإسراء: ٥٣]**.

وإن دعوة الكفار إلى دين الله تعالى واجبة، وهي مستلزمة للعلم بالأديان المخالفة، والمذاهب الهدامة؛ فحينما يُدعى الكافر لدين الإسلام ويرفض الدخول فيه ويبدي التمسك بدينه؛ فلابد من بيان واضح له بأن الإسلام هو الدين الحق وحده، وأن دين هذا الكافر باطل؛ بل إنه حينما يُدعى ابتداءً للإسلام على أنه الدين الحق، يرفضه بحجة أن دينه الذي عليه هو الحق، وأنه خير من دين الإسلام، وأن الإسلام دين باطل، ومن هنا يبدأ النقاش في علم الأديان مع بدء الدعوة إلى الله تعالى.

وكذلك محاورة الكفار للوصول للحق والحقيقة مستلزمة للعلم بدين المخالف؛ فالدعاة إلى الله تعالى واجب عليهم العلم بالأديان، ليكونوا دعاة لله تعالى على علم وبصيرة، ويقدموا الحجة الإسلامية في الدعوة قوية متينة لا ضعيفة هزيلة.

وكذلك الرد والدفاع عن الإسلام في مواجهة الطعونات المصوبة تجاهه من شبهات مثارة ودعاوى كاذبة، وحينما دعا الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ أقوامهم لدين الإسلام، أثارت

أقوامهم الشبهات حول ما يدعون إليه، وأنه كذب وباطل ومحض افتراء، وزعمت أقوامهم أن دين آبائهم هو الحق والصواب؛ فردَّ الأنبياء صلوات الله عليهم على شبهات أقوامهم وفندوا مزاعمهم؛ وهذا في حقيقته تطبيق عملي لعلم مقارنة الأديان؛ فالأنبياء . صلوات الله عليهم . أساتذة علم مقارنة الأديان ومعلموه إن صح التعبير، وإن القرآن مليء برد شبهات الضالين، ودعوتهم لاتباع دين رب العالمين.

قال الدكتور أحمد بن عبد الله جود:" إن المتتبع لكتاب الله تعالى يجد آيات كثيرة تعرض عقائد الملل الأخرى وتناقش مقالاتها بأسلوب حكيم، وتتصدى لكل شبهة أثارها المغرضون، وكل معارضة رماها المعاندون، يجد ذلك كله مشفوعًا بدعوة أهل الملل إلى الدخول في الإسلام، والإيمان بالنبي الخاتم محمد بن عبد الله ﷺ"[1].

وحينما يأمر الله تعالى بالقيام بواجب الدعوة إليه والمجادلة بالحق لمن خالفوا دين الإسلام يفهم مباشرة من ذلك تسخير كل وسيلة تكون من أدوات تطبيق واجب الدعوة إلى الله تعالى؛ فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، والوسائل لها أحكام المقاصد؛ فالأمر بمحاورة الكفار مستلزم ومتضمن لمناقشتهم في دينهم؛ فلذلك كانت معرفة علم الأديان هي الطريق الصحيح والصواب للدعوة إلى الله تعالى ومحاورة الكفار للوصول بهم للإسلام، وهذا كله نفهمه ونحن نقرأ قول الله تعالى: **﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ النحل: ١٢٥].**

وقوله تعالى: **﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ﴾ [العنكبوت: ٤٦].**

قال الدكتور يوسف القرضاوي:" المسلمون مأمورون من ربهم أن يجادلوا مخالفهم بالطريقة التي هي أحسن الطرق، أمثلها وأقرب إلى القبول من المخالف، والجدال بالتي هي أحسن هو الحوار الذي ندعو إليه مع المخالفين لنا، وهو الذي لا يسعى إلى إيغار الصدور، أو المباعدة بين القلوب، وإثارة ما يشعل الفتنة، أو يورث الضغينة؛ بل يعمل على تقريب القلوب بعضها من بعض"[2].

ولذلك لو كان الداعية المسلم يدعو كافرًا وتمثل أمامه طريقتان في دعوته إحداهما أحسن وخير وأفضل من الأخرى؛ لكان لزامًا على الداعية المسلم أن يختار الطريقة الأحسن

---

(١) علم الملل ومناهج العلماء فيه، لجود، ص٣.

(٢) غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، للقرضاوي، ص٧٤.

والخير والأفضل، امتثالًا للقرآن الكريم، واتباعًا لهديه؛ فالله تعالى قال: ﴿... **وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...** ﴾ **[النحل: ١٢٥]**.

وقال تعالى: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...** ﴾**[العنكبوت: ٤٦]**.

وقال تعالى: ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...**﴾**[الإسراء: ٥٣]**.

فالقرآن الكريم دعا للحوار الأمثل والجدال بالتي هي أحسن مع أهل الديانات المخالفة، والمذاهب الهدامة، وهذه ميزة لدين لإسلام تقدمه في الدعوة على غيره من الأديان.

ولذلك لما وقعت فتنة خلق القرآن مثلًا، والتي زعم أصحابها أن كلام الله تعالى مخلوق، ما كشف زيف هذه الدعوى وأبطلها وبين عوارها إلا العلماء الصادقون والأئمة الموثوقون من أمثال إمام أهل السنة والجماعة الإمام المبجل أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى؛ فبه نصر الله تعالى السنة وقمع البدعة، وكشف الشبهة الكاذبة ورد الدعوى المارقة؛ فإنه يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وبمثل هؤلاء يفخر الإسلام وأبناءه، وبما خطوا من كلمات وسطروا من صفحات؛ ليبقى دين الله تعالى صافيًا نقيًا كما أنزل، ولذلك قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى:" يحق لكل صاحب سنة أن يفخر بما تركه علماء السنة من تراث عظيم حوى منهج أهل الحق وتضمن أقوال علماء وأئمة شرحوا طريق الهدى ونافحوا ودافعوا عن العقيدة الصحيحة لكي تبقى نقية صافية، كما تركها لنا النبي ﷺ"(١).

ويصدق على أولئك الأئمة الأعلام وصف الإمام أحمد رحمه الله تعالى حيث قال:" الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍ تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين"(٢).

---

(١) العرش، للذهبي، ج١/١٢.

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة، للشيباني، ص٥٥.

فلله در أولئك الأئمة الذين حموا حياض هذا الدين، ودافعوا عن صراط الله المستقيم، وتركوا لنا تراثاً عظيماً سطروا فيه منهج الحق القويم، وأبطلوا فيه شبهات حزب الشيطان الرجيم"[1].

وإن مواجهة الغزو الفكري لن تنجح إلا بمحاربة أسباب رواجه وانتشاره، مثل رفع الجهل المتلبس بكثير من المسلمين، ولا يقوم بذلك حق القيام مثل العلماء؛ فيجاهدون بألسنتهم وبيانهم؛ ليعلو دين الإسلام وتظهر الحقيقة؛ فيقف الوعي الإسلامي سدًا منيعًا أمام هجمات الغزو الفكري وشبهات أهله وأصحابهن وكذلك لابد من العمل على رفع مستوى الإيمان لدى المسلمين؛ فلقد ضعف إيمان كثير منهم؛ كي يثبتوا أمام الدنيا ودعاتها وإغراءاتها، وليس هناك من هو أقدر على القيام بذلك على الوجه الصحيح مثل الصادقين من العلماء والثقات من أئمة الدين.

والحاصل أن جهاد البيان له دور حقيقي وبارز في رد الغزو الفكري؛ بل والدعوة إلى الله تعالى؛ فهو الميدان الأول والأصل، وفرسان هذا الميدان هم العلماء الصادقون والدعاة المخلصون، وقد حقق العلماء والدعاة نجاحات في هذا الميدان، ولكنهم بحاجة ماسة وملحة لدعم الحكام والحكومات لهم، ولتنظيم أعمالهم والتخطيط لها بصورة أفضل وطريقة أنجع؛ ليحققوا نجاحات وإبداعات لصالح الإسلام والمسلمين أكثر وأكبر، والله الموفق، وهو المستعان.

---

(١) انظر العرش، للذهبي، ج١/١٣، بتصرف.

المبحث الثاني

جهاد النفس في الثبات على الدين

إن جهاد النفس هو نوع من أنواع الجهاد في الإسلام؛ فكما هناك جهاد المال وجهاد اللسان وجهاد اليد؛ فهناك جهاد النفس، وجهاد النفس هو مقدمة لأنواع الجهاد الأخرى؛ فلا يجاهد الأعداء ويبذل روحه في سبيل الله تعالى ويجود بها من لم يجاهد نفسه.

المطلب الأول

دعوة الإسلام لجهاد النفس وبيان أهميته

لقد دعانا الإسلام إلى جهاد النفس، كما دعانا لجهاد المال واللسان واليدان؛ فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَلْسِنَتِكُمْ"(١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَلْسِنَتِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَمْوَالِكُمْ، وَأَيْدِيكُمْ"(٢).

ولقد قرن الله تعالى في كتابه العزيز بين جهاد النفس وجهاد المال كثيرًا جدًا؛ فكلاهما يحتاج إلى جهد ومصابرة، كما قال تعالى: **﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُـلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾ [النساء: ٩٥].**

وقال تعالى: **﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [التوبة: ٢٠].**

وقال تعالى: **﴿انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة:٤١].**

---

(١) سبق تخريجه، ص١٦.

(٢) سبق تخريجه، ص١٧.

وقال تعالى: ﴿لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾[التوبة: ٨١].

وقال تعالى: ﴿لَـكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[التوبة: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[التوبة: ١١١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[الحجرات: ١٥].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١٠-١١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[الأنفال: ٧٢].

ولقد بين النبي ﷺ لنا أن المجاهد الحقيقي من جاهد نفسه في سبيل الله تعالى؛ لتستقيم على دينه، وتنقاد لشرعه؛ فعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:" الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ لِلَّهِ" أَوْ قَالَ:" فِي اللهِ"(١).

(١) مسند الإمام أحمد، ابن حنبل، ج٣٩/٣٧٤ -٣٧٥، حديث رقم: ٢٣٩٥٠، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في كتابه سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج٣/ ٤٨٣، حديث رقم: ١٤٩٦.

وفي رواية أخرى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ:" أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ؟ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ"(١).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:" أَنْ تُجَاهِدَ نَفْسَكَ وَهَوَاكَ فِي ذَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ"(٢).

وتجاهد نفسك أي أن تحملها على المكاره في سبيل الله تعالى، وأن تمنعها من المحرمات، تزجرها عن المعاصي والشهوات التي تهواها النفس غالبًا.

والحاصل أن جهاد النفس هو نوع من أنواع الجهاد في الإسلام؛ فكما هناك جهاد المال وجهاد اللسان وجهاد اليد؛ فهناك جهاد النفس، وجهاد النفس هو مقدمة لأنواع الجهاد الأخرى؛ فلا يجاهد الأعداء ويبذل روحه في سبيل الله تعالى ويجود بها من لم يجاهد نفسه، والإسلام دعا إلى جهاد النفس، كما دعانا لجهاد المال واللسان واليدان، وقرن الله تعالى في كتابه العزيز بين جهاد النفس وجهاد المال كثيرًا جدًا؛ فكلاهما يحتاج إلى جهد ومصابرة، والمجاهد الحقيقي من جاهد نفسه في سبيل الله تعالى؛ لتستقيم على دينه، وتنقاد لشرعه.

---

(١) مسند الإمام أحمد، ابن حنبل، حديث رقم: ٢٣٩٥٨، ج٣٨١/٣٩، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في كتابه سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج٣/ ٤٨٣، حديث رقم: ١٤٩٦.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، ج٢٤٩/٢، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في كتابه سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج٣/ ٤٨٣، حديث رقم: ١٤٩٦.

المطلب الثاني
جهاد النفس مقدمة لجهاد الأعداء بالسيف

إن من أهل العلم من يرى أن جهاد النفس أكبر من جهاد الأعداء؛ لأن الإنسان يكره عدوه ويعمل جاهدًا على مقاتلته ومحاربته؛ ليعلو عليه، ولكن جهاد النفس فيه يخالف المرء هواه وما يريده، كما قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى:" اعْلَمْ أَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ جِهَادُ النَّفْسِ أَكْبَرَ مِنْ جِهَادِ الأَعْدَاءِ؛ لأَنَّ النَّفْسَ مَحْبُوبَةٌ، وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ مَحْبُوبٌ؛ لأَنَّهَا لَا تَدْعُو إلا إِلَى مَا تَشْتَهِي، وَمُوَافَقَةُ الْمَحْبُوبِ فِي الْمَكْرُوهِ مَحْبُوبَةٌ؛ فَكَيْفَ إذا دَعَا إِلَى مَحْبُوب؛ فَإذا عَكَسْتَ الْحَالَ وَخُولِفَ الْمَحْبُوبُ فِيمَا يَدْعُو إِلَيْهِ مِنَ الْمَحْبُوبِ اشْتَدَّ الْجِهَادُ وَصَعُبَ الأَمْرُ، بِخِلافِ جِهَادِ الْكُفَّارِ فَإِنَّ الطِّبَاعَ تَحْمِلُ عَلَى خُصُومَةِ الأَعْدَاءِ"(١).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:" إن جهاد الهوى إن لم يكن أعظم من جهاد الكفار فليس بدونه، قال رجل للحسن البصري رحمه الله تعالى: يا أبا سعيد، أي الجهاد أفضل؟ قال: جهادك هواك، وسمعت شيخنا يقول: جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفار والمنافقين؛ فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولًا، حتى يخرج إليهم"(٢).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعًا على جهاد العبد نفسه في ذات الله، كان جهاد النفس مقدمًا على جهاد العدو في الخارج، وأصلا له؛ فإنه ما لم يجاهد نفسه أولًا لتفعل ما أمرت به وتترك ما نهيت عنه ويحاربها في الله لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج؛ فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه، وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له متسلط عليه، لم يجاهده ولم يحاربه في الله، بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه حتى يجاهد نفسه على الخروج(٣).

وَلذلك قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي قَوْله تعالى: ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ...**﴾ **[الحج: ٧٨]**. قَالَ:" هُوَ جِهَادُ النَّفْسِ وَالْهَوَى"(٤).

(١) ذم الهوى، ص٤٠.

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص٤٧٨.

(٣) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٣/٥-٦.

(٤) ذم الهوى، لابن الجوزي، ص٤٠.

وجهاد الكفار بالسيف غالبًا يكون لفترة محدودة، لكن جهاد النفس لا تقتصر على مدة زمنية محددة، وإنما يجاهد المرء نفسه طوال حياتنا وما دام حيًا.

وإن جهاد النفس هو الأصل لأنواع الجهاد الأخرى والأساس لها؛ فإن العبد إذا لم يجاهد نفسه أولاً ويبدأ بها ويلزمها بفعل ما أمرت به وترك ما نهيت عنه؛ فلا يمكن له جهاد عدوه الخارجي والانتصار عليه، ولذلك النفس ميداننا الأول؛ فإن انتصرنا عليها كنَّا على غيرها أقدر، وإذا أخفقنا في جهادها كنَّا عما سواها أعجز، فلنجرب الكفاح معها أولًا، كما قال تعالى: **﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].**

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:" أي: لما تملَّك طالوت ببني إسرائيل واستقر له الملك تجهزوا لقتال عدوهم، فلما فصل طالوت بجنود بني إسرائيل وكانوا عددا كثيرا وجما غفيرا، امتحنهم بأمر الله ليتبين الثابت المطمئن ممن ليس كذلك فقال: ﴿إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني﴾ فهو عاص ولا يتبعنا لعدم صبره وثباته ولمعصيته ﴿ومن لم يطعمه﴾ أي: لم يشرب منه فإنه مني ﴿إلا من اغترف غرفة بيده﴾ فلا جناح عليه في ذلك، ولعل الله أن يجعل فيها بركة فتكفيه"[1].

وقال الشيخ عبد الكريم الخطيب في تفسير هذه الآية:" هذه هي التجربة، وهذا هو الابتلاء! فالقوم عطشى والماء بين أيديهم، وكلمة الله إليهم:" ألّا يشربوا من هذا الماء وألا يرووا ظمأهم" وفى هذا: أولًا: امتحان لإيمانهم، واستجابتهم لما يدعون إليه، وهم في وجه تجربة أقسى وأمر، هي لقاء العدوّ الذي عرفوه وعرفوا بأسه وجبروته وبطشه بهم، وبآبائهم من قبل! وثانيًا: أن ذلك رياضة لهم وتدريب على احتمال مكاره الحرب وأهوالها، وربما كان الظمأ أهون شيء فيها، هذا بعض ما تنطوي عليه التجربة في كيانها، ولكن القوم لا يرون إلا ما يطفو على ظاهرها، وأنها ليست إلا تحكما من طالوت، لا يمليه عليه إلا حبّ التسلط والاستبداد، وهذا ما يضاعف من كمدهم وحقدهم؛ ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم؛ إنهم يحومون حول الماء ولا يردونه، وتحترق أكبادهم ظمأ ويحرم عليهم أن يشربوا منه"[2].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص١٠٨.

(٢) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب، ج١/٣٠٩.

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:" في هذا الابتلاء ما يدل على أن الماء قد قل عليهم ليتحقق الامتحان، فعصى أكثرهم وشربوا من النهر الشرب المنهي عنه، ورجعوا على أعقابهم ونكصوا عن قتال عدوهم وكان في عدم صبرهم عن الماء ساعة واحدة أكبر دليل على عدم صبرهم على القتال الذي سيتطاول وتحصل فيه المشقة الكبيرة، وكان في رجوعهم عن باقي العسكر ما يزداد به الثابتون توكلا على الله، وتضرعا واستكانة وتبرؤا من حولهم وقوتهم، وزيادة صبر لقلتهم وكثرة عدوهم"(١).

ولذلك من انتصر على النفس في ميدان التقرب بالطاعة والابتعاد عن المعصية هزم عدوه في المعركة وثبت في قتاله ومحاربته، ولكن من هُزم مع نفسه في ميدان التقرب بالطاعة والابتعاد عن المعصية؛ فلم يقم بالطاعة واقتحم المعصية فلن ينتصر على عدوه، ولن يثبت في المعركة أمام عدوه، وسيعمل على الفرار من المعركة وسيُهزم من عدوه شر هزيمة؛ فالانتصارات على الشهوات تكون أولًا ثم على الأعداء في معارك السيف ثانيًا.

والثبات على الطاعة ومشقتها دلالة وإشارة على الثبات أمام العدو في المعركة، وعدم الثبات عليها نفي للثبات أمام العدو في المعركة؛ فمن لم يستطع أن يقف بين يدي الله تعالى ساعة في قيام لا يستطيع أن يثبت أمام الأعداء في المعركة عشر دقائق، ومن لم يتغلب على شهواته لا يمكن أن ينتصر في المعركة على أعدائه، معادلات واضحة يعلمها من نوَّر الله تعالى بصيرته.

قال أهل السير:" كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت لهم العدو فواق ناقة عند اللقاء؛ فقال هرقل وهو على أنطاكية لما قدمت منهزمة الروم: ويلكم! أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم، أليسوا هم بشرا مثلكم؟! قالوا: بلى، قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافًا في كل موطن، قال: فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم؟! فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل، ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر، ونزني، ونركب الحرام، وننقض العهد، ونغصب، ونظلم، ونأمر بما يسخط الله، وننهى عما يرضي الله، ونفسد في الأرض؛ فقال: أنت صدقتني"(٢).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص١٠٨.

(٢) البداية والنهاية، لابن كثير، ج٩/٥٦٨ – ص٥٦٩.

ولَمَّا قُتِلَ جَعْفَرٌ أَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الرَّايَةَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ بِهَا، وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ، فَجَعَلَ يَسْتَنْزِلُ نَفْسَهُ، وَيَتَرَدَّدُ بَعْضَ التَّرَدُّدِ، ثُمَّ قَالَ:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلِنَّهْ لَتَنْزِلِنَّ أَوْ لَتُكْرَهِنَّهْ

إنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرَّنّه مَا لِي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الْجَنَّهْ

قَدْ طَالَ مَا قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّهْ هَلْ أَنْتِ إلَّا نُطْفَةٌ فِي شَنَّهْ[1].

وجهاد النفس مراتب، كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: جهاد النفس أربع مراتب:

إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله. فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين، فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيًا حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه؛ فمن علم وعمل وعلم؛ فذاك يدعى عظيمًا في ملكوت السماوات[2].

والخلاصة أن جهاد النفس أكبر من جهاد الأعداء؛ لأن الإنسان يكره عدوه ويعمل جاهدًا على مقاتلته ومحاربته؛ ليعلو عليه، ولكن جهاد النفس فيه يخالف المرء هواه وما يريده؛ فجهاد النفس هو الأصل لأنواع الجهاد الأخرى والأساس لها؛ فإن العبد إذا لم يجاهد نفسه أولاً ويبدأ بها ويلزمها بفعل ما أمرت به وترك ما نهيت عنه؛ فلا يمكن له جهاد عدوه الخارجي والانتصار عليه، ولذلك النفس ميداننا الأول؛ فإن انتصرنا عليها كنَّا على غيرها أقدر، وإذا أخفقنا في جهادها كنَّا عما سواها أعجز، فلنجرب الكفاح معها أولًا؛ فمن انتصر على النفس في ميدان التقرب بالطاعة والابتعاد عن المعصية هزم عدوه في المعركة وثبت في قتاله ومحاربته،

(١) انظر السيرة النبوية، لابن هشام، ج٢/ ٣٧٩.

(٢) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٣/٩.

ولكن من هُزم مع نفسه في ميدان التقرب بالطاعة والابتعاد عن المعصية؛ فلم يقم بالطاعة واقتحم المعصية فلن ينتصر على عدوه، ولن يثبت في المعركة أمام عدوه، وسيعمل على الفرار من المعركة وسيُهزم من عدوه شر هزيمة؛ فالانتصارات على الشهوات تكون أولًا ثم على الأعداء في معارك السيف ثانيًا، وإن المؤمن ينطلق في قتاله لعدوه من عقيدة التوحيد والتي ذكرت الشهادة وفضلها والجنة وما أعد فيها لأهلها؛ فلزم ذلك أن ينطلق المجاهد من عقيدة صافية وحال نقي من التقرب بالطاعة والبعد عن المعصية ليكون أمام عدوه أقوى وليتحصل على ما أعد الله تعالى للشهيد في الجنة ويكن لذلك أقرب.

المبحث الثالث

الجهاد القتالي في الدفاع عن العقيدة

إن الله تعالى أنزل دينه الإسلام ليصل للناس؛ فيعرفوه، ويعتنقوه، وتصلح به دنياهم وأخراهم، ولكن هذه الدعوة الإسلامية دعوة الخير المحض والحق الواضح، واجهت كفارًا عتاة يحاربونها ويقاتلونها ويعتدون عليها لا يريدون لها أن تنتشر؛ فيحولون بينها وبين أن تصل للناس؛ فكان تشريع الجهاد القتالي في سبيل الله تعالى، بل ووجد من الكفار من يعتدي على جماعات من المؤمنين فيستضعفها ويعذبها كي ترجع عن إسلامها وتوحيدها لله تعالى؛ فكان تشريع الجهاد القتالي في سبيل الله تعالى؛ لرفع الظلم وإقامة العدل، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل.

المطلب الأول

بيان أن من الكفار من لا ينقم على المسلمين سوى دينهم

لقد أخبرنا الله تعالى بأن من الكفار من لا ينقم على المسلمين الموحدين سوى إيمانهم بالله تعالى، وقولهم لا إله إلا الله؛ فلذلك يحاربهم ويقاتلهم ويعتدي عليهم، يريد منهم أن يكفروا بالله تعالى بعد أن آمنوا به سبحانه وتعالى؛ فهو قتال من أجل العقيدة ليس إلا، كما قال تعالى: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾[المائدة: ٥٩].**

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:" أي هل تنقمون منا إلا إيماننا بالله، وقد علمتم أنا على الحق (وأن أكثركم فاسقون) أي في ترككم الإيمان، وخروجكم عن امتثال أمر الله؛ فقيل هو مثل قول القائل: هل تنقم مني إلا أني عفيف وأنك فاجر، وقيل: أي لأن أكثركم فاسقون تنقمون منا ذلك"[١].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:" يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزوًا ولعبًا من أهل الكتاب: هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله، وما أنزل إلينا، وما أنزل من قبل، أي هل لكم علينا مطعن أو عيب إلا هذا؟ وهذا ليس بعيب ولا مذمة؛ فيكون الاستثناء منقطعًا، كما في قوله تعالى: **﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ**

(١) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، ج٦/٢٣٤.

الْحَمِيدِ ﴾[البروج: ٨]. وكقوله:﴿**... وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ...**﴾ **[التوبة: ٧٤]**."[١].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَفَرٌ مِنَ الْيَهُودِ؛ فِيهِمْ أَبُو يَاسِرِ بْنُ أَخْطَبَ، وَرَافِعُ بْنُ أَبِي رَافِعٍ، وَعَازِرٌ، وَخَالِدٌ، وَزَيْدٌ، وَأَزَارُ بْنُ أَبِي أَزَارٍ، وَأَشْيَعُ؛ فَسَأَلُوهُ عَمَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ مِنَ الرُّسُلِ؛ فَقَالَ: أُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا، وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى، وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ، لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ؛ فَلَمَّا ذَكَرَ عِيسَى جَحَدُوا نُبُوَّتَهُ، وَقَالُوا: لاَ نُؤْمِنُ بِعِيسَى، وَلاَ نُؤْمِنُ بِمَنْ آمَنَ بِهِ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾"[٢].

وقال تعالى حكاية عن سحرة فرعون بعد أن آمنوا بالله تعالى وهم يخاطبون فرعون بعد أن توعدهم بأن ينزل بهم أشد العقوبات: ﴿**وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ** ﴾ **[الأعراف: ١٢٦]**.

فبين الله تعالى على لسان من كانوا سحرة لفرعون وآمنوا بالله تعالى بعد ذلك بأن فرعون ما ينقم منهم إلا أن آمنوا بآيات الله تعالى ربهم وخالقهم، ولقد أفصحوا بشكل واضح جلي عن ذلك فقالوا لفرعون عليه من الله تعالى ما يستحق: ﴿**وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾[الأعراف: ١٢٦]**.

وبعد أن أخبروا فرعون بالسبب الحقيقي لعدائهم له، دعوا الله تعالى ربهم بأن يفرغ عليهم صبرًا وأن يتوفاهم مسلمين؛ فهم يؤمنون به، ولا يسألون أحدًا إلا هو، لا فرعون ولا غيره، ويدعونه رغبًا ورهبًا.

وقال تعالى عن أصحاب الأخدود: ﴿**وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ **[البروج: ٨]**.

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:" وَقَوْلُهُ : ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾. يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَمَا وَجَدَ هَؤُلاَءِ الْكُفَّارُ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ج٣/١٣٠.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ج٣/١١٠، أثر رقم: ٢١٠١.

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِالنَّارِ فِي شَيْءٍ، وَلاَ فَعَلُوا بِهِمْ مَا فَعَلُوا بِسَبَبٍ إِلاَّ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِاللَّهِ"[1].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:" وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد أي وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذي لا يضام من لاذ بجنابه المنيع الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره، وإن كان قد قدر على عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بأيدي الكفار به فهو العزيز الحميد وإن خفي سبب ذلك على كثير من الناس"[2].

وقد أخبرنا القرآن الكريم بأن من الكفار المعتدين من يقاتل الفئة المؤمنة ويعتدي عليها ويحاربها؛ بل ويخرجها من وطنها وديارها وما ذاك إلا لإيمانها بالله تعالى وقولها لا إله إلا الله، كما قال تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ **[الحج: ٣٩-٤٠]**.

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:" قَوْلُهُ:﴿ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : لَمْ يُخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ إِلاَّ بِقَوْلِهِمْ: رَبُّنَا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ"[3].

والذي نخلص إليه أن من الكفار من لا ينقم على المسلمين الموحدين سوى إيمانهم بالله تعالى، وقولهم لا إله إلا الله؛ فلذلك يحاربهم ويقاتلهم ويعتدي عليهم، يريد منهم أن يكفروا بالله تعالى بعد أن آمنوا به سبحانه وتعالى؛ فهو قتال من أجل العقيدة ليس إلا، وهؤلاء لابد من قتالهم وجهادهم، حتى لا تكون فتنة ومحنة ويكون الدين كله لله.

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ج٢٤/ ٣٤٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ج٨/٣٥٩.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ج١٨/ ٦٤٦.

المطلب الثاني

ضرورة الجهاد القتالي للدفاع عن العقيدة الإسلامية وأهلها

لما كان من الكفار من يقاتل ويحارب ويعتدي على الفئة المؤمنة بسبب إيمانها بالله تعالى، وقولها لكملة التوحيد لا إله إلا الله، كان لابد من رد عدوان هؤلاء؛ لينعم المؤمن بإيمانه بالله تعالى؛ فكان تشريع الجهاد لدفع الظلم ورد العدوان وإحقاق الحق وإبطال الباطل، ولتظهر العقيدة الإسلامية في أبهى صورها وأجملها، دون اعتراض من كافر عنيد أو مشرك حاقد؛ فالجهاد يردعه عن العدوان، والسيف يصده عن سفك الدم المسلم.

وكما أنه لابد من جهاد هؤلاء ومقاتلتهم لابد من الصبر على ما يلقى المسلم من أذى، وما يقدم من تضحيات ويبذل في سبيل الله تعالى، وكذلك لابد من الثبات على دين الله تعالى أمام ظلم الكفار وعدوانهم.

ولقد أخبرنا النبي ﷺ بأن الرجل ممن كان قبلنا كانت تنزل به أشد العقوبات وينكل به أشد التنكيل رجاء أن يرجع للكفر بعد إسلامه فما يرده ذلك عن دينه شيئًا؛ فعَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رضي الله عنه، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ؛ فَقُلْنَا: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلاَ تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ:" قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ؛ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ؛ فَيُجْعَلُ فِيهَا؛ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ؛ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ؛ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ؛ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ"(١).

وهذا الابتلاء الذي يواجهه الأنبياء صلوات الله عليهم وأتباعهم في أثناء دعوة الحق وثباتهم عليها ما هو إلا اختبار وامتحان قدره الله تعالى على الفئة المؤمنة، كما قال تعالى: **﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ – ٣].**

ولقد قدر الله تعالى أن يكون في كونه خلقًا لا يحبون الخير المحض لا لأنفسهم ولا لغيرهم من الخلق؛ فحينما تأتي دعوة الحق والخير والمتمثلة في دين الله تعالى الإسلام تجد أصحاب هذه النفوس الشريرة يقفون في وجهها، ويصدون الناس عن اتباعها، ويحولون بينهم

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، المناقب/ علامات النبوة في الإسلام، ج٣/١٣٢٢، حديث رقم: ٣٤١٦.

وبين اتباع دين الله تعالى؛ بل ويقاتلون الدعاة لهذا الدين ويحاربونهم ويقاتلونهم؛ بل ويعتدون عليهم؛ فكان تشريع الجهاد لأسباب كثيرة منها هذا السبب ألا وهو إزالة العقبات من وجه الدعوة الإسلامية؛ فلقد كان من حكام ورؤساء القبائل من يمنعون الدعاة إلى الله تعالى من الدخول إلى بلادهم وقبائلهم من أجل دعوة أبناء بلادهم وقبائلهم لدين الإسلام؛ فشرع الله تعالى الجهاد من أجل إزالة هذه العقبات والموانع من وجهة دعوة الحق؛ ليصل دينُ الله تعالى للناس أينما كانوا وحيث ما حلوا، وكذلك شرع الله تعالى الجهاد في سبيله للدفاع عن أولئكم الذين يحاول الكفار المحاربون المعتدون صرفهم عن دعوة الإسلام بالتعذيب والتنكيل بهم؛ فكان لابد من الدفاع عنهم؛ ليعبدوا الله تعالى وحده دون خوف أو رعب من أحد، كما قال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾**[البقرة: ١٩٣]**.

وقال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾**[الأنفال: ٣٩]**.

ولقد استبسل الصحابة رضي الله عنهم ومن معهم من المؤمنين في قتال المرتدين كقتالهم لمسيلمة الكذاب في حديقة الموت؛ فلقد أغلقت بنو حنيفة الحديقة عليهم وأحاط بهم الصحابة، وقال البراء بن مالك: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة، فاحتملوه فوق الجحف ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها؛ فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه ودخل المسلمون الحديقة من حيطانها وأبوابها يقتلون من فيها من المرتدة من أهل اليمامة حتى خلصوا إلى مسيلمة ــ لعنه الله ــ وإذا هو واقف في ثلمة جدار كأنه جمل أورق، وهو يريد يتساند لا يعقل من الغيظ، وكان إذا اعتراه شيطانه أزبد، حتى يخرج الزبد من شدقيه؛ فتقدم إليه وحشي بن حرب مولى جبير بن مطعم قاتل حمزة فرماه بحربته فأصابه وخرجت من الجانب الآخر، وسارع إليه أبو دجانة سماك بن خرشة فضربه بالسيف فسقط؛ فنادت امرأة من القصر: وأمير الوضاءة، قتله العبد الأسود؛ فكان جملة من قتلوا في الحديقة وفي المعركة قريبًا من عشرة آلاف مقاتل، وقيل: أحد وعشرون ألفا، وقتل من المسلمين ستمائة، وقيل: خمسمائة، فالله أعلم، وفيهم من سادات الصحابة وأعيان الناس من يذكر بعد(١).

والخلاصة أن الجهاد القتالي في الإسلام كان له الدور البارز والأساس والرئيس في الدفاع عن العقيدة أمام الكفار المحاربين المعتدين، الذين لا ينقمون على المؤمنين بالله

---

(١) انظر البداية والنهاية/ لابن كثير، ج٩، ص٤٦٩.

الموحدين له سوى إيمانهم بالله تعالى، وقولهم لا إله إلا الله، ويريدون صرف المؤمنين الموحدين عن دينهم الإسلامي وعقيدة التوحيد بالقوة الظالمة الغاشمة، من ضرب بالحديد وحرق بالنار؛ فكان لابد من مواجهة هؤلاء والدفاع عن أهل الإسلام والتوحيد؛ فكان الجهاد القتالي الذي يرد السيف الظالم بسيف العدل؛ ليأمن الناس على دينهم ويطمئنوا له، دون رعب من أحد أو خوف من جبار عنيد.

المبحث الرابع
الجهاد في نشر عقيدة التوحيد

إن الجهاد بجميع أشكاله وأنواعه كان له دورًا واضحًا في المساهمة في نشر عقيدة التوحيد؛ فجهاد اللسان والبيان وهو جهاد الدعوة كان هو الميدان الأول والأساس لنشر الدعوة الإسلامية، وكذلك جهاد المال والنفس بذل لتعلو دعوة الإسلام على غيرها من الدعوات، وهلمَّ جرًا من بقية أنواع الجهاد وأشكاله.

المطلب الأول
ضرورة الجهاد لنشر عقيدة التوحيد

لو لم يكن الجهاد مشروعًا لكان الإسلام مستضعفًا ولكان في غاية الضعف ولتركه كثير من أتباعه؛ لأن الجهاد دفاع عن الحق وأصحاب الحق بحق، وحصن حصين للحق وأهله، ولمزيد بيان ذلك.

أولًا: دور الجهاد في نشر عقيدة التوحيد.

إن الدعوة الإسلامية لو لم تجد في وجهها من يصدها ويمنعها من الوصول للناس، ويحاربها ويعتدي على دعاتها وأتباعها، لما كان للسيف موضعًا فيها، ولما كان للجهاد دورًا في الإسلام؛ فإن دعوة الإسلام تمتلك من المقومات والدواعي ما تجعل العاقل الذي يبحث عن رضا ربه ومصلحة نفسه الآجلة والعاجلة يتبعها دون أدنى شك أو تردد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" لَنْ يَقُومَ الدِّينُ إلَّا بِالْكِتَابِ وَالْمِيزَانِ وَالْحَدِيدِ؛ كِتَابٌ يَهْدِي بِهِ، وَحَدِيدٌ يَنْصُرُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ... ﴾ [الحديد: ٢٥]**. فَالْكِتَابُ بِهِ يَقُومُ الْعِلْمُ وَالدِّينُ، وَالْمِيزَانُ بِهِ تَقُومُ الْحُقُوقُ فِي الْعُقُودِ الْمَالِيَّةِ والقبوض، وَالْحَدِيدُ بِهِ تَقُومُ الْحُدُودُ عَلَى الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، وَلِهَذَا كَانَ فِي الْأَزْمَانِ الْمُتَأَخِّرَةِ الْكِتَابُ لِلْعُلَمَاءِ وَالْعِبَادِ، وَالْمِيزَانُ لِلْوُزَرَاءِ وَالْكُتَّابِ وَأَهْلِ الدِّيوَانِ، وَالْحَدِيدُ لِلْأُمَرَاءِ وَالْأَجْنَادِ، وَالْكِتَابُ لَهُ الصَّلَاةُ، وَالْحَدِيدُ لَهُ الْجِهَادُ"(١).

---

(١) مجموع الفتاوى، ج٣٥/٣٦.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:" أشْهد أَن مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُوله، وأمينه على وحيه، وَخيرته من خلقه، وسفيره بَينه وَبَين عباده، وحجته على جَمِيع الْإِنْس والجان، أرْسلهُ على حِين فَتْرَة من الرُّسُل؛ فهدى بِهِ إِلَى أقوم الطّرق، وَأبين السبل، وافترض على الْعباد طَاعَته، ومحبته، وتعظيمه وَالْقِيَام بحقوقه، وسد إِلَى الْجنَّة جَمِيع الطّرق؛ فَلم يفتح لأحد إِلَّا من طَرِيقه؛ فشرح الله لَهُ صَدره، وَرفع لَهُ ذكره، وَوضع عَنهُ وزره، وَبَعثه بِالْكتاب الْهَادِي، وَالسيف النَّاصِر، بَين يَدي السَّاعَة، حَتَّى يعبد سُبْحَانَهُ وَحده لَا شريك لَهُ، وَجعل رزقه تَحت ظلّ سَيْفه وَرمحه، وَجعل الذلة وَالصغَار على من قَابل أمره بالمخالفة والعصيان"[1].

وإن النبي ﷺ بعث بالسيف على من حارب الإسلام واعتدى، ولم يقبل إلا رفع السيف على الإسلام وأهله فحينها لا مجال ولا مناص إلا أن يواجه بالسيف ويقابل؛ فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم:" بُعثْتُ بين يَدي السَاعة بالسيف، حتى يعبدَ الله وحدَه لا شريك له، وجُعلَ رزقي تحت ظل رُمْحِي، وجُعل الذلةُ والصَّغَار على من خالف أمري، ومن تشبّه بقوم فهو منهم"[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم:" بُعثْتُ بالسيف، حتى يُعْبَدَ الله لا شريك له، وجُعل رِزقي تحت ظل رُمْحِي، وجُعل الذِّلَّةُ والصَّغَار على مَنْ خالف أمري، ومن تشبَّه بقوم فهو منهم"[3].

فقول النبي ﷺ:" بُعثْتُ بين يَدي السَاعة بالسيف، حتى يعبدَ الله وحدَه لا شريك له أو بُعثْتُ بالسيف، حتى يُعْبَدَ الله لا شريك له" فيه اقتران بين السيف ونشر الإسلام من عبادة الله تعالى وحده لا شريك له؛ فلقد قرن النبي ﷺ بين السيف وانتشار عبادة الله تعالى وحده؛ بل رتب انتشار الإسلام وعبادة الله تعالى وحده على استخدامه للسيف، دلالة على تأثير ذلك الواضح في دعوته، حيث إنه بالسيف يرد عدوان من حارب واعتدى، وبالسيف يقمع الظلم ويقيم العدل، وبالسيف يرفع العراقيل الموضوعة من الجهلاء والظلمة في وجه الدعوة الإسلامية محاولة منهم لمنع انتشار الإسلام والحيلولة بينه وبين وصوله للناس.

---

(١) الفروسية، ص٨٢ -٨٣.

(٢) مسند الإمام أحمد، ابن حنبل، ج٤/٥١٦، حديث رقم: ٥١١٥، وحسن إسناده الشيخ الألباني في كتابه إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ج٥/١٠٩ حديث رقم: ١٢٦٩.

(٣) مسند الإمام أحمد، ابن حنبل، ج٤/٥١٥ -٥١٦، حديث رقم: ٥١١٤، وحسن إسناده الشيخ الألباني في كتابه إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ج٥/١٠٩ حديث رقم: ١٢٦٩.

والمقصود من البعثة المحمدية هو نشر الإسلام وإظهاره على سائر الأديان؛ فلو لم يكن للسيف تأثير في ذلك لما ذكره هنا.

ولقد كان رسول الله ﷺ يعمل على رد عدوان المعتدين والمحاربين من الكفار، وكذلك يعمل على دعوتهم للإسلام؛ فكلاهما من أهدافه النبيلة، ولذلك كان يوصي من يجعله قائدًا للمسلمين ويرسله لقمع الظلم والظالمين ورد عدوانهم بدعوتهم للإسلام، ويقدم الدعوة للإسلام؛ فيجعلها أول الأمر؛ فبالرغم من حضور الجيش المجهز بسلاحه ومجيئه للقتال إلا أن الدعوة للإسلام حاضرة؛ بل لعلها لهؤلاء المعتدين المحاربين في مشهد الجيش المسلم المهيب تكن لهم خير وأفضل؛ فمن الناس من لا يتبع الدعوات ولو كانت على حق إلا إذا كان أهلها أصحاب شوكة وقوة؛ فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: " لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ" قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا؛ فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؛ فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ؛ فَبَرَأَ، حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ؛ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا، فَقَالَ:" انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ؛ فَوَاللهِ، لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ"(١).

فهذه دعوة إلى الله تعالى مقرونة بالقوة، ولولا تأثير قوة السلاح في الدعوة إلى الله تعالى لما فعل رسول الله ﷺ ذلك، وأمر به؛ فهو لا يأمر أصحابه بما لا فائدة منه، ولذلك قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:" إن الله سُبْحَانَهُ أَقَامَ دين الْإِسْلَام بِالْحجَّةِ والبرهان، وَالسيف والسنان؛ فكلاهما فِي نَصره أَخَوان شقيقان"(٢).

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله، ج٣/ ١٠٧٧، حديث رقم: ٢٧٨٣، صحيح مسلم، مسلم، فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ/ مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ج٤/١٨٧٢، حديث رقم: ٢٤٠٦.

(٢) الفروسية، ص٨٣ -٨٤.

ثانيًا: الإخبار النبوي بانتشار الإسلام وقوة وأهله.

لقد أخبرنا النبي ﷺ بأن أمر الإسلام سيبلغ ما بلغ الليل والنهار، ولن يترك بيتًا إلا وسيدخله، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يعز الله به الإسلام، وذُلًا يذل الله به الكفر، ومما يكون به ذل الكفر وترغيم أنفه بالسيف والجهاد، وكم ذلت ديار للكفر بسيف الجهاد ودانت بعدها بدين الله تعالى؛ فعَنْ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:" لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتُ مَدَرٍ، وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ ذُلِّ ذَلِيلٍ، إِمَّا يُعِزُّهُمُ اللهُ؛ فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ يُذِلُّهُمْ؛ فَيَدِينُونَ لَهَا"[1].

وعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:" لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ" وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ، يَقُولُ:" قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرُ وَالشَّرَفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ وَالْجِزْيَةُ"[2].

قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى:" ومما لا شك فيه أن تحقيق هذا الانتشار يستلزم أن يعود المسلمون أقوياء في معنوياتهم ومادياتهم وسلاحهم حتى يستطيعوا أن يتغلبوا على قوى الكفر والطغيان"[3].

والخلاصة أن الدعوة الإسلامية لو لم تجد في وجهها من يصدها ويمنعها من الوصول للناس، ويحاربها ويعتدي على دعاتها وأتباعها، لما كان للسيف موضعًا فيها؛ فبالجهاد كان الدفاع عن الإسلام وأهله، حتى لا يفتن الناس في دينهم ويستعبدوا لمخلوق.

---

(١) مسند الإمام أحمد، ابن حنبل، ج٣٩/٢٣٦، حديث رقم: ٢٣٨١٤، وصححه الألباني في كتابه مشكاة المصابيح، للتبريزي، ج١/٢٠، رقم الحديث: ٤٢.

(٢) مسند الإمام أحمد، ابن حنبل، حديث رقم: ١٦٩٥٦، ج٢٨/١٥٤ -١٥٥، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في سلسلة الأحاديث وشيء من فقهها، للألباني، ج١/٢٠، حديث رقم: ٤٢.

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للألباني، ج١/٣٢، تحت حديث رقم: ٣.

المطلب الثاني

دور الفتوحات الإسلامية في نشر دعوة الإسلام

لقد كان للفتوحات الإسلامية دورًا مهمًا في نشر الدعوة الإسلامية بالحق دون باطل من إكراه أو إجبار للآخرين على اعتناق دين الإسلام، ولبيان صورة ذلك الصحيحة لابد من تسليط الضور على أمرين مهمين:

أولًا: دور الفتوحات الإسلامية في تمهيد الأرض للدعوة الإسلامية.

لم تكن ما عرف بالفتوحات الإسلامية في الإسلام لاحتلال البلاد واستعباد العباد، والظلم والاستبداد؛ بل كانت خير وهداية ورحمة للناس؛ فجيش المسلمين يصل إلى بلد كَفَرَ أهلُه بالله تعالى لم تصله دعوة الإسلام وقد اعتدى أهله وحكامه على الإسلام وأهله؛ فيرد عدوانهم ويقمع ظلمهم، ويزيل عراقيلهم من وجه دعوة الإسلام؛ فلم يعد هناك من يحول بين الإسلام ودعوته الغراء وبين الناس وعقولهم، ومن هنا كان للسيف دورًا في تعبيد الناس لدين الله تعالى، من خلال رد العدوان وقمع الظلم وإزاحة العراقيل التي تمنع من دخول دعاة الإسلام لبلاد الكفر، ومن خلال إيصال الدعوة الإسلامية للناس بصورة صحيحة ليقرروا بكامل حريتهم ويختاروا بعد ذلك ما شاءوا.

ولقد كان للفتوحات الإسلامية الدور البارز في نشر دعوة الإسلام وعقيدته؛ فبالفتوحات وصل الإسلام لبلاد لم يكن قد بلغها؛ فلما دخل الإسلام بلادهم وعرفوا رسالته حق المعرفة اعتنقوه واتبعوه؛ فلا مقارنة بين دين الإسلام الذي لا يجعل الناس عبيدًا لبعضهم بعضًا؛ بل يجعل الجميع عبيدًا لله تعالى، وبين أديانهم التي كانوا عليها، والتي كانت تجعل الناس عبيدًا بذلة ومهانة لحكامهم وملوكهم؛ بل وعبيدًا أحيانًا لأصنام من حجر أو شجر أو بشر لا يملكون لأنفسهم نفعًا أو ضرًا، ولذلك من أبرز الفروقات بين الفتوحات الإسلامية والاحتلال الكفري أن المسلمين لم يتعاملوا مع الشعوب الأخرى كعبيد؛ لأن الأصل عندهم حرية الشعوب الأخرى، على عكس الرومان واليونان والفرس الذين كانوا يستعبدون من يغزونهم، ويسطون على أرضهم؛

ففي فتح مكة كان الفتح الإسلامي الأكبر في زمانه للإسلام والمسلمين، وقد قال الله تعالى فيه:﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** ﴾**[النصر: ١-٣]**

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:" المراد بالفتح هاهنا فتح مكة قولا واحدًا؛ فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة، يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي؛ فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجًا؛ فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيمانًا، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام، ولله الحمد والمنة"(١).

ولقد ذكر الله تعالى في هذه السورة سورة النصر دخول الناس في دين الله تعالى الإسلام، وذلك بعد ذكره للنصر والفتح؛ ففي مشهد القوة كان النصر المبين والفتح المؤزر، نصرٌ على الشرك والأوثان، وفتحٌ بدخول الناس في دين الله تعالى طواعية واختيارًا جماعات وأفواجًا، وإن لذكر الله تعالى الأمرين معًا دلالة على وثيق الارتباط بينهما، وتأثير أحدهما على الآخر؛ فبعلو دين الإسلام على الشرك والأوثان في بلد الله الحرام، وظهور عجز الأصنام المكذوبة والآلهة المزعومة إشارة ودلالة على كمال هذا الدين وبلوغه التمام، وكما قال تعالى: **﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣].**

وقال تعالى: **﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٨-٩].**

فكان ظهور الإسلام بالفتح المبين والذي ترتب عليه النصر المؤزر، ولذلك لا عجب ولا غرو أن تجد ذكرًا للنصر بعد الفتح في القرآن الكريم إشارة صريحة إلى أن الفتح المبين نصر مؤزر، كما قال تعالى: **﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ [الفتح: ١- ٣].**

ثانيًا: بيان أن الفتوحات الإسلامية لم تجبر الناس على الإسلام.

إن الفتوحات الإسلامية لم تجبر الناس على الإسلام؛ فكم من أقوام معتدية ومحاربة حينما جاءها جيش المسلمين ليرفع ظلم الظالمين عنها؛ فخيرها بين ثلاث؛ من قتال وجزية وإسلام؛ فاختارت الإسلام على ما سواه، بحرية تامة وأهلية كاملة؛ فدانت لله تعالى؛ فعَنْ

---

(١) تفسير القرآن العظيم/، ج٨/٤٨٤.

سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ[1] عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا، وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ؛ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ؛ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ؛ فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا؛ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ؛ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ؛ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ؛ وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ؛ فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا"[2].

ولقد كان يقع أسرى في أيدي المسلمين أثناء جهادهم ضد المعتدين من الكفار؛ فكان من هؤلاء الأسرى من يسلم حين يرى أخلاق الإسلام واقعًا عمليًا في حياة المسلمين، وصدق الله تعالى القائل في حق الأبرار من المؤمنين: **﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا (٩)﴾ [الإنسان: ٨-٩].**

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ؛ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ، يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ؛ فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ؛ فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَالَ: مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ، إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ؛ فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ؛ فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ؛ فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَانَ مِنْ الْغَدِ؛ فَقَالَ: مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؛ فَقَالَ عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ،

---

(١) سبقت ترجمته، ص٥١.

(٢) سبق تخريجه، ص٥٢.

وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ، فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنْ الْمَسْجِدِ؛ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ؛ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ، مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ؛ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللَّهِ، مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ؛ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ، مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ؛ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ؛ فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ؛ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ، قَالَ لَهُ قَائِلٌ: أَصَبَوْتَ! فَقَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا وَاللَّهِ، لَا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"(١).

ولقد أخبرنا النبي ﷺ بأن أناسًا من الكفار يأسرون؛ فيسلمون في أسرهم، ويحسن إسلامهم بعد ذلك، ويكونون من أهل الجنة في الدار الآخرة؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:" عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاَسِلِ"(٢).

قال الدكتور مصطفى ديب البغا تعليقًا على هذا الحديث:" في السلاسل هو مجاز عن دخولهم في الإسلام مكرهين، ثم يحسن حالهم؛ فيكون ذلك سبب دخولهم الجنة"(٣).

وبالفتوحات الإسلام عرف الناس دين الإسلام وحقيقته، ولذلك اتبعوه واعتنقوه؛ بل وعرفوا حقيقة الفاتحين من أبناء جيش المسلمين وأخلاقهم الحسنة، كما قال جوستاف لوبون:" الحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا دينا مثل دينهم"(٤).

والذي نخلص إليه أن الجهاد في سبيل الله تعالى كان له الدور الحقيقي والبارز في نشر الدعوة الإسلامية؛ حيث به يرد عدوان المعتدين؛ بل وتزال العراقيل من وجه دعوة الإسلام؛ فبالفتوحات الإسلامية عرفت كثير من شعوب الكفر المعادية الإسلامَ معرفة حقيقية، وعرض الإسلام عليهم بكل حرية؛ فكان ظهور الإسلام بالكتاب الهادي والسيف الناصر.

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، الصلاة/ الاغتسال إذا أسلم وربط الأسير أيضًا في المسجد، /١٧٦، حديث رقم: ٤٥٠، صحيح مسلم، مسلم، الجهاد والسير/ ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه، ج٣/١٣٨٧، حديث رقم: ١٧٦٤،.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ الأسارى في السلاسل، ج٣/ ١٠٩٦، حديث رقم: ٢٨٤٨.

(٣) انظر صحيح البخاري وهو الجامع الصحيح المختصر، للإمام البخاري، ج٣/ ١٠٩٦، تحت حديث رقم: ٢٨٤٨، وتعليقًا عليه.

(٤) حضارة العرب، لغوستاف لوبون، ترجمة: زعيتر، ص٦٣٠.

الفصل الخامس

الجهاد وعلاقته ببعض القضايا العقدية

المبحث الأول

الجهاد والدعوة إلى الله تعالى

إن تبليغ دعوة الله تعالى للناس جهاد في سبيل الله تعالى؛ فجهاد اللسان والبيان هو استفراغ الجهد في تبليغ الناس دين الله تعالى، وكذلك جهاد النفس يبذل المسلم فيه جهده وكل ما في وسعه من طاقة ليكون دين الله أقرب له ولغيره، وكذلك جهاد المال يجود المسلم بما يملك لصالح دعوة الإسلام وترسيخها.

المطلب الأول

العلاقة بين الجهاد والدعوة إلى الله تعالى، وبيان ضرورة ذلك

إن العلاقة بين الجهاد في سبيل الله تعالى والدعوة إلى الله تعالى قوية ومتينة، ويتضح ذلك من خلال بيان أن الدعوة الإسلامية وجدت من يقف في طريقها للحيلولة بينها وبين وصولها للناس.

أولًا: الجهاد لإزالة العقبات من وجهة الدعوة الإسلامية.

لقد قدر الله تعالى أن يكون في كونه خلقًا لا يحبون الخير المحض لا لأنفسهم ولا لغيرهم من الخلق؛ فحينما تأتي دعوة الحق والخير والمتمثلة في دين الله تعالى الإسلام تجد أصحاب هذه النفوس الشريرة يقفون في وجهها، ويصدون الناس عن اتباعها، ويحولون بينهم وبين اتباع دين الله تعالى؛ بل ويقاتلون الدعاة لهذا الدين ويحاربونهم ويقاتلونهم؛ بل ويعتدون عليهم؛ فكان تشريع الجهاد لأسباب كثيرة منها هذا السبب ألا وهو إزالة العقبات من وجه الدعوة الإسلامية.

ولقد كان من حكام ورؤساء القبائل من يمنعون الدعاة إلى الله تعالى من الدخول إلى بلادهم وقبائلهم من أجل دعوة أبناء بلادهم وقبائلهم لدين الإسلام؛ فشرع الله تعالى الجهاد من أجل إزالة هذه العقبات والموانع من وجهة دعوة الحق؛ ليصل دينُ الله تعالى للناس أينما كانوا وحيث ما حلوا.

ثانيًا: الجهاد لرفع الظلم عن من يقبل دعوة الإسلام.

لقد شرع الله تعالى الجهاد في سبيله للدفاع عن أولئكم الذين يحاول الكفار المحاربون المعتدون صرفهم عن دعوة الإسلام بالتعذيب والتنكيل بهم؛ فكان لابد من الدفاع عنهم؛ ليعبدوا

الله تعالى وحده دون خوف أو رعب من أحد، كما قال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ **[البقرة: ١٩٣].**

وقال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾**[الأنفال: ٣٩].**

قال ابن جريج: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه ...**﴾ أي: لا يفتن مؤمن عن دينه، ويكون التوحيد لله خالصًا ليس فيه شرك، ويُخلع ما دونه من الأنداد[١].

فالدعوة إلى الله عز وجل تحتاج إلى الجهاد، وليس الجهاد المقصود هنا الجهاد بالسيف فقط، وإنما الجهاد باللسان الذي يعدُّ من أنواع الجهاد، فرسول ﷺ حينما بدأت دعوته كانت سرية وكان يدعوا الكفار في الدخول في الإسلام.

ثالثًا: الجهاد في تبليغ الإسلام للمدعوين.

لقد من الله تعالى على المسلم بالإسلام وعزه به، وفضله على سائر الناس، وجعل أمته خير الأمم، كما قال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ...**﴾ **[آل عمران: ١١٠]**. فكانت خير الأمم بإيمانها بالله تعالى ودعوتها لهذا الإيمان المتمثل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعليه فالإنسان المسلم الذي تعلم الإسلام وفقه علومه الشرعية والفقهية لا بد له أن يعمل على تبليغ ما تعلمه من أمور الدين، وأن يقوم بواجب الدعوة إلى الله تعالى؛ فلقد أمرنا شرعًا بتبليغ هذا الدين؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:" بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"[٢].

والدعوة لدين الله تعالى وتبليغه للناس جهاد في سبيل الله تعالى؛ فلا غنى عن جهاد اللسان والبيان؛ فأول مرحلة مع أي كافر هي دعوته باللسان والقيام بواجب التعريف والتوضيح والبيان لدين الإسلام كي يقتنع به ويتبعه؛ فأول ما يدعى الكافر للإسلام يدعى باللسان وهذا من الجهاد، وما يبذل من مال وتعب نفس في دعوتهم للإسلام هو من الجهاد الحق الذي يرفع درجة المرء عند الله تعالى، وقد أطلق النبي ﷺ على كل ذلك مصطلح الجهاد فعمه وشمله؛

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ج١٣/٥٣٩.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، أحاديث الأنبياء/ ما ذكر عن بني إسرائيل، ج٣/١٢٧٥، حديث رقم: ٣٢٧٤.

فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَلْسِنَتِكُمْ"[1].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَلْسِنَتِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَمْوَالِكُمْ، وَأَيْدِيكُمْ"[2].

فالجهاد يشمل ما يقع من أجل الله تعالى ودينه باللسان والمال والنفس واليد؛ فكله جهاد في سبيل الله تعالى ما دام أنه يبتغى به وجه الله تعالى، ومن أجل رفع كلمته ورايته في الأرض.

والخلاصة أن العلاقة بين الجهاد والدعوة إلى الله تعالى قوية ومتينة، وأن الجهاد ضروري للدعوة الإسلامية في نشرها والمحافظة عليها وعلى أهلها، من كيد الكائدين وعدوان المعتدين، وأن للجهاد دورًا بارزًا في الدعوة إلى الله تعالى.

---

(١) سبق تخريجه، ص١٦.

(٢) سبق تخريجه، ص١٧.

المطلب الثاني

بيان أن الدعوة إلى الله تعالى جهاد كبير في سبيل الله تعالى

لقد عدَّ القرآن الكريم الدعوة إلى الله تعالى جهادًا كبيرًا، كما قال تعالى: ﴿**فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً** ﴾[**الفرقان: ٥٢**].

وجاهدهم به أي بالقرآن وحججه؛ فهو جهاد اللسان والبيان والبرهان، وليس جهاد اليد والسيف والسنان، وتأمل في تسمية النهوض بهذا الواجب جهادًا كبيرًا؛ لنعلم مركزه الكبير، المتميز بين أنواع الجهاد، وأنه من أهمها، ولذلك كان أساسًا لما تفرع عنه من أنواع الجهاد بعد ذلك؛ فهو أولها تشريعًا، وأساسها ترتيبًا، وقاعدتها انطلاقًا؛ بل الجهاد في سبيل الله تعالى بزغ مع فجر الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة فهو منها؛ بلا شك أو ريب؛ بل العلم أساس الجهاد وجوهره ومصحح مساره وطريقه؛ بل ومصدره ومعينه لما تفرع عنه وتكاثر بعد ذلك من أنواع الجهاد.

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:" فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من أن تعبد آلهتهم، فنذيقك ضعف الحياة وضعف الممات، ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهادًا كبيرًا، حتى ينقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله، ويدينوا به ويذعنوا للعمل بجميعه طوعا"(١).

وقال الإمام البغوي رحمه الله تعالى:" ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ فِيمَا يَدْعُونَكَ إِلَيْهِ مِنْ مُوَافَقَتِهِمْ وَمُدَاهَنَتِهِمْ ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ أَيْ: بِالْقُرْآنِ ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ شَدِيدًا"(٢).

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى:" ﴿فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ في ترك شيء مما أرسلت به؛ بل ابذل جهدك في تبليغ ما أرسلت به ﴿وَجَاهِدْهُمْ﴾ بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ أي: لا تبق من مجهودك في نصر الحق وقمع الباطل إلا بذلته، ولو رأيت منهم من التكذيب والجراءة ما رأيت فابذل جهدك واستفرغ وسعك، ولا تيأس من هدايتهم ولا تترك إبلاغهم لأهوائهم"(٣).

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ج١٩/٢٨٠ -٢٨١.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، ج٦/٩٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٥٨٤.

وإن نشر العلم جهاد في سبيل الله تعالى بلا شك أو ريب؛ فأساس الجهاد العلم وهو أساسه ولبه وجوهره وقاعدته، كما قال الله تعالى للمسلمين في مكة: ﴿**فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً** ﴾**[الفرقان: ٥٢]**.

فالساحة الجهادية الأولى في الإسلام هي ساحة الدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما الجهاد القتالي بأنواعه المختلفة فإنما هو فرع عنها وحصن لها، والتعريف بالإسلام وعلومه والدعوة إليه هو الركن الأول الأصيل في بنيان الجهاد وشرعته؛ بل إن الدعوة إلى الله تعالى هي المنطلق الجهادي الأول والميدان الأساس للجهاد في سبيل الله تعالى؛ بل إن الدعوة إلى الله تعالى هي الحجر الأساس والعمود الفقري في هيكل الجهاد.

ولذلك الجهاد بالعلم لا يقل شأنًا عن الجهاد بالسيف، وربما كان أمضى وأبلغ في الوصول بالناس إلى الحق أحيانًا.

وقد يظن بعض الناس للأسف الشديد أن الجهاد شرع في المدينة المنورة بعد هجرة رسول الله ﷺ إليها، والحق أن الجهاد في سبيل الله تعالى شرع في مكة، والأدلة على ذلك كثيرة جدًا؛ فالقرآن الكريم حافل بالحديث عن الجهاد في سبيل الله تعالى في المرحلة المكية والأمر به؛ فلقد قال الله تعالى للمسلمين مخاطبًا رسوله ﷺ في مكة: ﴿**فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً** ﴾ **[الفرقان: ٥٢]**.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:" أمره الله تعالى بالجهاد من حيث بعثه، وقال: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (٥١) فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا** ﴾ **[الفرقان: ٥١- ٥٣]**. فهذه سورة مكية أمر فيها بجهاد الكفار، بالحجة والبيان، وتبليغ القرآن"(١).

وإن من أسباب الخلط بين تشريع الجهاد وتشريع القتال؛ أن قتال الكفار شرع في المدينة المنورة بعد أن كان ممنوعًا ومحذورًا في مكة المكرمة؛ فظن بعضهم أن الجهاد عمومًا إنما شرع بعد الهجرة للمدينة، وليس الأمر كذلك؛ بل الجهاد مشروعًا من الزمن المكي، وإنما الذي شرع في المدينة المنورة بعد الهجرة النبوية هو القتال، وهو نوع من أنواع الجهاد.

---

(١) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٣/٥.

فالدعوة إلى الإسلام جهاد مشروع من مكة، وما شرع القتال في الإسلام إلا من أجل حماية الدعوة والذب عنها وإزالة العقبات من طريقها؛ فالقتال جاء من أجل جهاد الدعوة إلى الله تعالى، ومما يؤكد على ذلك أن الجهاد معنى عام، بينما القتال معنى خاص، فالقتال بحق هو جهاد في سبيل الله تعالى، وليس كل جهاد قتالاً؛ فالجهاد معناه واسع، يشمل الجهاد في سبيل الله بالقتال والمال، ويشمل الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويشمل كل عمل خير يعمله المؤمن في سبيل الله تعالى، وكل مسلم مطالب بالجهاد، ولكن ليس بالضرورة أن يكون مؤمورًا بالقتال؛ فالجهاد أبوابه واسعة؛ لكل مسلم أن يلج ما يناسبه منها؛ فكل يأخذ منه ما يليه، وإن الجهاد أعم وأوسع معنى من القتال؛ فالجهاد بالمال واللسان والنفس، وأما القتال فبالنفس وحدها؛ فالقتال جزء من مسمى الجهاد، والجهاد يدور على معان كثيرة، والقتال أعلى درجات الجهاد وأرفعها، والجهاد مشتق من الجُهد والذي هو الوسع والطاقة، أو من الجَهد والذي هو النصب والمشقة، وأما القتال فهو من مشتق من القتل، والجهاد كان مشروعًا في مكة بيد أن القتال شرع في المدينة؛ فلم يأمروا بالقتال في مكة المكرمة؛ بل كان الأمر بالصبر عليهم في مكة، وقد قال الله تعالى لهم: كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة، كما قال تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾النساء٧٧.**

ثم أُذن به بعد ذلك، كما قال تعالى: **﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[الحج: ٣٩ – ٤١].**

فالجهاد في سبيل الله تعالى كان له دورًا بارزًا وواضحًا في نشر العقيدة الإسلامية، وذلك من خلال إزاحة العراقيل التي تقف في وجه نشر هذا الدين، وتمكين الدعاة من نشر الإسلام، وعبادة الله تعالى وحده دون خوف من أحد أو قهر من جبار عنيد، وقد ظهر ذلك واتضح في الفتوحات الإسلامية ودور دعاة الإسلام في نشر الدين، فهذا كان نهج السلف الأوائل في نشر الدعوة الإسلامية، وإزاحة العراقيل التي تقف في وجه الدعوة الإسلامية وتحول

بين الناس والتعرف على الإسلام؛ فكان الجهاد له دورًا واضحًا في تمكين الدعاة، ومحاربة ما يهدد العقيدة الإسلامية من عراقيل حقيقية؛ بل ومحاربة البدع الباطلة.

والذي نخلص إليه أن الدعوة إلى الله تعالى هي الحجر الأساس والعمود الفقري في هيكل الجهاد، والجهاد بالقرآن ببيان حججه ودلائله وبراهينه هو جهاد أكبر، والجهاد بالعلم لا يقل شأنًا عن الجهاد بالسيف، وربما كان أمضى وأبلغ في الوصول بالناس إلى الحق أحيانًا، والجهاد مشروعًا من الزمن المكي، وإنما الذي شرع في المدينة المنورة بعد الهجرة النبوية هو القتال، وهو نوع من أنواع الجهاد.

المبحث الثاني
الجهاد وعقيدة الأجل

إن المجاهد المسلم يذهب إلى أرض المعركة ويقاتل في سبيل الله تعالى وهو يؤمن بعقيدة القضاء والقدر، فهو على يقين تام بأن الجهاد في سبيل الله لا ينقص من العمر شيئًا، ولا يزيد؛ فإن الأجل مكتوب في اللوح المحفوظ من قبل أن يولد.

المطلب الأول
عقيدة المجاهد بأن كل نفس ذائقة الموت

إن المسلم سواءً كان مجاهدًا أو قاعدًا يعتقد اعتقادًا جازمًا بأن الموت كأس، وكل الناس سيشربون من هذا الكأس لا محالة، ولقد أخبرنا الله عز وجل بأن كل من على هذه الأرض فإنه سيموت ويبقى وجه الله عز وجل، فالمسلم على يقين تام بعقيدة الأجل وانتهاء عمره سواءً كان في المعركة أو داخل بيته؛ فإن الموت يدركه أينما كان، ولو كان في برج مشيد؛ فالمجاهد يقر ويعترف بأن الآجال قد كتبت، والأعمار قد حسمت؛ ففرغ منها وانتهت، وصدق الله القائل: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَاباً مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ** ﴾**[آل عمران: ١٤٥]**.

قال سيد قطب رحمه الله تعالى:" إن لكل نفس كتابًا مؤجلًا إلى أجل مرسوم، ولن تموت نفس حتى تستوفي هذا الأجل المرسوم؛ فالخوف والهلع والحرص والتخلف لا يطيل أجلًا، والشجاعة والثبات والإقدام والوفاء لا تقصر عمرًا؛ فلا كان الجبن، ولا نامت أعين الجبناء، والأجل المكتوب لا ينقص منه يوم ولا يزيد؛ بذلك تستقر حقيقة الأجل في النفس؛ فتترك الاشتغال به، ولا تجعله في الحساب، وهي تفكر في الأداء والوفاء بالالتزامات والتكاليف الإيمانية، وبذلك تنطلق من عقال الشح والحرص، كما ترتفع على وهلة الخوف والفزع، وبذلك تستقيم على الطريق بكل تكاليفه وبكل التزاماته، في صبر وطمأنينة، وتوكل على الله الذي يملك الآجال وحده"[(١)].

وقال تعالى: ﴿**... كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ...** ﴾**[القصص: ٨٨]**.

---

(١) في ظلال القرآن، ج١/٤٨٧.

وقال تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾**[الأنبياء: ٣٤-٣٥]**

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وما خلدنا أحدًا من بني آدم يا محمد قبلك في الدنيا؛ فنخلدك فيها، ولا بد لك من أن تموت كما مات من قبلك رسلنا (**أَفَإِن مِتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ**) يقول: فهؤلاء المشركون بربهم هم الخالدون في الدنيا بعدك! لا، ما ذلك كذلك؛ بل هم ميتون، بكلّ حال عشت أو متّ"[١].

وقال سيد قطب رحمه الله تعالى:" الحياة في هذه الأرض موقوتة، محدودة بأجل، ثم تأتي نهايتها حتمًا، يموت الصالحون ويموت الطالحون، يموت المجاهدون ويموت القاعدون، يموت المستعلون بالعقيدة، ويموت المستذلون للعبيد، يموت الشجعان الذين يأبون الضيم، ويموت الجبناء الحريصون على الحياة بأي ثمن، يموت ذووا الاهتمامات الكبيرة والأهداف العالية، ويموت التافهون الذين يعيشون فقط للمتاع الرخيص، الكل يموت"[٢].

ويعلم المجاهد أن الله تعالى لو كتب الله تعالى لأحد الخلد على وجه هذه الأرض لكتبه لأشرف الخلق وأفضلهم عنده ألا وهو محمد ﷺ خير المجاهدين وأشجع المقاتلين في سبيل الله تعالى، ولكن الله تعالى قال له على وجه الخصوص: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ** ﴾ **[الزمر: ٣٠]**. وقال له أيضًا: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ** ﴾ **[الأنبياء: ٣٤]**. وفي هذا دلالة صريحة على أن كل من على الأرض سوف تنتهي آجالهم حتى لو كان الأنبياء صلوات الله عليهم.

وقال تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ* وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾ **[الرحمن: ٢٦-٢٧]**

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى:" كلّ من على ظهر الأرض من جنّ وإنس فإنه هالك، ويبقى وجه ربك يا محمد ذو الجلال والإكرام؛ وذو الجلال والإكرام من نعت الوجه فلذلك رفع ذو[٣]".

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ج١٨/٤٣٩.

(٢) في ظلال القرآن، ج١/٥٣٨.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ج٢٣/٣٨.

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:" فَهُوَ تَعَالَى وَحْدَهُ هُوَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ يَمُوتُونَ، وَكَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ وَحَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَيَنْفَرِدُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْقَهَّارُ بِالدَّيْمُومَةِ وَالْبَقَاءِ، فَيَكُونُ آخِرًا كَمَا كَانَ أَوَّلًا، وَهَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا تَعْزِيَةٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ، فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى أَحَدٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ حَتَّى يَمُوتَ، فَإِذَا انْقَضَتِ الْمُدَّةُ وفَرَغَت النُّطْفَةُ الَّتِي قَدَّرَ اللَّهُ وُجُودَهَا مِنْ صُلْبِ آدَمَ وَانْتَهَتِ الْبَرِيَّةُ –أَقَامَ اللَّهُ الْقِيَامَةَ وَجَازَى الْخَلَائِقَ بِأَعْمَالِهَا جَلِيلِهَا وَحَقِيرِهَا، كَثِيرِهَا وَقَلِيلِهَا، كَبِيرِهَا وَصَغِيرِهَا، فَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ"(١).

والمجاهد الحق خصوصًا والمسلمون عمومًا يعلمون يقينًا أن المشاركة في المعارك لا تنقص الآجال، وأن القعود عن الجهاد لا يطيل الأعمار؛ فأهل الجهاد من أكثر الناس إيمانًا بالقدر، كيف لا وهم يعتقدون أن الجبن لا يطيل العمر، والشجاعة لا تقصر الآجال؛ فهذا سيف الله المسلول خالد بن الوليد ﷺ يؤكد لنا على ذلك؛ فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ(٢): أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ بَكَى، وَقَالَ: لَقِيتُ كَذَا وَكَذَا زَحْفًا، وَمَا فِي جَسَدِي شِبْرٌ إلا وَفِيهِ ضَرْبَةٌ بِسَيْفٍ، أَوْ رَمْيَةٌ بِسَهْمٍ، أَوْ طَعْنَةٍ بِرُمْحٍ، وَهَا أَنَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي حَتْفَ أَنْفِي كَمَا يَمُوتُ الْبَعِيرُ؛ فَلا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجُبْنَاءِ(٣).

فالمجاهد يعتقد أن من كتب له الموت في مكان وزمان معين فلابد أنه لاقيه كما كتب، دون زيادة أو نقصان؛ بل على الوجه الذي كتب بتمام المطابقة، كما قال تعالى: ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ **[الأعراف: ٣٤]**.

---

(١) تفسير القرآن الكريم، ج١٧٧/٢.

(٢) هو: عبد الله بن ذكوان، القرشي، أبو عبد الرحمن المدني، المعروف بأبي الزناد، قال عبد الله بن أحمد عن أبيه ثقة، وقال حرب عن أحمد: كان سفيان يسميه أمير المؤمنين، وقال أبو زرعة الدمشقي عن أحمد: أبو الزناد أعلم من ربيعة، وقال ابن أبي مريم عن ابن معين: ثقة حجة، وقال ابن المديني: لم يكن بالمدينة بعد كبار التابعين أعلم منه، ومن ابن شهاب، ويحيى بن سعيد، وبكير بن الأشج، وقال العجلي: مدني تابعي ثقة، سمع من أنس، وقال أبو حاتم: ثقة فقيه صالح الحديث صاحب سنة، وهو ممن تقوم به الحجة إذا روى عن الثقات، وقال النسائي والعجلي والساجي وأبو جعفر الطبري: كان ثقة، وقال ابن حبان في الثقات: كان فقيهًا صاحب كتاب، وقال البخاري: أصح أسانيد أبي هريرة أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، قال خليفة وغيره: مات سنة ثلاثين ومائة في رمضان، وهو ابن ٦٦ سنة، وكذا قال ابن سعد: وزاد كان ثقة كثير الحديث فصيحًا بصيرًا بالعربية، عالمًا عاقلًا. تهذيب التهذيب، لابن حجر، ج٢٠٣/٥ – ٢٠٥.

(٣) تاريخ دمشق، لابن عساكر، ج١٦/ ٢٧٣.

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿... قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:" قال الله تعالى: ﴿... قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ...﴾ [آل عمران: ١٥٤]. أي هذا قدر قدره الله عز وجل وحكم حتم لا محيد عنه ولا مناص منه، "(١).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا * أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٧٧- ٧٨].

والذي نخلص إليه أن المجاهد الحق لديه عقيدة راسخة أن الموت حق على كل إنسان، وأن الآجال قد كتبت وفرغ منها، ولذلك يعلم أن المشاركة في المعارك لا تنقص الآجال، وأن القعود عن الجهاد لا يطيل الأعمار، ولذلك لا مكان للجبن عنده، ولا التأخر عن أداء فريضة الجهاد في سبيل الله تعالى.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ج١٢٨/٢.

المطلب الثاني

عقيدة الأجل عند المنافقين تجاه المقتولين في المعارك

لقد بين الله تعالى لنا في كتابه العزيز أن المنافقين وضعاف الإيمان وأصحاب القلوب الضعيفة هم الذين يعتقدون أن القعود عن الجهاد والتخلف عنه يطيل العمر وأن المشاركة في معارك الجهاد تنهي العمر وتقصر الآجال، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ * الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ **[آل عمران: ١٦٦ -١٦٨].**

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:" قال تعالى: (**الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا . . .** ﴾ أي لو سمعوا من مشورتنا عليهم في القعود وعدم الخروج ما قتلوا مع من قتل، قال الله تعالى: (. . . **قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**(١٦٨) ﴾ أي إن كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت، فينبغي أنكم لا تموتون، والموت لا بد آت إليكم ولو كنتم في بروج مشيدة؛ فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين"[(١)].

فهؤلاء المنافقون عندما قعدوا في بيوتهم وتخلفوا عن القتال قالوا للمؤمنين لو أطاعنا من قتل منكم لدرء عن نفسه الموت، وقولهم هذا وقعودهم عن الجهاد إنما يدل على جبن وخوف؛ فلقد رضوا بالقعود على أن يجاهدوا خوفًا من الموت والقتل، ولقد ذم النبي ﷺ الرجل الجبان والذي يرضى بالقعود ولا يجاهد في سبيل الله؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُول:" شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ شُحٌّ هَالِعٌ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ"[(٢)].

قال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى:" أصل الهلع: الجزع، والهالع هاهنا: ذو الهلع، كقول النابغة:[كليني لهم يا أميمةُ ناصب] أي: ذو نصب، ويقال: إن الشح أشد من البخل،

(١) تفسير القرآن العظيم، ج١٤١/٢.

(٢) سنن أبي داود، أبو داود، الجهاد/ في الجرأة والجبن، ج١٦٥/٤، حديث رقم: ٢٥١١، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في كتابه صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، ج٢/ ٧٠٢، رقم الحديث٢٦٠٦.

ومعناه البخل يمنعه من إخراج الحق الواجب عليه، فإذا استخرج منه هلع، وجزع منه، والجبن الخالع هو: الشديد الذي يخلع فؤاده من شدقه"(١).

وقال الإمام المناوي رحمه الله تعالى:" وجبن خالع، أي: شديد، كأنه يخلع فؤاده من شدة خوفه، والمراد به ما يعرض من أنواع الأفكار، وضعف القلب عند الخوف من الخلع، وهو نزع الشيء عن الشيء بقوة، يعني حين يمنعه من محاربة الكفار، والدخول في عمل الأبرار؛ فكأن الجبن يخلع القوة، والنجدة من القلب، أو يخلع المتصف به عن كونه من الفحول، أو يخلع الشجاعة، ويذهب بها؛ لأنه إذا كان وثابًا هجامًا في الغمرات، كان أعظم الناس منزلة عند الله"(٢).

فرسول الله ﷺ يذم الجبن وأهله، وإن أهل الجبن هم القاعدون عن الجهاد والمنافقون الذين يتخلفون عن المعارك ويقعدون عن نصرة دين الله تعالى، ولا يستجيبون للنفير، ولا لنداءات الله تعالى ورسوله ﷺ؛ بل إن هؤلاء المنافقين القاعدون عن الجهاد في سبيل الله تعالى يظنون أن القعود يزيد في العمر وأن الجهاد يقصره، ولذلك من أقوالهم وكلامهم للفئة المؤمنة إن الذين استشهدوا في المعارك لو كانوا بجانبنا قاعدين عن الجهاد غير مشاركين في المعركة ما ماتوا وما قتلوا، كما قال تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦) وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨)** ﴾ **[آل عمران: ١٥٦– ١٥٨].**

ويتغافل المنافقون والقاعدون عن الجهاد في سبيل الله تعالى الذين يظنون أن الجهاد في سبيل الله يقصر العمر وأن الجلوس في البيت يطيل العمر، حقيقة أن لكل إنسان وأمة أجلًا فإذا انقضى الأجل فلا يستأخرون ولا يستقدمون؛ بل يمتون عند انتهاء أجلهم، وصدق الله القائل: ﴿ **لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾**[يونس: ٤٩].**

---

(١) معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، ج٢/٢٤١.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج٤/١٦٠.

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى:" لِكُلِّ قَوْمٍ مِيقَاتٌ لِانْقِضَاءِ مُدَّتِهِمْ وَأَجَلِهِمْ، فَإِذَا جَاءَ وَقْتُ انْقِضَاءِ أَجَلِهِمْ وَفَنَاءِ أَعْمَارِهِمْ، لَا يَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً فَيُمْهَلُونَ وَيُؤَخَّرُونَ، وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ قَبْلَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَضَى أَنْ لَا يَتَقَدَّمَ ذَلِكَ قَبْلَ الْحِينِ الَّذِي قَدَّرَهُ وَقَضَاهُ"(١).

وقال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى:" أخرج الله بني آدم إلى الأرض، وأسكنهم فيها، وجعل لهم أجلا مسمى لا تتقدم أمة من الأمم على وقتها المسمى، ولا تتأخر، لا الأمم المجتمعة ولا أفرادها(٢)".

وخلاصة الأمر وحاصله أن أهل الإيمان الصادقين من المجاهدين وغيرهم يعتقدون اعتقادًا جازمًا أن الجهاد في سبيل الله لا يقصر العمر، وأن القعود عن الجهاد لا يطيل العمر؛ فالجهاد في سبيل الله لا ينقص من العمر شيئًا، ولا يزيد؛ فإن الأجل مكتوب في اللوح المحفوظ من قبل أن يولد المرء، أما المنافقون القاعدون عن الجهاد في سبيل الله تعالى فهم من يرون أن المشاركة في المعارك تنقص الآجال، وأن القعود عن الجهاد يطيل الأعمار، وقد أنكر الشرع عليهم ظنهم هذا كثيرًا، وأهل الجهاد من أكثر الناس إيمانًا بالقدر، وما مشاركتهم في المعارك وإقدامهم وبسالتهم إلا شاهدًا على صحة معتقدهم، كيف لا وهم يعتقدون أن الجبن لا يطيل العمر، والشجاعة لا تقصر الآجال.

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ج١٢/١٩٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج١/٢٧٨.

المبحث الثالث

الجهاد وعلاقته بالابتلاء والفتن

إن بين الجهاد والابتلاء والفتن علاقة قوية؛ فلا يمكن للجهاد أن يمضي في طريقه الطويل ودربه البعيد دون ابتلاءات وفتن؛ بل ذلك متصور وواقع لا محالة، ولذلك كان طريق الجهاد عظيمًا، لا يسير فيه إلا العظماء، ولا يصبر عليه إلا الصادقون.

المطلب الأول

التلازم بين الجهاد والابتلاءات والفتن

إن الجهاد في سبيل الله تعالى طريق مليء بالابتلاءات والفتن، ولذلك كانت العلاقة بينهما كالروح في الجسد؛ فإن الجهاد طريقٌ للتمحيص، وذلك لما فيه من ابتلاءات كبيرة وفتن عظيمة، بها يميز الله الخبيث من الطيب، والسيء من الحسن، كما قال تعالى: **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].**

وقال تعالى: **﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١-١٤٢].**

فاقتضت حكمة الله عز وجل أن يبتلي عباده المؤمنين ويمحصهم، ويمحق الكافرين ويهلكهم.

وقال تعالى: **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٦].**

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:" أَمْ حَسِبْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ يَتْرُكَكُمُ اللَّهُ بِغَيْرِ مِحْنَةٍ يَمْتَحِنُكُمْ بِهَا، وَبِغَيْرِ اخْتِبَارٍ يَخْتَبِرُكُمْ بِهِ؛ فَيَعْرِفُ الصَّادِقَ مِنْكُمْ فِي دِينِهِ مِنَ الْكَاذِبِ فِيهِ، ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا﴾ يَقُولُ: أَحَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا بِغَيْرِ اخْتِبَارٍ يُعْرَفُ بِهِ أَهْلُ وِلاَيَتِهِ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ فِي سَبِيلِهِ، مِنَ الْمُضَيِّعِينَ أَمْرَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْمُفَرِّطِينَ، ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلاَ رَسُولِهِ﴾ يَقُولُ: وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ، وَالَّذِينَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلاَ مِنْ دُونِ رَسُولِهِ وَلاَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَلِيجَةً﴾ هُوَ الشَّيْءُ يَدْخُلُ فِي آخَرَ غَيْرِهِ، يُقَالُ مِنْهُ: وَلَجَ فُلاَنٌ فِي كَذَا يَلِجُهُ فَهُوَ وَلِيجَةٌ"(١).

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ج١٤/١٦٣.

وقال تعالى: ﴿... **قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].**

وقال تعالى: ﴿**الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣]**

وبالجهاد يعلم المؤمن الصادق من المنافق الكاذب، كما قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ * وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠- ١١].**

والجهاد في سبيل الله طريق لاتخاذ الشهداء واصطفائهم، وهذا من الابتلاء الكبير والاختبار العظيم، أن تفقد الفئة المؤمنة بعضًا من رجالها وعظمائها، كما أن يفقد الشخص روحه فهذا منتهى الامتحان والاختبار، كما قال تعالى: ﴿**هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ * وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨-١٤٠]**

والجهاد وإن كان فيه التعب والنصب للمؤمنين؛ بل والألم من التضحيات التي يقدمونها؛ فإن الألم ليس خاصًا بهم؛ فإن عدوهم يتألم بسبب جهادهم وما يلحقونه به من قتل وغير ذلك؛ بل إن ألم الكافر أشد من ألم المؤمن؛ لأن المؤمن يهون ألمه إيمانه بالله تعالى وتذكره للدار الآخرة، وما أعده الله تعالى له من أجر عظيم وثواب جزيل في الجنة، كما قال تعالى: ﴿**وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].**

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:" قَوْلُهُ: ﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ أَيْ: لَا تَضْعُفُوا فِي طَلَبِ عَدُوِّكُمْ، بَلْ جِدُّوا فِيهِمْ وَقَاتِلُوهُمْ، وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ أَيْ: كَمَا يُصِيبُكُمُ الْجِرَاحُ وَالْقَتْلُ، كَذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُمْ، كقوله ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ أَيْ: أَنْتُمْ وهم سَوَاءٌ فِيمَا يُصِيبُكُمْ وَإِيَّاهُمْ من الْجِرَاحِ وَالْآلَامِ، وَلَكِنْ أَنْتُمْ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ الْمَثُوبَةَ وَالنَّصْرَ

وَالتَّأْيِيدَ، وَهُمْ لَا يَرْجُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالْجِهَادِ مِنْهُمْ، وَأَشَدُّ رَغْبَةً فِي إِقَامَةِ كَلِمَةِ اللَّهِ وَإِعْلَائِهَا"[1].

والذي نخلص إليه أن الجهاد في سبيل الله تعالى طريق مليء بالابتلاءات والفتن؛ فالجهاد طريقٌ للتمحيص، وذلك لما فيه من ابتلاءات كبيرة وفتن عظيمة، بها يميز الله الخبيث من الطيب، والسيء من الحسن، والجهاد وإن كان فيه التعب والنصب للمؤمنين بل والألم من التضحيات التي يقدمونها؛ فإن الألم ليس خاصًا بهم؛ فإن عدوهم يتألم بسبب جهادهم وما يلحقونه به من قتل وغير ذلك؛ بل إن ألم الكافر أشد من ألم المؤمن؛ لأن المؤمن يهون ألمه إيمانه بالله تعالى وتذكره للدار الآخرة، وما أعده الله تعالى له من أجر عظيم وثواب جزيل في الجنة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ج٢/٣٥٧.

المطلب الثاني

الترغيب في الصبر على الابتلاء في طريق الدعوة إلى الله تعالى

لقد دعا الله تعالى عباده المؤمنين إلى الصبر والتقوى لما يلاقونه من بلاء في الأموال والأنفس وأذى كثيرًا من أهل الكفر والضلال وأهل الشرك والعدوان وذلك في أثناء سيرهم في طريق جهادهم في سبيل الله تعالى ودرب دعوتهم إلى الله تعالى، وبين الله تعالى لعباده المؤمنين أن الصبر والتقوى من عزم الأمور تشجيعًا لهم وإعلاءً من قيمة الصبر والتقوى، كما قال تعالى: ﴿**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ **[آل عمران: ١٨٦].**

وقال تعالى: ﴿**مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ **آل عمران: ١٧٩.**

بل وبين الله تعالى للمؤمنين أن أجر جهادهم من هجرة في سبيل الله تعالى، وإخراج من ديارهم بسبب اعتناقهم لدين الإسلام وثباتهم عليه، ومن أذى يقع عليهم في سبيل الله تعالى، وما يجري من قتال للكفار وقتل من المسلمين على يد الكفار المحاربين المعتدين الظالمين إنما يكفر السيئات، ويدخل جنات رب الأرض والسموات، كما قال تعالى: ﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ**﴾ **[آل عمران: ١٩٥].**

وقال تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ* وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ * وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾ **[البقرة: ١٥٣ – ١٥٧].**

وقال تعالى: ﴿ **وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ **[آل عمران: ١٤٦-١٤٨].**

وكم من نبي كريم قتل على يد اليهود، وهو يدعوهم إلى الله تعالى؛ فيجاهد بدعوة الإسلام والنطق بكلمة الحق؛ فثمة سلسلة طويلة من الأنبياء الكرام صلوات الله عليهم الذين بعثوا في بني إسرائيل قضوا نحبهم وسالت دمائهم الطاهرة الزكية على طريق الدعوة والجهاد في سبيل الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ**﴾ **[المائدة: ٧٠]**. وقال تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾ **[البقرة: ٦١]**. وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ *أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ**﴾ **[آل عمران: ٢١-٢٢]**.

وعَنْ أَبِي حَازِمٍ[١] قَالَ: قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه خَمْسَ سِنِينَ؛ فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ..." [٢].

ولذلك كان النبي ﷺ يعلم أصحابه بأن طريق الدعوة إلى الله تعالى التي تدعو للحق والعدل سيواجهها ظلمة وأهل جور من الكفار، وسيقتلون أصحاب هذه الدعوات، وسيتفننون في قتلهم وذبحهم، وكان رسول الله ﷺ يطالب أصحابه الكرام رضي الله عنهم بالصبر والثبات كما صبر من قبلهم من أتباع الأنبياء صلوات الله عليهم وسلم من الذين سبقوه؛ فعَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رضي الله عنه، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ؛ فَقُلْنَا: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلاَ تَدْعُو لَنَا؟ فقَالَ:" قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ؛ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ؛ فَيُجْعَلُ فِيهَا؛ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ؛ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ؛ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ

---

(١) هو: سلمان أَبُو حازم الأشجعي الكوفي، مولى عزة الأشجعية، قال عَبد اللَّهِ بْن أَحْمَد بْن حنبل عَن أبيه، وأبو بكر بْن أَبي خيثمة وعباس الدوري، عَن يحيى بْن مَعِين، وأبو عُبَيد الآجُرِّيّ عَن أبي دَاوُد: ثقة، مات فِي خلافة عُمَر بْن عبد العزيز، روى له الجماعة. انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، ج١١/٢٥٩ -٢٦٠.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، أحاديث الأنبياء/ ما ذكر عن بني إسرائيل، ج٣/١٢٧٣، حديث رقم: ٣٢٦٨، صحيح مسلم، مسلم، الإمارة/ وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، ج٣/١٤٧١، حديث رقم: ١٨٤٢.

الحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ؛ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ"(١).

وهذا الابتلاء الذي يواجهه الأنبياء صلوات الله عليهم وأتباعهم في أثناء دعوة الحق وثباتهم عليها ما هو إلا اختبار وامتحان قدره الله تعالى على الفئة المؤمنة، كما قال تعالى: **﴿الم* أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣]**

ومن الابتلاء الذي يتعرض له المجاهدون في سبيل الله تعالى خذلان القريب لهم وتكالب البعيد عليهم؛ فعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ كَذَلِكَ"(٢).

وبالرغم من كل الظروف التي يمر بها الجهاد وأهله من خذلان لهم ومكائد تراد بهم إلا أن رسول الله ﷺ بشر المسلمين ببقاء الجهاد وعدم تعطله إلى قيام الساعة؛ بل وثبات طائفة من أمته على الجهاد في سبيل الله تعالى.

والخلاصة أن المؤمنين عمومًا والمجاهدين منهم خصوصًا يتعرضون للابتلاء والفتن، ويبتلى المرء على قدر إيمانه؛ فإذا كان في إيمانه صلابة زيد له في بلائه، وإن كل ما يتعرض له المجاهد من نقص في الأموال والثمرات والأنفس، ما هو إلا ابتلاء من الله تعالى ليميز الخبيث من الطيب في الصف المؤمن، ولذلك كان درب الجهاد مليئًا بالأشواك والتضحيات حتى أضحى مع الابتلاء والفتن وجهان لعملة واحدة.

---

(١) سبق تخريجه، ص١٥١.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، الإمارة، بَاب: قَوْلِهِ ﷺ :" لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ"، ج٣/ ١٥٢٣، حديث رقم: ١٩٢٠، وهو حديث متواتر.

المبحث الرابع

الجهاد مع البر والفاجر

إن الجهاد في الإسلام يكون مع كل أمير بر أو فاجر، ما دامت مصلحة الإسلام والمسلمين في ذلك؛ فالجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة، لا يوقفه جور الأمير ولا ظلمه.

المطلب الأول

بيان وجوب الجهاد في الإسلام مع كل أمير دون تقييد بوصف معين

لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالقتال لإعلاء كلمته، وحثنا على الجهاد في سبيله؛ ولكن لم يشترط في هذا الجهاد والقتال أن يكون الأمير عادلًا، ولم يمنع القتال مع الأمير الفاجر، وليس هناك أدلة من الكتاب العزيز والسنة النبوية الصحيحة على وجوب القتال مع الأمير العادل والمنع من القتال مع الأمير الفاجر.

قال أبو الطيب محمد صديق خان رحمه الله تعالى:" الأدلة الدالة على وجوب الجهاد من الكتاب والسنة وعلى فضيلته والترغيب فيه وردت غير مقيدة بكون السلطان أو أمير الجيش عادلًا؛ بل هذه فريضة من فرائض الدين، أوجبها الله تعالى على عباده المسلمين؛ من غير تقييد بزمن أو مكان أو شخص، أو عدل أو جور؛ فتخصيص وجوب الجهاد بكون السلطان عادلًا ليس عليه أثارة من علم، وقد يبلي الرجل الفاجر في الجهاد ما لا يبليه البار العادل"[١].

وفي شرعنا أدلة تؤكد على القتال مع الأمير الفاجر وتؤيد القتال معه؛ فإن عدم القتال معه قد يفضي إلى انقطاع الجهاد أحيانًا ويقضي عليه، ويقوى عين الكفار على المسلمين، ويؤدي إلى القضاء على الإسلام والمسلمين؛ فلذلك قدم الإسلام مصلحة المسلمين عند وقوع الخطر؛ فجوز القتال مع الأمير الفاجر لما فيه من مصلحة للإسلام والمسلمين، وإعلاء كلمة الله، وجعلها هي العليا.

قال ابن قدامة رحمه الله تعالى:" وَلِأَنَّ تَرْكَ الْجِهَادِ مَعَ الْفَاجِرِ يُفْضِي إلَى قَطْعِ الْجِهَادِ، وَظُهُورِ الْكُفَّارِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَاسْتِئْصَالِهِمْ، وَظُهُورِ كَلِمَةِ الْكُفْرِ، وَفِيهِ فَسَادٌ عَظِيمٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتْ الْأَرْضُ ﴾ فَإِنْ كَانَ الْقَائِدُ يُعْرَفُ بِشُرْبِ الْخَمْرِ وَالْغُلُولِ يُغْزَى مَعَهُ، إنَّمَا ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ، وَيُرْوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ:﴿ إنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ ﴾"[٢].

---

(١) الروضة الندية ومعها التعليقاتُ الرَّضية على الرَّوضة النّديَّة، لأبي الطيب القِنَّوجي، ج٣/ ٤٣٧.

(٢) المغني، ج١٣/١٤.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الْغَزْوُ مَعَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ، وَبِأَقْوَامِ لَا خَلَاقَ لَهُمْ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ؛ لِأَنَّهُ إذَا لَمْ يَتَّفِقْ الْغَزْوُ إلَّا مَعَ الْأُمَرَاءِ الْفُجَّارِ أَوْ مَعَ عَسْكَرٍ كَثِيرِ الْفُجُورِ؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَحَدِ أَمْرَيْنِ: إمَّا تَرْكُ الْغَزْوِ مَعَهُمْ؛ فَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ اسْتِيلَاءُ الْآخَرِينَ الَّذِينَ هُمْ أَعْظَمُ ضَرَرًا فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَإِمَّا الْغَزْوُ مَعَ الْأَمِيرِ الْفَاجِرِ؛ فَيَحْصُلُ بِذَلِكَ دَفْعُ الْأَفْجَرِينَ، وَإِقَامَةُ أَكْثَرِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ؛ وَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ إقَامَةُ جَمِيعِهَا؛ فَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ، وَكُلِّ مَا أَشْبَهَهَا؛ بَلْ كَثِيرٌ مِنْ الْغَزْوِ الْحَاصِلِ بَعْدَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ لَمْ يَقَعْ إلَّا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ"[1].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" الخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ"[2].

وَجه الِاسْتِدْلَال بِهِ:" أَنه ﷺ لما أبقى الْخَيْر فِي نواصي الْخَيل إِلَى يَوْم الْقِيَامَة، علم أَن الْجِهَاد مَاض إِلَى يَوْم الْقِيَامَة، وَقد علم أَن فِي أمته أَئِمَّة جور لَا يعدلُونَ ويستأثرون بالمغانم، وَمَعَ هَذَا فقد أوجب الْجِهَاد مَعَهم، وَيُقَوِّي هَذَا الْمَعْنى أمره بِالصَّلَاةِ وَرَاء كل بر وَفَاجِر، وَقَوله: (على الْبر والفاجر) أَعم من أَن يكون: كل مِنْهُمَا أَمِيرًا أَو مَأْمُورًا"[3].

والجهاد في سبيل الله ماضٍ إلى يوم القيامة، سواءً مع البر أم الفاجر.

قال الإمام الطحاوي:" وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الْأَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ، إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، لَا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ، وَلَا يَنْقُضُهُمَا"[4].

والذي نخلص إليه أن الشرع لم يشترط في الجهاد والقتال أن يكون الأمير عادلًا، ولم يمنع القتال مع الأمير الفاجر، وليس هناك أدلة من الكتاب العزيز والسنة النبوية الصحيحة على وجوب القتال مع الأمير العادل والمنع من القتال مع الأمير الفاجر.

---

(١) مجموع الفتاوى، ج٢٨/٥٠٧.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ الخيل معقود بنواصيها الخير ليوم القيامة، ج٤/٢٨، حديث رقم: ٢٨٤٩.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للإمام بدر الدين العينى، ج١٤/١٤٥.

(٤) شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ص٣٨٨.

المطلب الثاني

بيان أن القتال مع الأمير الفاجر قد يكون عين المصلحة

إن القتال مع الأمير الفاجر قد يكون عين المصلحة؛ بل ويكون ترك القتال معه عين المفسدة؛ بل وقدم يقدم القتال مع الفاجر على غيره لمصلحة راجحة ودرء مفسدة كبيرة واقعة؛ فلقد سُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَد رحمه الله تعالى عَنْ الرَّجُلَيْنِ يَكُونَانِ أَمِيرَيْنِ فِي الْغَزْوِ، وَأَحَدُهُمَا قَوِيٌّ فَاجِرٌ، وَالْآخَرُ صَالِحٌ ضَعِيفٌ، مَعَ أَيِّهِمَا يُغْزَى؟ فَقَالَ: أَمَّا الْفَاجِرُ الْقَوِيُّ فقوتهُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَأَمَّا الصَّالِحُ الضَّعِيفُ فَصَلَاحُهُ لِنَفْسِهِ، وَضَعْفُهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ؛ فَيُغْزَى مَعَ الْقَوِيِّ الْفَاجِرِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:﴿ إنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ، وَرُوِيَ بِأَقْوَامِ لَا خَلَاقَ لَهُمْ﴾ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَاجِرًا كَانَ أَوْلَى بِإِمَارَةِ الْحَرْبِ مِمَّنْ هُوَ أَصْلَحُ مِنْهُ فِي الدِّينِ، إذَا لَمْ يَسُدَّ مَسَدَّهُ"(١).

والقتال مع الأمير الفاجر في حال عدم توفر الفاضل لدفع الكافر مقيد بهذا القيد أعني كون فجوره على نفسه وغير متعدٍ إلى الإضرار بالمسلمين، وكون الفساد الذي قد يترتب بتأميره أدنى من فساد الكفار وتسلطهم على المسلمين.

وفي حال غلب على ظن المسلمين التساوي بين فساد الأمير المسلم الفاجر وضرر الكفار وتسلطهم على المسلمين؛ فلا يسوغ شرعًا ولا عقلًا القتال مع الكفار ضد هذا الفاجر، لأن علوه على المسلمين وهو فاسق خير من علو الكفر وأهله على المسلمين ما داموا فساقًا وظلمة جميعًا، فالمسلم الفاسق لا يسوى بالكافر الظالم، وصدق الله تعالى القائل: **﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨].**

ومسألة القتال مع الأمير الفاجر إنما تطرح في حال كان الأمير الفاجر واقعًا موجودًا ومفروضًا، ولا يتوفر غيره من الصالحين أو في حال ضعفهم ووهنهم؛ فهذا جوز أهل السنة القتال تحت رايته دفعًا لمفسدة الكفار التي هي أعظم من مفسدته؛ لأن القاعدة التي بنيت عليها مسألة مشروعية القتال مع الأمير الفاجر، هي دفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما.

ولذلك لا يشترط للقتال في سبيل الله تعالى والجهاد من أجل رفع كلمة لا إله إلا الله شروطًا لم يشترطها الشرع، وما أنزل الله بها من سلطان، كما أنه لا يشترط نقاء صف الجيش المسلم وخلوه من العصاة كي يقاتل معه، وهو أمر لا سبيل إليه أو لمعرفته غالبًا.

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ج٢٨/٢٥٥.

ولقد بشر رسول الله ﷺ المسلمين ببقاء الجهاد وعدم تعطله إلى قيام الساعة رغم كل الظروف التي تمر وستمر بها الأمة الإسلامية؛ فعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ كَذَلِكَ"[١].

وفي ذلكم إشارة إلى مضي الجهاد والعمل على سيره رغم ما يمر به ويراد له.

وحاصل الأمر أن الجهاد يكون مع الإمام البار والفاجر، والصالح والطالح؛ فلا يمنع فسق الإمام الفاجر وجور الحاكم الظالم من القيام بواجب الجهاد في سبيل الله تعالى والغزو معه؛ فإننا نقوم معه بواجب الجهاد معه، والله تعالى يحاسبه على فسقه يوم القيامة.

---

(١) سبق تخريجه، ص١٨٤.

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فهذه جملةٌ من النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الباحثة وخلصت لها من خلال هذه الدراسة، وهي على النحو التالي:

أولًا: النتائج:

١. الجهاد له أنواع كثيرة؛ فهو يقع باللسان والمال والنفس واليد، ومنه القتالي ومنه غير القتالي.

٢. إن الجهاد لا يكون جهادًا حقيقيًا وصحيحًا إلا إذا كان بنية صالحة وأهداف شرعية مشروعة، ودوافع دينية أو عقدية؛ فهناك علاقة قوية بين الجهاد والإيمان، ومن ذلك أن القرآن ربط في نصوص كثيرة من آياته المتلوة بين الجهاد والإيمان، وكذلك ربط القرآن بين الهجرة والإيمان والجهاد، وكذلك ربط القرآن بين الإيمان والشهادة، وكذلك ربط القرآن بين مشاهد غيبية والشهادة في سبيل الله، وكذلك تجد تحفيز القرآن على الجهاد في سبيل الله تعالى بذكر ما أعد الله تعالى للمجاهدين في الآخرة، وقد كان للإيمان دورًا في تسلية المسلم عند المصائب؛ بل وتحليه بالصبر والرضا، ولقد جعل الله تعالى تحقيق الإيمان من أسباب النصر والتمكين على الكفران، ولقد كان من أهل الإسلام من يخرجه للجهاد في سبيل الله تعالى إيمانه وقوته وهؤلاء تكفل الله تعالى لهم بالجنة.

٣. الجهاد شرع لغايات عظيمة وأهداف نبيلة أشهرها؛ حماية الدين والنفس، والأرض، والمال، والمستضعفين، وإنهاء مرحلة المحنة من ذل واستضعاف، ولتكون الهيمنة للإسلام على الكفار المحاربين المعتدين، ولتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، ولتحقيق العدل وإزالة الظلم.

٤. الجهاد لم يشرع لإجبار الناس على اعتناق الإسلام كما زعم بعض الجهلاء من أعداء الإسلام، والجهاد وسيلة وليس غاية؛ فالجهاد لم يشرع لذاته؛ بل شرع لغيره؛ فلو ترك الإسلام وشأنه ما رفع السيف على أحد؛ فلا حرب إلا على المعتدين ولا قتال إلا للمحاربين، ولو ترك الإسلام وشأنه ما كان للسيف موضعًا؛ فالإسلام ليس همه الأكبر قطع الرؤوس ونزف الدماء الذي يحاول تصويره أعداء الإسلام عن الجهاد الحقيقي

وغايته العظيمة، وإنما هَمُّ الإسلام الأكبر هداية الناس للحق بالاختيار دون الإجبار، والجهاد في الإسلام لا ظلم فيه؛ فشرع درءًا للحرابة ودفعًا للعدوان ومنعًا للظلم وما شابه ذلك.

٥. إن الجهاد مدرسة ربانية وميدان للتربية الإيمانية يتعلم فيها المسلم، ومن خلاله عرف الصحابة رضي الله عنهم كثيرًا من أمور دينهم.

٦. إن نصوص القرآن الكريم واضحة في الحث على الدعوة بالدعوة الطيبة والموعظة الحسنة والحكمة ونصه على أنه لا إكراه في الدين؛ فدحض القرآن الكريم من قديم أكذوبة انتشار الإسلام بالسيف والتي تنسب إليه اليوم وهو براء منها، وكذلك إن منهج رسول الله ﷺ مستقى من القرآن الكريم، الداعي لعدم الإكراه في الدين؛ بل ولنشر الإسلام بالدعوة الطيبة والحكمة، ولذلك رسول الله ﷺ أبعد ما يكون عن حمل الناس على اعتناق الإسلام بالسيف، كيف لا وهو لم يجبره أحدًا على الإسلام، ولو ذهب مثيروا تلك الشبهة يبحثون عن واحد أكرهه النبي ﷺ لن يجدوا؛ بل ولو افترضنا أنهم وجدوا لذكروه لنا، وأذاعوا به، أما ولم يذكروا فهو دليل على أنهم لم يجدوا أحدًا أكرهه النبي ﷺ على الإسلام، وتلك شهادة فعلية تكذب زعمهم.

ثانيًا: التوصيات:

١. القيام بكتابة رسائل علمية على شاكلة هذه الرسالة؛ لبيان براءة الإسلام مما ينسب إليه زورًا وبهتانًا من الشبهات والطعون، وإن إفراد المتخصصين لمسائل وقضايا أثيرت حولها التهم والشبه بالكتابة والتأليف أمر مهم جدًا، ولابد من إعلان النتائج المتوصل إليها بأدلتها وبراهينها؛ فالمتخصص في علم أعلم بمسائل علمه غالبًا من غيره.

٢. لابد من الكتابة في موضوع الجهاد من كل جوانبه المتعلقة به، بين الحين والآخر والأخذ بعين الاعتبار ما يستجد عليه من قضايا؛ بل ومطالعة ما يكتبه الغربيون والمستشرقون؛ بل وما يكتبه أبناء جلدتنا من المتطرفين والمتشددين، والرد على هؤلاء جميعًا بعلم وبصيرة؛ فإني أتوقع حينها الوصول لنتائج قيمة، تثري موضوع الجهاد أكثر، وتبين حقيقته المشرقة في الإسلام، وهذه فائدة البحث العلمي وما عهدناه منه.

٣. الدفاع عن الإسلام من الجهة العقدية أشد ضرورة من الدفاع من الجهة الفقهية، وكلاهما من الأهمية البالغة بمكان، ولذلك يجب على المتخصصين في مجال العقيدة الاهتمام دومًا

بإظهار صورة الإسلام الناصعة المشرقة، والتي تريد شبهات المغرضين وتهم الحاقدين تسويدها.

وأخيرًا...

فإن هذا جهد المقل، فما كان فيه من خير فمن الله تعالى، وما كان فيه من سوء وخطأ وزلل فمن نفسي والشيطان، والله ـ تعالى ـ ورسوله ـ ﷺ ـ منه براء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١. *إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري*، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ.

٢. *إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل*، محمد ناصر الدين الألباني، زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م.

٣. *أسد الغابة في معرفة الصحابة*، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٤. *الأسماء والصفات للبيهقي*، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م.

٥. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٦. *الإنجاد في أبواب الجهاد وتفصيل فرائضه وسننه وذكر جمل من آدابه ولواحق أحكامه/* تصنيف: الإمام المجاهد أبي عبدالله محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ الأزدي القرطبي المعروف بابن المناصف رحمه الله تعالى (٥٦٣–٦٢٠ هـ) تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان ومحمد بن زكريا أبو غازي، دار الإمام مالك/ مؤسسة الريان، ط١، ٢٠٠٥م.

٧. *أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه*، علي بن نفيع العلياني، طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٦هـ– ١٩٩٥م.

٨. *بابا الفاتيكان محمد عليه الصلاة والسلام لم يأت إلا بما هو سيئ وغير إنساني*، الجزيرة نت، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٩/٠١/٢٥م. الرابط: http://cutt.us/S6NOm ، ٢٠٠٦م.

٩. *البداية والنهاية*، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

١٠. *بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع*، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١١. *تاريخ خليفة بن خياط*، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة - دمشق، بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ.

١٢. *تاريخ دمشق*، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،(د.ط) عام النشر: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

١٣. *تحرير ألفاظ التنبيه*، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم - دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٤. *التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور*، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٥. *تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمي على الخطيب*، سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي، دار الفكر، (د.ط) ، تاريخ النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٦. *التربية الجهادية الإسلامية*، علي عبد الحليم محمود،(د.م) طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط١ ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

١٧. *التسعينية*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دراسة وتحقيق: الدكتور

محمد بن إبراهيم العجلان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

١٨. *تعريف الإرهاب وحقيقته في الإسلام وعند الغرب*، موقع الإسلام سؤال وجواب، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٨/١١/١٥م، الرابط: http://cutt.us/Okqyc ، ٢٠٠٨م.

١٩. *التعريفات*، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م.

٢٠. *تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم*، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.

٢١. *تفسير القرآن العظيم*، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٢٢. *التفسير القرآني للقرآن*، عبد الكريم يونس الخطيب،(د.م) دار الفكر العربي – القاهرة، (د.ط).

٢٣. *تفسير النيسابوري وهو غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، الشيخ زكريا عميرات،(د.م) دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٦هـ–.

٢٤. *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١، ١٣٩٣هـ.

٢٥. *تلبيس إبليس*، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيرزت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٢٦. تهذيب *التهذيب*، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ.

٢٧. *تهذيب الكمال في أسماء الرجال*، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ– ١٩٨٠م.

٢٨. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١ ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م.

٢٩. جامع *البيان في تأويل القرآن*، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

٣٠. *الجامع لأحكام القرآن . تفسير القرطبي*، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ–١٩٦٤.

٣١. *الجرح والتعديل*، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن – الهند، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٢٧١هـ.

٣٢. *الجهاد والقتال في السياسة الشرعية*، محمد خير هيكل، دار البيارق، ط٢، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٣٣. *الجهاد*، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي، ١٨١هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: د. نزيه حماد، الدار التونسية – تونس،(د.ط)

٣٤. *حضارة العرب*/ غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،(د.ط).

٣٥. *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، ٤٣٠هـ)، السعادة – بجوار محافظة مصر،(د.ط) ١٣٩٤هـ –١٩٧٤م.

٣٦. *خطبة الرد على البابا – توقيت هذه الإساءة*، محمد راتب النابلسي، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٩/٠٣/١٥م. الرابط: http://cutt.us/5ZxG ، ٢٠٠٦م.

٣٧. *الخلاصة في خصائص العقيدة الإسلامية*، جمع وإعداد: الباحث في القرآن والسنَّة علي بن نايف الشحود،(د.م)، ط١،١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.

٣٨. *درء تعارض العقل والنقل*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ٧٢٨هـ) تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٣٩. *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة*، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، ٤٥٨هـ)،(د.م)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ .

٤٠. *ذم الهوى*، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ٥٩٧هـ) تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مراجعة: محمد الغزالي،(د.ط).

٤١. *الرد على الجهمية والزنادقة*، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع، ط١.

٤٢. *روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)* زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة - المملكة العربية السعودية، ط١ ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٤٣. *روضة المحبين ونزهة المشتاقين*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية،(د.م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٤٤. *الروضة الندية ومعها التعليقاتُ الرَّضية على الرَّوضة النَّديَّة*، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، التعليقات بقلم: العلامة المحدِّث الشيخ محمَّد نَاصِر الدّين الألبَاني، ضبط نصَّه، وحقَّقه، وَقَام على نشره: علي بن حسَن بن علي بن عَبد الحميد الحَلبيُّ الأثريّ، دَارُ ابن القيِّم للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، دَار ابن عفَّان للنشر والتوزيع، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٤٥. *زاد المعاد في هدي خير العباد*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٤٦. *سبل السلام*، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير، (د.م)، دار الحديث، (د.ط)، (د.ت).

٤٧. *السلام في الإسلام*، للإمام الشهيد حسن البنا، (د.م)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، (د.ط)، (د.ت).

٤٨. *سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها*، محمد ناصر الدين الألباني،(د.م)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد،(د.ط)، الرياض، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٤٩. *سنن ابن ماجه، ابن ماجة*، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

٥٠. *سنن أبي داود*، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٥١. *سنن الترمذي*، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، (د.ط)، بيروت، ١٩٩٨م.

٥٢. *السنن الكبرى*، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.

٥٣. *سنن النسائي وهي المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي*، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٥٤. *السيرة النبوية*، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م.

٥٥. *شرح العقيدة الطحاوية*، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي) ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٥٦. *الشرح الممتع على زاد المستقنع*، محمد بن صالح بن محمد العثيمين،(د.م)، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٢هـ–١٤٢٨هـ.

٥٧. *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٥٨. صحيح *أبي داود*، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

٥٩. صحيح *البخاري وهو الجامع الصحيح المختصر*، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م.

٦٠. صَحِيحُ *التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب*، محمد ناصر الدين الألباني، مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م.

٦١. صحيح *مسلم وهو المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم*، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي،(د.ط)، بيروت، (د.ت).

٦٢. *طبقات الحنابلة*، أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة،(د.ط)، بيروت، (د.ت).

٦٣. *العرش*، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ٧٤٨هـ) تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٦٤. *العقائد الإسلامية*، السيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ.

٦٥. *علم الملل ومناهج العلماء فيه*، أحمد بن عبد الله جود،(د.م)، دار الفضيلة، الرياض – السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م.

٦٦. *العلمانية وموقف الإسلام منها*، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي،(د.م)، (د.ط)، (د.ت)

٦٧. *عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته*، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.

٦٨. *العين*، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال،(د.ط)، (د.ت).

٦٩. *غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام*، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ.

٧٠. *الغزو الفكري تعريفه وأهدافه*، خادم حسين إلهي بخش، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٨/١٢/٢٧م، الرابط: https://www.alukah.net/culture/0/92247/ ، ٢٠٠٧م.

٧١. غير *المسلمين في المجتمع الإسلامي*، الإمام يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، مطبعة المدني، ط٧ مزيدة ومنقحة، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣.

٧٢. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي،(د.م)، دار المعرفة،(د.ط)، بيروت، ١٣٧٩م.

٧٣. *فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها*، غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، ط٤، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٧٤. *الفروسية*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان، دار الأندلس – السعودية – حائل، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٧٥. *فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة*، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، دار الفكر – دمشق، ط٥ والعشرون، ١٤٢٦هـ.

٧٦. *فقه السيرة*، محمد الغزالي السقا، دار القلم – دمشق، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، ط١، (د.ت).

٧٧. *في ظلال القرآن*، سيد قطب، دار الشروق، ط٢٥، (د.م)، (د.ن)، ١٤١٧هـ–١٩٩٦م.

٧٨. *فيض القدير شرح الجامع الصغير*، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

٧٩. *القاموس المحيط*، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

٨٠. *الكافي في فقه الإمام أحمد*، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م.

٨١. *الكلم الطيب*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٣، ١٩٧٧م.

٨٢. *لسان العرب*، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٨٣. *لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية*، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٨٤. *ما معنى جهاد الطلب وجهاد الدفع؟* خالد بن علي المشيقح، تاريخ الاطلاع: ١٤/٠٢/٢٠١٩م. الرابط: http://iswy.co/e4k1o ، ٢٠١١م.

٨٥. *مجمل اعتقاد أئمة السلف*، عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط٢، تاريخ النشر: ١٤١٧هـ.

٨٦. *مجمل أهل السنة والجماعة في العقيدة، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، (د.م) ط٢، دار الوطن للنشر،١٤١٢هـ.*

٨٧. مجموع *الفتاوى*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز – عامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

٨٨. مجموع *فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين*، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن – دار الثريا، (د.ط)، ١٤١٣هـ.

٨٩. مجموعة *رسائل الإمام الشهيد حسن البنا*، دار الدعوة، للطبع والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٩٠. *المحلى*، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، (د.م)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،(د.ط)، (د.ت).

٩١. *مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية مبادئ وآثار*، محمد حافظ الشريدة، ط١، ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م.

٩٢. المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية–جدة، ط١ ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.

٩٣. *مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو* عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ–٢٠٠١م.

٩٤. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط١، ١٤١٦ هـ–١٩٩٥م.

٩٥. *مشكاة المصابيح*، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.

٩٦. *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المكتبة العلمية – بيروت، (د.ط)، (د.ت).

٩٧. *المصنف في الأحاديث والآثار*، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٩٨. *المطلع على ألفاظ المقنع*، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين، تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٩٩. *معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي*، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٠٠. *معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود*، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، المطبعة العلمية – حلب، ط١ ١٣٥١هـ-١٩٣٢م.

١٠١. *المعجم الوسيط/* مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر وآخرون، القاهرة، دار الدعوة،(د.ط)، (د.ت).

١٠٢. معجم *مقاييس اللغة*، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،(د.ط)، (د.ت).

١٠٣. *المغني*، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير بابن قدامة المقدسي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، طبعة عالم الكتب، الرياض – السعودية، ط٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٠٤. *المفردات في غريب القرآن*، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، مكان الطبع: دمشق – بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

١٠٥. *منتهى الإرادات*، تقي الدين محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي الشهير بابن النجار، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

١٠٦. *منح الجليل شرح مختصر خليل*، محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله المالكي، دار الفكر – بيروت، (د.ط)، ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م.

١٠٧. *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

١٠٨. *مواهب الجليل في شرح مختصر خليل*، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي، دار الفكر، ط٣، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

١٠٩. *موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة*، جمع وإعداد: الباحث في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود، مخطوط.

١١٠. *الموسوعة العقدية*، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، تاريخ الاطلاع: ٢٠١٨/٠٨/١٠م. الرابط: https://dorar.net/aqadia

١١١. *النبوات*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١١٢. *النهاية في غريب الحديث والأثر*، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية،(د.ط)، بيروت، ١٣٩٩هـ–١٩٧٩م.

١١٣. *نيل الأوطار*، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط١، ١٤١٣هـ–١٩٩٣م.

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا ...	١٤٩	٩٤
بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ	١٥٠	٩٤
سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ...	١٥١	٩٤
قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ ...	١٥٤	١٦٦، ١٧١
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ ...	١٥٦	٨٨
وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ...	١٥٧	١٦٨
وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ	١٥٨	١٦٨
وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا...	١٦١	٤٨
وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ...	١٦٦	١٦٧
وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ...	١٦٧	١٦٧
الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا ...	١٦٨	١٦٧
وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً ...	١٦٩	٢١
فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ...	١٧٠	٢١
يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ...	١٧١	٢١
الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ...	١٧٢	٢١
الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ...	١٧٣	٢١
فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ...	١٧٤	٢١

الآية	رقمها	الصفحة
الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ...	١٣٩	٩٩
وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا ...	١٤٠	٩٩
الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ ...	١٤١	٣٥
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ...	١٤٢	٩٩
مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ...	١٤٣	٩٩
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ ...	١٤٤	٩٩
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ ...	١٤٥	٩٩
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا...	١٤٦	٩٩
المائدة		
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ...	١	٨
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء ...	٨	٦٦
إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ...	٣٣	٦٧
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا...	٣٤	١١٧
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ...	٣٥	٢٠
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ...	٥٤	٢٠
قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا...	٥٩	١٤٠
لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ...	٧٠	١٧٤

الآية	رقمها	الصفحة
لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ...	٨٩	٨
الأنعام		
وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ...	١٥٢	٦٦
الأعراف		
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ...	٣٤	١٦٥
قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ ...	٨٨	٥٧
وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا ...	١٢٦	١٤١
خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ...	١٩٩	٦٤
الأنفال		
إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلاَئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ...	١٢	٩٤
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ...	١٣	٩٤
ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ...	١٤	٩٤
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا...	١٥	٩٤
وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ ...	٣٩	٣٠
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ...	٤٥	٥٠
وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى...	٦١	٦٦
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن...	٦٥	٩٣

الآية	رقمها	الصفحة
وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ	٤٣	١١٦
محمد		
فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ...	٤	٩٣
الفتح		
إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا	١	١٥١
لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ	٢	١٥١
وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا	٣	١٥١
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ ...	٢٩	٩٤
الحجرات		
وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا...	٩	١١٣
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ...	١٠	١١٢
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...	١٥	١٩
الرحمن		
كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ	٢٦	١٦٤
وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ	٢٧	١٦٤
الحديد		
وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ...	١٩	٢٠

الآية	رقمها	الصفحة
إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ	٩	١٥٢
البروج		
وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ	٨	١٤٠
الغاشية		
فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ	٢١	٥٧
لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ	٢٢	٥٧
الكافرون		
لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ	٦	٥٧
النصر		
إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ	١	١٥٠
وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا	٢	١٥٠
فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا	٣	١٥٠

ثانيًا: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثًا: فهرس الرواة المترجم لهم

م	اسم الراوي	رقم الصفحة
٩.	أبو وهب الجشمي.	٦٥
١٠.	بريدة بن الحصيب.	٤٤
١١.	الحسن البصري.	٤٩
١٢.	حنظلة الكاتب.	٤٥
١٣.	رباح بن ربيع.	٤٤
١٤.	زيد بن وهب الجهني.	١٠٣
١٥.	سالم أبي النضر.	٥٠
١٦.	سعيد بن جمهان.	١٠٤
١٧.	سليمان الأحول.	٣٢
١٨.	سليمان بن بريدة.	٤٤
١٩.	سليمان بن يسار.	٣٩
٢٠.	سويد بن غفلة.	١٠٢
٢١.	عبد الرحمن بن أبي ليلى.	٦٨
٢٢.	معاوية بن جاهمة السلمي.	٤٢